تمهيـــــد :

يشتمل هذا التمهيد على تعريف موجز بعنوان الرسالة وهو تعريف كل من : المنهج ، القرآن ، الدعوة ، الاسلام .

وقد أجلت التعريف بالشرك الى الفصل الثانى من الباب الأول

١ ـ تعريف المنهج :

جاء فى لسان العرب (١) : " طريق نهج بين واضح ، والجمـــع نهجات ونهج ونهوج ، ونهج الطريق وضحه ، والمنهاج كالمنهـــج وفى التنزيل : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (٢) .

ونهجت الطريق أبنته وأوضحته ، يقال : اعمل على ما نهجتـــه لك ، ونهجت الطريق سلكته ، وفلان يستنهج سبل فلان أى يســـلك مسلكه ، والنهج الطريق المستقيم .

وفى معجم مقاييس اللغة (٣) : " النهج الطريق ، ونهج لـــى الأمر : أوضحه ، وهو مستقيم المنهاج والمنهج الطريق أيضا والجمـــع المناهج " .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٠٦/٣) دار صادر بيروت ، وانظـــر المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى (ص ٥٠٦) دار المعرفـــة بيروت ، و النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الاثير (١٣٤/٥) المكتبه الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، والقاموس المحيط للفيروز أبادى (٢١٠/١) مؤسسة الحلبى وشركاه القاهرة .

(٢) سورة المائدة (٤٨)

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦١/٥) دار الكتب العلمية ايـــران .

وجاء في صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن سلام رضى الله عنـــه :

" فاذا جواد منهج على يميني " .

قال النووى [٢] : " والجواد جمع جادة وهى الطريق البينة المسلوكة والمشهور فيها جواد بتشديد الدال ، وقد تخفف ".

ومن هذا يتبين لنا ان المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح المستقيم الذى يسير فيه السالك .

ونعنى بالمنهج هنا الطرق والاساليب التى سلكها القرن في دعـــوة المشركين الى الاسلام .

٢ – تعريف القرآن :

القرآن في الأصل مصدر قرأ قراءة وقرآنا قال الله تعالى (ان علينـــا جمعه وقرءآنه * فاذا قرأناه . فاتبع قرءانه) [٣] أى قراءته ، فهـــو مصدر على وزن فعلان – بالضم – كالغفران والشكران [٤] .

وقد خُصَّ القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصـــار له كالعلم الشخصى ، وسمى قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة [٥] .

---

(١) صحيح مسلم (٩٣٢/٤) فضائل الصحابة رقم (١٥٠) .
(٢) شرح النووى على مسلم (٤٤/١٦) دار الفكر – بيروت ط ٣ .
(٣) القيامة (١٧ – ١٨) .
(٤) اللسان (١٢٩/١) مناهل العرفان (٧/١) دار احياء الكتـــب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه – القاهره .
(٥) المفردات في غريب القرآن للأصفهانى (ص ٤٠٢) دار المعرفة بيروت ، لسان العرب (١٢٩/١)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٢٠)

ويطلق القرآن على مجموعه وعلى كل آية من آياته من باب اطلاق الجزء على الكل ، فانك اذا سمعت من يتلو آية منه صح أن تقول انه يقرأ القرآن قال تعالى : (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (١)

وفى الاصطلاح : هو " كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، المعجز بلفظه ومعناه ، المكتوب فى المصاحف المنقول الينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس " . (٢)

فالكلام اسم جنس فى التعريف يشمل كل كلام واضافته الى الله تعالى يخرج كلام غيره من الانس والجن والملائكة والمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والانجيل قبل تحريفهما .

والمعجز بلفظه ومعناه : يخرج الاحاديث القدسية على القول بأن ألفاظها منزلة من عند الله ، وأما على قول من يرى ان معانيهما من عند الله وألفاظها من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خرجت بالقول الأول والمنقول الينا بالتواتر : يخرج قراءات الآحاد والمتعبد بتلاوته : يخرج

---

(١) الاعراف (٢٠٤)
انظر مناهل العرفان (١/١٥ — ١٦) مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٢١

(٢) مناهل العرفان للزرقانى (١/١٠ — ١٣) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (ص ١٥) ط ٢ دار القلم الكويت ، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (ص ٦) ط ٢ دار الكتب القاهرة ، مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان (ص ٢٠ — ٢١) ط ٥ مؤسسة الرسالة بيروت ، مباحث فى علوم القرآن لصبحى الصالح (ص ٢١) دار العلم للملايين . بيروت ط ١١

الآيات التى نسخت تلاوتها .[١]

٣ ـ تعريف الدعوة :

الدعوة لغة : المرة الواحدة من الدعاء ومنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] " فان دعوتهم تحيط من ورائهم " وتداعى القوم دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا ، والدعاة قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع ، ورجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الى الله تعالى .[٣]

وفى تهذيب اللغة[٤] : " المؤذن داعى الله ، والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الأمة الى توحيد الله وطاعته ، قال عز وجل مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا الى قومهم منذرين قالوا : " يا قومنا أجيبوا داعى الله "[٥]

وفى معجم مقاييس اللغة[٦]" ... الدعوة الى الطعام بالفتح والدعوة فى النسب بالكسر .. ومنه داعية اللبن ، وهو ما يترك فى الضرع

---

(١) انظر المراجع السابقة .

(٢) رواه ابن ماجه (٢/١٠١٦) كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر.

(٣) لسان العرب (١٤/٢٥٨).

(٤) تهذيب اللغة لأبى منصور (٣/١٢٠) الدار المصرية للتأليف والترجمة وانظر القاموس المحيط (٤/٣٢٨).

(٥) الاحقاف (٣١).

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس(٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠) طبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر.

لدعوة ما بعده ، ومنه تداعت الحيطان اذ اسقط واحد وآخر بعده ، فكأن الأول دعا الثاني وداعى الدهر صروفه ".

" ودعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله " (١)

وجاء في المصباح المنير (٢) : " دعوة الله دعاء ، ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله ودعا المؤذن الناس الى الصلاة فهو داعي الله ، والجمع دعاة وداعون مثل قاضي وقضاة وقاضون ، والنبي داعي الخلق الى التوحيد " .

والدعاء الى الشيء الحث على قصده ، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (قال رب السجن أحب اليّ مما يدعونني اليه) (٣)

وقول الله تعالى : (ولله يدعوا الى دار السلام) (٤)

ومن هذا يتبين لنا ان الدعوة في اللغة تستعمل في الخير والهدى كما في قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٥)

وقوله تعالى : (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) (٦)

---

(١) تاج العروس للزبيدي (١٠/١٢٨) دار مكتبة الحياة – بيروت .
(٢) المصباح المنير لأحمد الفيومي (ص ١٩٤) دار المعارف – مصر
(٣) يوسف (٣٣)
(٤) يونس (٢٥)
(٥) يوسف (١٠٨)
(٦) الاحزاب (٤٥ – ٤٦)

وقوله تعالى : (ومن أحسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) .[(١)]

كما تستعمل عند الاطلاق فى الشر والضلال ، ولذلك لابد من المعنى الاصطلاحي لتوضيحها وتمييزها .

الدعوة فى الاصطلاح :

عرفها شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :[(٢)] " الدعوة الى الله هى الدعوة الى الايمان به وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما اخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة الى الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة الى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه " .

وهذا التعريف اشتمل على الدعوة الى اركان الاسلام ، وأركان الايمان ، وركن الاحسان .

وعرفها المتأخرون[(٣)] بتعاريف كثيرة متقاربة نستطيع أن نستخلص منها بأن الدعوة هى :" قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعا لاقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم والتأسى به قولا وعملا وسلوكا بالوسائل والاساليب التى تتناسب مع احوال المدعوين فى كل زمان ومكان " .

---

(١) فصلت (٣٣)

(٢) مجموعة الفتاوى (١٥/١٥٧ - ١٥٨) الطبعة السعودية تصوير عن الطبعة الأولى .

(٣) انظر مثلا :تذكرة الدعاة للبهى الخولى (ص ٣٥) ط ٦ مكتبة الفلاح الكويت ، الدعوة الى الاسلام لأبى بكرزكى (ص٨) مكتبة دارالعروبة القاهره

===

٤ـ تعريف الاسلام :

تعريف الاسلام لغة : جاء في لسان العرب :[١] " الاسلام والاستسلام الانقياد ، والاسلام من الشريعة اظهار الخضوع واظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه " .

وفي المصباح :[٢] " أسلم لله فهو مسلم وأسلم دخل في دين الاسلام وأسلم دخل في السلم " .

فالاسلام في اللغة اذا هو الاستسلام والخضوع والانقياد لأمر الآمر ونهي الناهي ، قال تعالى : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون)[٣] .

تعريف الاسلام شرعا :

جاء في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ[٤] : " .. قال يا محمد اخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال : صدقت ..." الحديث .

=== مع الله للغزالي (ص ١٧) المكتبة الاسلامية ، الدعوة الاسلامية لأحمد غلوش (ص ١٠) وما بعدها ـ دار الكتاب المصري ، اللبناني الدعوة الى الله في سورة ابراهيم لمحمد الحبيب (ص ٢٧) ط ١

(١) لسان العرب (١٢ / ٢٩٣) وانظر تهذيب اللغة (١٢ / ٤٥١) وتاج العروس للزبيدي (٨ / ٣٤٠) .
(٢) المصباح المنير (ص ٢٨٧) .
(٣) آل عمران (٨٣)
(٤) أخرجه مسلم (١ / ٣٧) كتاب الايمان حديث رقم (١) ===

وهذا التعريف بالاسلام انما هو تعبير بالجزء عن الكل لبيان أهمية هذا الجزء ، ويدل على ذلك ما رواه ابن عمر (١) رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان " .

وبهذا يتبين أن بناء الاسلام يقوم على هذه الاركان الخمسة ، وليس معنى ذلك أن هذه الأركان كل الاسلام ، وانما هى بمثابة الاساس الذى يقوم عليه البناء الكبير .

ويمكن أن يقال ان الاسلام : " هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والاخبارات فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ". (٢)

ونظرا للتلازم بين الدعوة الى التوحيد والنهى عن الشرك أود أن اتكلم عن التوحيد والشرك فى حياة البشرية فى الباب التالى :

== والبخارى بنحوه (١/ ١٨) كتاب الايمان باب ٣٧ سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان .

(١) البخارى (١/ ٨) كتاب الايمان ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس ، ومسلم (١/ ٤٥) كتاب الايمان باب بيان اركان الاسلام حديث رقم ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٢) انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص ١٠) ط ٣ ، وقد ذكر الدكتور عبد الكريم عدة تعريفات للاسلام فى كتابه هذا فانظرها .

البـــــاب الأول

التوحيد والشرك فى حياة البشـــرية

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الأول : اصالة التوحيد فى البشرية ودعوة جميع رسل الله اليه .

الفصل الثانى : معنى الشرك وبعض صوره .

الفصل الثالث : تسرب الشرك الى البشرية ومناهج الأنبياء السابقين فى محاربته .

الفصل الرابع : حالة العقائد قبيل البعثة المحمدية .

* * * * *

الفصـــــل الأول

أصالة التوحيد في البشرية ودعوة جميع رسل الله اليـــه

ويشتمل على ما يلى :

١ ـ تعريف التوحيد .

٢ ـ اسبقية التوحيد على الشرك وذكر الأدلة على ذلك .

٣ ـ خطأ بعض علماء مقارنة الأديان فى هذا الموضوع والرد عليهم .

٤ ـ التوحيد دعوة جميع الرسل .

٥ ـ انواع التوحيد والعلاقة بينها .

١ – تعريف التوحيد لغة :

التوحيد لغة قال ابن الأثير في النهاية [١] – في أسماء اللـــه الواحد – : (هو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه آخر) .

وقال الأزهري [٢] : " الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنـــي لنفي ما يذكر معه من العدد ، تقول : ما جاءني أحد ، والواحد أسم بني لمفتتح العدد ، تقول : جاءني واحد من الناس ، ولا تقول جاءنــي أحد فالواحد منفرد بالذات ، في عدم المثل والنظير ، والأحد منفـــرد بالمعنى ، وقيل : الواحد هو الذي لا يتجزأ ، ولا يثنى ، ولا يقبـــل الانقسام ، ولا نظير له ولا مثيل ، ولا يجمع هذين الوصفين الا اللـــــه تعالى " .

وفي لسان العرب [٣] : " الواحد من صفات الله تعالى معنـــاه لا ثاني له ، ولا يجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد ، فأما أحد فلا ينعت به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه ، وتقول : أحدت الله تعالى ، ووحدته وهو الواحد الأحد "

وقال الفيروز أبادي [٤] : " التوحيد الايمان بالله ، واللـــه الأوحد والمتوحد ذو الوحدانية " .

---

(١) النهاية لابن الأثير (٥/١٥٩) .
(٢) تهذيب اللغة (٥/١٩٥) .
(٣) لسان العرب (٣/٤٥١) .
(٤) القاموس المحيط (١/٣٤٤) .

وقال الراغب [١] : " الوحدة الانفراد والواحد فى الحقيقة هو الشىء الذى لا جزء له البتة ، ثم يطلق على كل موجود ، حتى أنه ما من عدد الا ويصح أن يوصف به ، فيقال عشرة واحدة ومئة واحدة وألف واحد ... " .

من هذا يتبين لنا أن مادة " وحد " وكلمة وحدة تدور حول انفراد الشىء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله ، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه ، أما اذا عدى بالتضعيف فقيل : وحد الشىء توحيدا ، كان معناه اما جعله واحدا ، أو اعتقده واحدا قال تعالى حكاية عن المشركين : (أجعل الآلهة الها واحدا) . [٢]

تعريف التوحيد شرعا :

" فتوحيد الله معناه اعتقاد أنه اله واحد لا شريك له ، ونفى المثل والنظير عنه ، والتوجه اليه وحده بالعبادة ، واذا قيل : الله واحد أو أحد ، كان معنى ذلك انفراده بماله من ذات وصفات وعدم مشاركة غيره فيها ، فهو واحد فى الهيته فلا اله غيره ، وواحد فى ربوبيته فلا رب سواه ، وواحد فى كل ما ثبت له من صفات الكمال التى لا تنبغى الا له [٣]

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى (ص ٥١٤) .

(٢) سورة ص (٥)

(٣) انظر مصرع الشرك والخرافة (ص ١٨) .

ونستطيع القول بأن التوحيد : هو الايمان الجازم بتفرد الله تعالى ووحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله ، ونفي الشركاء والأنداد عنه سبحانه اعتقادا وعملا ، على الوجه الذى جاء به الوحي الالهي على السنة الرسل عليه السلام .(١)

٢ ــ أسبقية التوحيد على الشرك وذكر الأدلة على ذلك :

لقد بدأت البشرية على التوحيد الخالص والتنزيه الكامل للـــه وحده ، وهذا ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية من أن آدم أبا البشـــر عليه السلام كان نبيا موحدا على أنقى صور التوحيد وأصفاه ، وأنه عـــرف حقيقة التوحيد وطبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق .

وقد خلق الله تعالى آدم من تراب فسواه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته الكرام .

قال سبحانه : (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طـــين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهـــم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعـــك أن تسجد لما خلقت بيدى).(٢)

وقال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتـــاب عليه وهدى).(٣)

---

(١) انظر دراسات فى التفسير الموضوعى للدكتور زاهر الالمعى (ص ١٥٧) الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .
(٢) سورة ص (٧١ ــ ٧٥).
(٣) سورة طه (١٢١ ــ ١٢٢).

ويعترف آدم عليه السلام ويقر بخطئه ويرجع الى ربه تبارك وتعالى تائبا خاضعا متذللا كما قال تعالى حكاية عن قول آدم ومعه زوجه حواء : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (١) .

وقد اهبط الله تعالى آدم الى الأرض مسلما لله متبعا لهداه كما قال تعالى : (اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو) (٢) .

كما أخذ الله تعالى الميثاق على آدم وزوجه أن يتبعا ما يأتيهما من هدى وأن يبتعدا عن سبل الشيطان وخطواته قال تعالى : (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (٣) .

ومما لا شك فيه أن آدم عليه السلام قد قام بنقل ما تلقاه عن ربه جل وعلا من العقيدة والوحى الالهى وأن ابناءه قد تلقوا هذه التعاليم بالقبول والرضا وتوارثوها من بعد أبيهم جيلا بعد جيل حتى عهد نوح عليه السلام كما سيأتى بيانه عند دعوته .

الأدلة على أسبقية التوحيد على الشرك :

ومن الأدلة على أقدمية التوحيد على الشرك ما يلى :

١ ـ انه لأهمية التوحيد قد أخذ الله العهد والميثاق من جميع البشر على التزام أحكامه وذلك قبل أن يخلقهم قال تعالى : (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) (٤) .

---

(١) سورة الاعراف (٢٣) .
(٢) ، طه (١٢٣) .
(٣) ، ، (١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٤) ، الاعراف (١٧٢) .

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح (١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به ؟ قال : فيقول : نعم فيقول : قد أردت منك ما هو أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك بي " .

٢ ـ فطرية التدين وأصالته في حياة البشرية كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . (٢)

وثبت في الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (٤) هل تحسون فيها من جدعاء (٥) " .

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٦/٣٦٣) كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته ونحوه في مسلم (٤/٢١٦٠) كتاب صفات المنافقين باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا ، وأحمد (٣/١٢٧) وهذا لفظه .

(٢) سورة الروم (٣٠)

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٣/٢١٩) كتاب الجنائز باب اذا اسلم الصبي هل يصلى عليه ومسلم (٤/٢٠٤٧) كتاب القدر حديث ٢٢ و ٢٤

(٤) أي سليمة من العيوب ، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلاجدع بها ولا كي النهاية لابن الأثير (١/٢٩٦)

(٥) أي مقطوعة الأطراف أو واحدها . النهاية لابن الأثير (١/٢٤٧) .

٣ ــ كون الناس كانوا أمة واحدة على الهدى وعلى شريعة من الحق قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[١].

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : " كان الناس أمة واحدة كانوا على الاسلام كلهم " .

قال ابن القيم[٢] : " وهذا هو القول الصحيح فى الآية " .

٤ ــ اختلاف الناس عن الحق مع توالي العصور ، فقد روى الحاكم فى المستدرك[٣] عن ابن عباس رضى الله عنه قال : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال : وكذلك فى قراءة عبد الله :" كان الناس أمة واحدة فاختلفوا " .

---

(١) سورة البقرة (٢١٣).

(٢) اغاثة اللهفان (٢/٢٠٤).

(٣) المستدرك لأبى عبد الله النيسابورى الحاكم (٢/٥٤٦) هذا وقد ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية هذا الحديث وعزاه للبخارى فى صحيحه ولفظه ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام " البداية والنهاية (١/١٠١) وعزاه فى قصص الانبياء (١/٧٤) بلفظه ، وبعد البحث لم أجد الحديث فى صحيح البخارى ، وقد ذكره السيوطى فى الاتقان (٢/١٧٥) وعزاه للحاكم فقط مع أن ابن كثير رحمه الله نفسه ذكر هنا الحديث فى التفسير عند قوله تعالى :(كان الناس أمة واحدة) سورة البقرة آيه (١١٣) وعزاه للحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه انظر تفسير ابن كثير ١/٥٩ ===

ثم قال هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ، وقد وافقه الذهبى على ذلك .(١)

وكلمة " فاختلفوا " ليست من لفظ الآية وانما ذكرها عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كتفسير لها ، ويؤيد تفسيره لهذه الآية على هذا النحو الآية الأخرى فى سورة يونس : (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون)(٢)

٥ ـ اغواء الشياطين لبنى آدم لصرفهم عن شريعة الحق كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم (٣) عن عياض المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته : " ألا ان ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا . كل مال نحلته عبدا حلال(٤) وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا) الحديث .

=== وقد رواه ابن جرير عن ابن عباس بسنده ... انظر تفسير ابن جرير (٢٢٤/٣) ~~هذا مع أن ابن كثير نفسه ذكر هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) سورة البقرة آية (٢١٣) وقال رواه الحاكم فى مستدركه عن حديث بندار عن محمد بن بشار ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه . انظر تفسير ابن كثير (٢٥٩/١)~~

(١) التلخيص مع المستدرك (٥٤٧/٢)

(٢) يونس (١٩)

(٣) صحيح مسلم (٢١٩٧/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث رقم (٦٣) ومسند أحمد (١٦٢/٤) .

(٤) قال النووى :" معنى نحلته أعطيته وفى الكلام حذف أى قال الله تعالى ===

٦ ـ ان الله تعالى أرسل الى جميع الأمم رسلا يرشدونهم إلى الخير والهدى ويحذرونهم من الشر والضلال ، ولا شك أن فى مقدمة تعليمهم وارشادهم تعريفهم بخالقهم ورازقهم ، ولم يتركوا الناس يتعرفون الى خالقهم عن طريق البحث والاجتهاد ، وقد كان هؤلاء الرسل من الكثرة بحيث انهم بلغوا البشرية كلها دعوة الله قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير). (١)

وقال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك). (٢)

ومما يدل على تبليغ الرسل لأممها أن الأمم المكذبة فى يوم القيامة تقر وتعترف بتبليغ الرسل لها دعوة الله قال تعالى : (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) (٣)

=== كل مال أعطيته عبدا من عبادى فهو حلال والمراد انكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامى وغير ذلك ، وأنها لم تصر حراما بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق " شرح النووى على مسلم (١٧/ ١٩٧).

(١) سورة فاطر (٢٤).

(٢) سورة غافر (٧٨).

(٣) سورة الملك (٨ ـ ٩).

ومن خلال الأدلة السابقة يتبين لنا بوضوح اسبقية التوحيد على الشرك . يقول الدكتور عبد الله دراز (١) : " وقد أنتصر لهذه النظرية أى فطرية التوحيد وأصالته جمهور من علماء الأجناس وعلماء الانسان ، وعلماء النفس . . . "

وقوله رحمه الله عن حقيقة التوحيد انها نظرية غير دقيق .

ويقول الدكتور جواد على (٢) " وهو رأى رجال الدين بصورة عامة "

٣ ـ خطأ بعض علماء مقارنة الأديان فى هذا الموضوع والرد عليهم :

يزعم بعض الباحثين الغربيين ـ ممن يسمون بعلماء مقارنة الأديان وكذلك مقلدتهم من الكتاب المسلمين بأن الشرك سابق على التوحيد ، وأن عبادة الاله قد تطورت من جيل الى جيل حتى وصلت الى التوحيد الخالص " حتى زعم بعضهم أن عقيدة الاله الاحد عقيدة جد حديثة ، وانها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامى " (٣)

وقد اعتمد هؤلاء على نظرية التطور والارتقاء حيث قاسوا التوحيد فى حياة البشر على نمو وتطور العلوم والصناعات ، التى تنمو وتتطور بسبب الجهد البشرى .

يقول الدكتور عبد الله دراز (٤) : " وهذه النظرية نادى بها

---

(١) بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (ص ١٠٧) .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام (٥/ ٦٠) .

(٣) انظر بحوث لدراسة تاريخ الاديان لعبد الله دراز (ص ١٠٧) .

(٤) المرجع السابق .

أنصار مذهب التطور التقدمى ، أو الاقتصادى الذى ساد فى أوربا فى القرن التاسع عشر ، فى أكثر من فرع من فروع العلوم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء . وان اختلفت وجهات نظرهم فى تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها " .

وبالنظر الى قيام الأدلة ووضوحها على أقدمية التوحيد واسبقيته على الشرك والوثنية فاننا نأسف كل الاسف لبعض الكتاب المسلمين الذين يعدون أنفسهم ويعدهم غيرهم من الباحثين المسلمين لانخداعهم بالافكار الغربية وتبنيهم لتلك النظرية الملحدة .

فهذا العقاد يقول فى مقدمة كتابه المسمى " الله " : " موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الالهية منذ أن اتخذ الانسان ربا الى أن عرف الله الواحد واهتدى الى نزاهة التوحيد "

ثم يشرح العقاد ما اجمل فى هذه العبارة فى الفصل الذى عقده بعنوان : " اصل العقيدة " فيقول (١) : " ترقى الانسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى وكذلك كانت علومه وصناعاته فليست اوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الديانات والعبادات وليست عناصر الحقيقة فى واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة فى الأخرى " الى أن يقول (٢) : " فان العالم الذى يخطر له أن يبحث فى الأديان البدائية ليثبت أن الأولين قد عرفوا الحقيقة

---

(١) الله للعقاد (ص ١٣) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٤) .

الكونية الكاملة منزهة عن شوائب السخف والغباء انما يبحث عن محال ".

وينتقل العقاد الى فصل آخر بعنوان : " أطوار العقيدة الالهية"

فيقول [(١)] : " يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة مرت بها الأمم البدائية فى اعتقادها بالالهية والأرباب وهو دور التعدد ودور التمييز والترجيح ودور الوحدانية ... "

ثم يقول [(٢)] : (فالتطور فى الديانات محقق لا شك فيه ، ولكنه لم يكن على سلم واحد متعاقب الدرجات بل كان على سلالم مختلفة تصعد من ناحية وتهبط من أخرى ".

وأخيرا قرر العقاد رأى أولئك القائلين بتطور العقيدة زاعما أن ديانة الشمس كانت الخطوة السابقة لخطوة التوحيد الصحيح ، حيث قال [(٣)] " فديانة الشمس كانت الخطوة السابقة لخطوة التوحيد الصحيح ، لأنها أكبر ما تقع عليه العين وتعلل به الخليقة والحياة ، فاذا دخلت هى أيضا فى عداد المعلومات فقد أصبح الكون كله فى حاجة الى خالق موجد للأرض والسماء والكواكب والاقمار ... وينطبق هذا الترتيب تمام الانطباق على فحوى قصة ابراهيم فى القرآن الكريم : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون انى

---

(١) الله للعقاد (ص ٢٨) .
(٢) المرجع السابق (ص ٣٢) .
(٣) " " (ص ٣٦) .

وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون)[١]

وواضح أن استدلال العقاد بهذه الآيات الكريمة دليل على انه يرى رأي العلماء الغربيين والا لما استدل بهذه الآيات ولما قال قبلها : " وينطبق هذا الترتيب تمام الانطباق على فحوى قصة ابراهيم ".

والحق الذى لا ريب فيه ان الذين يقولون ان ابراهيم عليه السلام كان متحيرا في الاهتداء الى معرفة ربه قد خالفوا الحق والصواب لأنهم استدلوا بظاهر الآيات على ان ابراهيم عليه السلام كان يريد أن يصل الى معرفة ربه حتى هداه الله تعالى في النهاية .

والحق أن أول هذه الآيات وآخرها ومضمونها يدل على أن ابراهيم عليه السلام كان يتدرج في دعوة قومه ــ عباد الكواكب ــ ليقدم لهم الدليل المحسوس على بطلان ما يعتقدونه في تلك المعبودات .

قال الامام ابن كثير رحمه الله[٢] : " والحق أن ابراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ماكانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام والكواكب السيارة وأشدها اضاءة الشمس ثم القمر ثم الزهرة فلما انتفت الالهية عن هذه الاجرام الثلاثة التى هي أنور ما تقع عليه

---

(١) سورة الانعام (٧٦ ـ ٨٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٦٣) باختصار .

الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال يا قوم انى برىء مما تشركون)

وقال صاحب الكشاف (١) : " كان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى ألا يكون شىء منها الها وأن وراءها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها وسيرها .

وقوله : " هذا ربى " قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى الى الحق ثم يكر عليه فيبطله بالحجة " .

وقال الشهرستانى (٢) : " ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الكواكب على صيغة الموافقة ، كما قال تعالى : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) أى أتيناه الحجة كذلك نريه المحجة ، فساق الالزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة فى المبدأ ، والمخالفة فى النهاية ، ليكون الالزام أبلغ والافحام أقوى ، والا فابراهيم الخليل لم يكن فى قوله " هذا ربى " مشركا ، كما لم يكن فى قوله " بل فعله كبيرهم هذا " كاذبا " .

هذا وقد كتب الدكتور مصطفى محمود كتابا سماه (٣) " الله " أيضا عرض فيه نفس الفكرة من تطور العقيدة على أيدى البشر حتى وصلت الى

---

(١) الكشاف للزمخشرى (٢/ ٣١) بتصرف .

(٢) الملل والنحل (٢/ ٥١ — ٥٣) بتصرف .

(٣) انظر كتاب " الله " لمصطفى محمود (ص ٤٧) وما بعدها .

التوحيد أخيرا ، وان كان قد ذكر بأن ذلك يمثل المجهود البشرى أما رسالات السماء فهى واحدة من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم فلا تطور ولا تبديل .

كما عثرت على كتيب لنفس المؤلف بعنوان " محمد " صلى الله عليه وسلم بدأه بالآية الكريمة : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) (١) ثم قال (٢) : " هكذا بدأت الحال بالناس أمة واحدة على الجهل والمادية والكفر وعبادة اللذة العاجلة لا يؤمنون الا بما يقع فى دائرة حواسهم ، ولا تتجاوز أشواقهم دائرة المعدة والغرائز ، ثم نزلت الكتب والرسل فتفرق الناس بين مصدق ومكذب ، وبين مؤمن وكافر ، واختلفوا شيعا وطوائف ... "

والحق أن هذه النظرية المادية هى شبيهة بنظرية من يزعمون بأن أصل الانسان قرد أوسمكة ونحو ذلك ثم تطور حتى اصبح انسانا قاتلهم الله أنى يؤفكون ".

وقد جمع هـ.ج . ولز فى كتابه معالم تاريخ الانسانية بين النظرتين فقال (٣) : " ونمت الديانة كما تنمو كل مصلحة انسانية ، ويقينا أنه لم

---

(١) سورة البقرة (٢١٣) .

(٢) انظر كتاب محمد (صلى الله عليه وسلم) لمصطفى محمود (ص٧) دار المعارف .

(٣) معالم تاريخ الانسانية ل . هـ . ج . ولز جـ ١ (ص ١٢٣ — ١٢٤) ترجمة عبد العزيز توفيق ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهره سنة ١٩٥٦ م

يكن فى مقدور الانسان البدائى بله أسلافه القردة واسلافه من الثدييات(١) أن يكون لديه اى فكرة عن الرب أو الدين ، فلم يستطع ذهنه ولا قوى فهمه أن يصبح قادرا على تصور هذه الأفكار العامة الا ببطء شديد فالدين شىء نما مع الترابط الانسانى " اهـ

أقول ما قرره بعض الباحثين الغربيين ومن أخذ برأيهم من كتاب المسلمين من كون الشرك سابق على التوحيد فيه انكار للوحى السماوى والسنة النبوية لأنهم اعتبروا الوصول الى التوحيد انما هو بسبب المجهود البشرى الناتج عن الارتقاء العقلى والتقدم الثقافى .

والحق أن عقيدة التوحيد كانت منذ خلق الله الانسان الأول على هذه الأرض الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وستبقى الى قيام الساعة ، فهى البداية وهى النهاية ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد أن البشرية قد صاحبتها عقيدة التوحيد منذ بدايتها .

بدأ بذلك نبى الله أبو البشر آدم عليه السلام ، وتلقاها من بعده أبناؤه جيلا بعد جيل ، وكلما انحرفت البشرية عن طريق الحق بسبب الجهل أو الانحراف فى الفطرة البشرية بعث الله اليها من يعيدها الى الحق والصواب .

فقد دعا نوح عليه السلام الى عبادة الله وحده واعاد الى العقيدة نقاءها وصفاءها بعد أن خرج قومه عن خط الهداية الالهية وشذوا عن طريق التوحيد الذى تقرر فى الارض منذ عهد آدم عليه السلام.

---

(١) الثدييات :الحيوانات اللبونية . قاموس الياس العصرى (ص٩٨) طبعة ١٩٨٢م .

واستمر موكب الايمان يتجدد من وقت لآخر وتوالى الأنبياء فى كل أمة يبينون للناس الحق والهدى كلما انتكسوا أوانحرفوا حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذى دعا الى التوحيد من جديد وسلك نهج سلفه من الأنبياء فى الدعوة الى الله تعالى واكمل الله به الدين وأتم به النعمة كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١)

والكتب السماوية جميعها جاءت بتقرير هذه الحقيقة ، واذا كان قد حصل تحريف أوتبديل فى الكتب السابقة على أيدى بعض الاتباع فذلك لأن الله تعالى لم يتكفل بحفظ تلك الكتب ، وأن دورها قد انتهى بانتهاء وقتها ، وقد بقى القرآن الكريم محفوظا بحفظ الله له يكشف الزيف ويبين التحريف ويهيمن على كل ما سبقه من كتاب قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٢)

وقال تعالى : (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (٣)

وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد هوأنه اذا كان قد حصل تدرج أواختلاف بين الرسالات فانماكان ذلك فى الشرائع والأحكام التى قد تناسب أمة ولا تناسب أخرى ، فمثلا الصلاة كانت مشروعة فى الأمم

---

(١) سورالمائدة (٣)
(٢) » الحجر (٩)
(٣) » المائدة (٤٨)

السابقة لكن طريقة أدائها قد يختلف من أمة الى أخرى ، وكذلك الصيام وغيره حتى بلغت حد الكمال فى الشريعة الاسلامية الخاتمة التى نسخت كل ما لا يتفق مع الشريعة الوافية والصالحة لكل زمان ومكان .

قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .(١)

وقال تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير)(٢)

اما أصول الشرائع فهى واحدة فى لبها ومضمونها وجوهرها لم تختلف ولم تتغير كما قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)(٣)

أما استدلال القائلين بأسبقية الوثنية على التوحيد بآثار الحفريات(٤) التى زعموا بأنها تدل على أن الناس فى بادئ الأمر قد تدينوا بالوثنية ثم تطورت عباداتهم مع تطورهم الفكرى ، فان ذلك ما هو الا مجرد التخمينات والتخرصات الوهمية والتى لا تقاوم القرآن الكريم والسنة الثابتة .

ومن الممكن والمعقول جدا أن تكون تلك الآثار التى اكتشوها قد وقعت لذرية آدم عليه السلام فقد تكون لقوم نوح أو لقوم هود أو لقوم صالح أو لقوم

---

(١) سورة المائدة (٤٨) .

(٢) « البقرة (١٠٦) .

(٣) « الشورى (١٣) .

(٤) انظر كتاب الايمان كما يصوره الكتاب والسنة للدكتور علي عبد المنعم ص (٤٦) دار البحوث العلمية الكويت ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ

ابراهيم أو لقوم شعيب أو لقوم موسى فقد حدث الشرك فى أقوام أولئك الأنبياء عليهم وعلى نبينا السلام كما سيأتى بيانه ، والدليل متى تطرق اليه الاحتمال فلا يصح ان يكون دليلا يحتج به ، فكيف وأدلتهم تصطدم بنصوص القرآن والسنة ؟

٤ ـ التوحيد دعوة جميع الرسل

والدعوة الى الايمان بالله تبارك وتعالى وافراده بالعبادة والتذلل اليه ، والانقياد لأمره وحكمه ، وتنزيهه عن الند والصاحبة والولد ، هى القضية الأساسية التى من أجلها بعث الله جميع انبيائه ورسله ، وقد جاء ذلك واضحا جليا فيما قصه الله تعالى علينا فى القرآن الكريم من دعوة الرسل الى أممهم وأقوامهم .

قال تعالى عن نوح عليه السلام : (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره) (١)

وقال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (٢)

وقال سبحانه عن هود عليه السلام : (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (٣)

---

(١) الاعراف (٥٩)

(٢) هود (٢٥ ـ ٢٦)

(٣) الاعراف (٦٥) ومثلها آية (٥٠) من سورة هود .

وقال جل ذكره عن صالح عليه السلام : (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره)[(١)]

وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)[(٢)]

وقال تعالى : (وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)[(٣)]

وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام : (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون)[(٤)]

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)[(٥)]

---

(١) الاعراف (٧٣) وهود (٦١) .
(٢) الانعام (٧٩)
(٣) العنكبوت (١٦)
(٤) البقرة (١٣٣)
(٥) يوسف (٣٨ — ٤٠)

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام : (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) (١)

وقال عن موسى عليه السلام : (قال اغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين) (٢)

وقال عن عيسى عليه السلام : (ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٣)

أما عن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعث بالدعوة العالمية الشاملة ، وبالبيان الأكمل فى شأن الدين كله عامة ، والتوحيد منه خاصة ، وقد أمره القرآن العظيم بأتم الحجج والبرهين الدالة على وحدانية الله ، وسجل أقاويل ومزاعم الكفار والردود عليها ، حتى تكون حجة الله بالغة باهرة الى يوم الدين ، وحتى لا تكون للناس على الله حجة بعد ختم النبوة ، لأن القرآن الكريم هو صوتها الممدود ، ودعاؤها الموصول الى قيام الساعة ، وفيه أكمل حديث عن التوحيد تقريرا ، واثباتا ، وردا على المشركين والملحدين ، وابطالا للشرك وكل ضروب الوثنية والانحراف عن التوحيد .

ويكفى هنا ان اذكر مثالا واحدا لما امره الله به أن يقوله للناس فى كلمات موجزة جامعة (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (٤)

---

(١) الاعراف (٨٥) هود (٨٤)
(٢) « (١٤٠)
(٣) آل عمران (٥١)
(٤) سورة الاخلاص بتمامها .

وما هذه الرسالة الا محاولة فى بيان مسلك القرآن فى دعـــــوة المشركين وما اقامه عليهم من حجج وبراهين .

ومما لا شك فيه أن كل نبى أو رسول قد دعا قومه الى كلة التوحيـــــد بنصها أو معناها ، قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (١)

قال القرطبى رحمه الله عند (٢) قوله : " أنه لا اله الا أنـــــا فاعبدون " " أى قلنا للجميع لا اله الا الله ، فادلة العقل شاهدة أنـــه لا شريك له ، والنقل عن جميع الأنبياء موجود ، والدليل اما معقول واما منقول وقال قتادة : لم يرسل نبى الا بالتوحيد ، والشرائع مختلفة فـــى التوراة والانجيل والقرآن وكل ذلك على الاخلاص والتوحيد ".

وقال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا مـن دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) (٣)

وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فــى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (٤)

فهذه مهمة الرسل من أولهم الى آخرهم الدعوة الى عبادة الله تعالى

---

(١) الانبياء (٢٥)

(٢) تفسير القرطبى جـ ١١ ص (٢٨٠)

(٣) الزخرف (٤٥)

(٤) النحل (٣٦)

وحده وافراده بالألوهية الصحيحة فلا شريك له ولا ند ولا صاحبة ولا ولد .

والتوحيد أهم أصل من أصول الدعوة الى الله وأهم صفة يتصف بها أولياء الله ، واهم عنصر من عناصر الحكمة وبيان ذلك ما يلى :

١ ـ ماجاء بشأن لقمان فى وصيته لابنه وتحذيره له من الشرك قال تعالى :

(واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) (١)

٢ ـ ما ذكره الله تعالى عن اتصاف أهل الكهف بالتوحيد فى قوله تعالى :

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) (٢)

٣ ـ واثنى الله تعالى على مؤمن آل فرعون فوصفه بالتوحيد كما قال تعالى :

(ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار . تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ، لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) (٣)

كما أن الدين الذى بعث الله به رسله من أولهم الى آخرهم انما هو

---

(١) لقمان (١٣)
(٢) الكهف (١٣ ـ ١٥)
(٣) غافر (٤١ ـ ٤٣)

الاسلام يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [١] : " وكان دينه الذى ارتضاه لنفسه هو دين الاسلام ، الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، ولا يقبل من أحد دينا غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما اخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده الى الحواريين " .

وقد استشهد رحمه الله تعالى ببعض الآيات الكريمة وأنا اذكرها مع التصرف فى الترتيب :

قال تعالى عن نوح عليه السلام : (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر . ان أجرى الا على الله وأمرت أن اكون من المسلمين) [٢]

وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) [٣]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١١)

(٢) يونس (٧١ — ٧٢)

(٣) البقرة (١٣٠ — ١٣٢)

وقال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) (١)

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) (٢)

وقال تعالى عن انبياء بني اسرائيل : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) (٣)

وقال تعالى عن المسيح عليه السلام : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (٤)

وقال تعالى : (واذ أوحيت الى الحواريين أن أمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) (٥)

وقال تعالى عن السحرة أنهم قالوا لفرعون : (وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) (٦)

---

(١) يوسف (١٠١)
(٢) يونس (٨٤)
(٣) المائدة (٤٤)
(٤) آل عمران (٥٢ — ٥٣)
(٥) المائدة (١١١)
(٦) الاعراف (١٢٦)

وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن : (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (١)

ثم يعلق رحمه الله على هذا بقوله (٢) : " فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء واتباعهم ، هو دين الاسلام ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وعبادته تعالى فى كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام ، فلا يكون عابدا له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله ".

ومن هذا يتبين أن الأنبياء كلهم وكذلك أتباعهم يذكر الله تعالى أنهم كانوا مسلمين وهذا مما يبين أن قوله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (٣)

وقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (٤) لا يختص بمن بعث اليه محمد صلى الله عليه وسلم بل هو حكم عام فى الأولين والآخرين ، ولهذا قال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) (٥)

وقال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٦)

---

(١) النمل (٤٤)
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٢)
(٣) آل عمران (١٩)
(٤) " " (٨٥)
(٥) النساء (١٢٥)
(٦) البقرة (١١١ — ١١٢)

٥ ـ انواع التوحيد والعلاقة بينهما :

اشار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الى أن التوحيد الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه نوعان . حيث قال :[١] " وسورة (قل هو الله أحد) فيها التوحيد القولى العملى الذى تدل عليه الاسماء والصفات وسورة (قل يا أيها الكافرون) فيها التوحيد القصدى العملى .. "

وقال الامام ابن القيم رحمه الله [٢] : " التوحيد نوعان : نوع فى العلم والاعتقاد . ونوع فى الارادة والقصد ، ويسمى الأول التوحيد العلمى ، والثانى التوحيد القصدى الارادى . لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة . والثانى بالقصد والارادة ، وهذا الثانى أيضا نوعان : توحيد فى الربوبية ، وتوحيد فى الالهية فهذه ثلاثة أنواع ".

ولما تحدث ابن القيم عن التوحيد عند الطوائف الباطلة كالفلاسفة والاتحادية ، والجهمية ، والقدرية ، والجبرية .. قال : وأما التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه فهو وراء ذاك كله وهو نوعان : توحيد فى المعرفة والاثبات ، وتوحيد فى المطلب والقصد .

فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى ، وأسمائه ، وصفاته وأفعاله ، وعلوه فوق سمواته على عرشه ، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده ، واثبات عموم قضائه وقدره وحكمه ".

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٦٦) وانظر مجموع الفتاوى (٣/٣) .
(٢) مدارج السالكين (٣٣/١)
(٣) " " (٤٦٨/٣)

النوع الثانى : مثل ما تضمنته سورة : (قل يا أيها الكافرون) وقوله : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية .[١]

وقال الامام الطحاوى رحمه الله[٢] : " فان التوحيد يتضمن ثلاثة أنــــواع :

أحدها : الكلام فى الصفات ، والثانى : توحيد الربوبية ، وبيان أن الله وحده خالق كل شئ ، والثالث : توحيد الالهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له " .

وقد تحدث الطحاوى رحمه الله عن هذه الأنواع من التوحيد ثم عقد موضوعا بعنوان " التوحيد الذى دعت اليه الرسل " قال فيه[٣] : " ثم ان التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد الاثبات والمعرفة ، وتوحيد فى الطلب والقصد .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعالــــه واسمائه ، ليس كمثله شئ فى ذلك كله كما أخبر عن نفسه وكما أخبر رســوله صلى الله عليه وسلم .

والثانى : توحيد فى الطلب والقصد .

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمى رحمه الله[٤]" التوحيد نوعان :

---

(١) سورة آل عمران (٦٤)

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٧٦)

(٣) « « « (ص ٨٨)

(٤) معارج القبول (١/ ٥٤)

الأول : التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن اثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات .

والثاني : التوحيد الطلبي القصدي الارادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والاخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربا والها ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء وهو توحيد الالهية .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١) : " وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الاسماء والصفات ".

ومما سبق يتبين لنا أن العلماء المحققين قد اختلفت عباراتهم في أنواع التوحيد وأقسامه ، فمنهم من جعل التوحيد يرجع الى قسمين هما التوحيد القولي العلمي أو العملي والثاني التوحيد القصدي العملي .

ومنهم من قال التوحيد في العلم والاعتقاد وفي القصد والارادة .

ومنهم من قال في المعرفة والاثبات وفي الطلب والقصد .

ومنهم من جعله ثلاثة أنواع هي توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية وتوحيد الاسماء والصفات .

---

(١) مجموعة التوحيد (ص ٣) وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ٣٢) ومصرع الشرك والخرافة (ص ١٩).

وبالتأمل في هذه الأقوال نجد أن ما يبدوا عليها من خلاف ليس على ظاهره وانما هو مجرد خلاف في اللفظ والشكل فقط والفرق بين من قسم التوحيد الى نوعين وبين من جعله ثلاثة انواع هو : أن من قسم التوحيد الى نوعين فانه أدخل توحيد الاسماء والصفات في توحيد الربوبية ، ومن جعله ثلاثة اقسام فانه قد افرد توحيد الاسماء والصفات بقسم خاص وذلك لوقوع النزاع فيه كما سيأتي .

وبعد استعراض أقوال العلماء رحمهم الله في تقسيم أنواع التوحيد أود أن أشير الى معرفة هذه الانواع بايجاز :

أ ـ فأما توحيد الربوبية : فهو توحيد الله بأفعاله كالاقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لشؤون خلقه النافع الضار المنفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي بيده الأمر كله ، وبيده الخير كله .

وهذا التوحيد لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الاقرار به اعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) (١)

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون وقد كان مستيقنا به في الباطن كما قال له موسى عليه السلام : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لأظنك يا فرعون مثبورا) (٢)

---

(١) ابراهيم (١٠)
(٢) الاسراء (١٠٢)

وقال تعالى عنه وعن قومه : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلـــوا)[١]

ولهذا لما قال : (ومارب العالمين) على وجه الانكار والجحـــود قال له موسى : (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين : قـال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال ان رسولكـم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون)[٢]

أما مشركوا العرب فانهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية وأن اللـــه تعالى خالق السموات والأرض ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله : (ولئـــن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)[٣]

وقوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون)[٤] الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ولم يكن المشركون يعتقدون فى الاصنام أنها مشاركه لله فى خلق العالم ، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركى الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم .[٥]

ولكن اقرارهم بهذا التوحيد لم يدخلهم فى الاسلام بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاتلهم واستحل دماءهم واموالهم[٦] وهو مـــــن

---

(١) النمل (١٤)
(٢) الشعراء (٢٤ — ٢٨)
(٣) لقمان (٢٥)
(٤) المؤمنون (٨٤ — ٨٥)
(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٧٩)
(٦) مجموعة التوحيد (ص ٣)

الحجة عليهم .[١]

ب ـ وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو اعتقاد ثبوت ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم اثباتا ونفيا ، فيثبت لله ما اثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه كالعلم والقدرة ، وأنه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، على العرش استوى ، وينزل لفصل القضاء ونحو ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الامام أحمد رحمه الله :[٢]

" لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث ".

ويوضح شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هذا التوحيد فيقول :[٣]

" فالأصل فى هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيا واثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما أثبته من الصفات

---

(١) مجموعة الفتاوى (١/ ٢٣)

(٢) العقيدة الواسطية (ص ١٠)

(٣) مجموعة الفتاوى (٣/ ٣ ـ ٤)

من غير الحاد لا في أسمائه ولا في آياته ، فان الله تعالى ذم الذيـــن يلحدون في اسمائه وآياته كما قال تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (١)

وقال تعالى : (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) (٢)

وذكر شيخ الاسلام رحمه الله ان طريقة سلف الأمة وأئمتها " تتضمن اثبات الاسماء والصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو الســـميع البصـــير) (٣)

وبين رحمه الله ان في قوله : (ليس كمثله شيء) رد للتشبيـــــه والتمثيل ، وفي قوله (وهو السميع البصير) رد للالحاد والتعطيـــل ثم قال : والله سبحانه بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل ، فأثبتـــوا لله الصفات على وجه التفصيل ، ونفوا عنه مالا يصل له من التشبيـــــه والتمثيل) انتهى .

وهذا التوحيد لا يكفي أيضا في حصول الاسلام من الشخص بمجـــرد الاعتراف به ، بل لابد مع ذلك من الاتيان بلازمه ، من توحيد الربوبية

---

(١) الاعراف (١٨٠)

(٢) فصلت (٤٠)

(٣) الشورى (١١)

وتوحيد الالهية ، والمشركون كانوا يقرون بجنس هذا النوع من التوحيد ، وان كان بعضهم قد ينكر بعضه ، اما جهلا ، واما عنادا ، كما قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامه ، فأنزل الله فيهم : (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) (١)

قال ابن كثير : (٢) " والظاهر أن انكارهم هذا انما هو جحود وعناد وتعنت فى كفرهم ، فانه قد وجد فى بعض اشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال ابن جرير وقد انشد بعض الجاهلية الجهال :

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها * الا قضب الرحمن ربى يمينها

وقال سلامة بن جندب الطهوى :

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم * وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق (٢)

قال صاحب تيسير العزيز الحميد : (٣) " قلت ولم يعرف عنهم انكار شىء من هذا التوحيد الا فى اسم الرحمن خاصة ، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبى صلى الله عليه وسلم كما ردوا عليه توحيد الالهية " .

وجاء فى كتاب مصرع الشرك والخرافة (٤) : " ولم يقع فى هذا

---

(١) الرعد (٣٠)

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٢٠) وانظر تفسير ابن جرير الطبرى (١ / ٥٨)

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٥)

(٤) مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد الحاج (ص ٢) والعقائد السلفية (١ / ٤٨)

التوحيد خلاف في القرن الأول ، بل كانوا مطبقين على ذلك وانما وقع النزاع فيه في أوائل القرن الثاني . وأول من عرف عنه القول بنفي الأسماء والصفات هو الجهم بن صفوان ، تابعا للجعد بن درهم ، وفي اوائل المائه الثالثة فشت هذه المقالة ، وكان المتصدر لنشرها والدعوة اليها ، بشر المريسي في عصر المأمون ... "

جـ ـ أما توحيد الالهية : فهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد ، وهو مبني على اخلاص التأله لله تعالى وحده وافراده بجميع أنواع العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والدعاء والنذر والنحر والخوف والرجاء والتوكل والانابة والرغبة والرهبة وغير ذلك من انواع العبادات والقربات .

ويسمى هذا التوحيد : توحيد العبادة ، وقد عرفها شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : (١) " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة .. "

وينبني على ذلك اخلاص العبادات كلها لله تعالى فرضها ونفلها باطنها وظاهرها فلا يجعل فيها شيئا لغير الله تعالى لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن ما سواهما .

وهذا التوحيد هو المطلوب من العباد انسهم وجنهم ولأجله خلقوا قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٢)

---

(١) العبودية (ص ٤)
(٢) الذاريات (٥٦)

وهو دعوة جميع الرسل كما قال تعالى : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)(١)

وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٢)

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الاسلام الذى لا يقبل الله من أحد غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم(٣) : (بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت).

وهو حق الله على العباد كما جاء في الصحيحين(٤) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " أتدرى ماحق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال : " حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " .

---

(١) الأنبياء (٢٥)
(٢) النحل (٣٦)
(٣) صحيح البخارى (١/ ٨) كتاب الايمان باب اقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وصحيح مسلم (١/ ٤٥) كتاب الايمان باب بيان اركان الاسلام.
(٤) صحيح البخارى بشرح الفتح (٦/ ٥٨) كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ، وصحيح مسلم (١/ ٥٨) كتاب الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، والجامع الصحيح للترمذى (٥/ ٢٦) كتاب الايمان باب ماجاء في في افتراق هذه الامه ، ابن ماجه (٢/ ١٤٣٥) كتاب الزهد باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة ، وأحمد في المسند (٢/ ٣٩).

العلاقة بين أنـــواع التوحيـــــــد

أما العلاقة بين أنواع التوحيد فهي علاقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض فمن أتى بنوع منها دون الآخر فانه لم يأت بالتوحيد على وجه الكمال المطلوب . فالاقرار بتوحيد الربوبية وحده ، لا يكفي لتحقيق معنى التوحيد المطلوب من العبد شرعا ، وأن العبد لا يكون موحدا التوحيد الذي يمنع صاحبه من القتل والأسر في الدنيا ومن عذاب النار في الآخرة بمجرد اعتقاده أن الله هو الخالق الرازق المدبر للأمور جميعا ، المجيب الدعاء عند الاضطرار ، لأن هذا التوحيد كان يقربه المشركون قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)(١)

وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون)(٢)

وقال تعالى : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله)(٣)

وقال تعالى : (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون)(٤)

---

(١) يونس (٣١)
(٢) الزخرف (٨٧)
(٣) العنكبوت (٦٣)
(٤) النمل (٦٢)

فهم مع اقرارهم بجميع ذلك واعترافهم بأن الله واحد في هذه الأمور لم يدخلوا بذلك في الاسلام ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم . ولذلك فانه لابد مع الاقرار بتوحيد الربوبية من الاتيان بتوحيد الالهية الذي هو الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والذي من أجله خلق الله الخلق ، وجعل الجنة والنار وفرق الناس الى سعداء واشقياء . ومن المهم في توحيد الالهية أن تصرف جميع العبادات لله تعالى والاخلاص له فيها ، سواء كانت هذه العبادات قلبية كالحب والخوف والاخلاص ، والتوكل والصبر والتعظيم والرضا والتسليم وغيرها أو كانت عبادات قولية كالدعاء والذكر والتسمية والاستعاذة والاستغاثة والحلف والتوسل والشفاعة وغير ذلك . أو كانت عبادات بدنية عملية مثل الصلاة من سجود وركوع وتسليم وكالصيام والحج والطواف والسعي ، والجهاد والرحلة في طلب العلم وغير ذلك . أو كانت عبادات مالية كالزكاة والصدقات والذبائح والنذور وغيرها .

وتوحيد الاسماء والصفات ((لا يكفي وحده بل لابد مع ذلك من الاتيان بلازمه من توحيد الربوبية وتوحيد الالهية))[1] كما تقدم .

جاء في معارج القبول للحكمي[2] : " فانه لا يكون الها مستحقا للعبادة الا من كان خالقا رازقا مالكا متصدقا (متصرفا) مدبرا لجميع الأمور حيا قيوما

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ١٩) المكتبة السلفية .

(٢) معارج القبول (١/ ٣٥٠ — ٣٥١)

سميعا بصيرا عليما حكيما موصوفا بكل كمال منزها عن كل نقص ، غنيا عما سواه مفتقرا اليه كل ما عداه ، فاعلا مختارا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا تخفى عليه خافية ، وهذه صفات الله عز وجل لا تنبغي الا له ولا يشركه فيها غيره ، فكذلك لا يستحق العبادة الا هو ولا تجوز لغيره فحيث كان متفردا بالخلق والانشاء والبدء والاعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب افراده بالعبادة دون من سواه لا يشركه معه في عبادته أحد .

وبعد أن تحدثت عن معنى التوحيد وأصالته في البشرية ، وأنه دعوة جميع الرسل وأنواعه أود أن نعرف معنى الشرك وأنواعه وبعض صوره في الاعتقاد وفي العبادات وبعض المعبودات التي عبدت من دون الله تعالى في الفصل التالي .

* * * * *

الفصـــل الثـــانى

معـنى الشـــرك وبعـض صـــــــوره

ويشتمل على ما يلى :

١ – تعريف الشـــرك لغة .

٢ – مواضع ورود كلمات الشرك فى القرآن الكريم :

٣ – تعريف الشـرك شرعا .

٤ – انواع الشرك .

٥ – الفرق بين الشرك والكفر .

٦ – صور من الشرك فى الاعتقاد .

٧ – صور من الشرك فى العبادات .

٨ – صور من المعبودات من دون الله .

الفصل الثاني
معنى الشرك وبعض صوره

١ ـ تعريف الشرك لغة :

جاء في لسان العرب [(١)] " الشِّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سواء : مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ، والشريك المشارك ، والشرك كالشريك والجمع أشراك وشركاء ، وطريق مشترك يستوى فيه الناس ، واسم مشترك فيه معان كثيرة : كالعين ونحوها ، واشرك بالله جعل له شريكا في ملكه تعالى الله عن ذلك ، والاسم الشرك ، قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه (يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) [(٢)]

والشرك أن يجعل لله شريكا في ربوبيته ، تعالى الله عن الشركاء والانداد " .

وجاء في مقاييس اللغة [(٣)] " الشين والراء والكاف أصلان ، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر يدل على امتداد واستقامة

فالأول : الشركة وهو أن يكون الشئ بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ، ويقال شاركت فلانا في الشئ اذا صرت شريكه ، وأشركت

---

(١) لسان العرب (١٠/٤٤٨ ـ ٤٤٩)

(٢) سورة لقمان (١٣)

(٣) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥)

فلانا اذا جعلته شريكا لك .

قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : (... واشركه فى أمرى)(١)

ويقال فى الدعاء : " اللهم أشركنا فى دعاء المؤمنين " أى جعلنا لهم شركاء فى ذلك الدعاء .

وأما الثانى : فالشرك : لَقَمَ الطريق ، وهو شراكه أيضا ، وشراك النعل مشبه بهذا ، ومنه شرك الصائد سمى بذلك لأمتداده "

وفى تهذيب اللغة (٢) : " الشرك بمعنى الشريك وهو بمعنى النصيب وجمعه أشراك كشبر وأشبار : " والشرك حبائل الصائد ، وكذلك ما ينصب للطير وفى الحديث : " اعوذ بك من شر شيطان وشركه " أى حبائله ومصائده ، يعنى ما يدعو اليه ويوسوس به من الاشراك بالله تعالى " .

وفى حديث تلبية الجاهلية (٣) : " لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك " يعنون بالشرك الصنم ، يريدون أن الصنم وما يملكه ويختص به من الآلات التى تكون عنده وحوله من النذور التى كانوا يتقربون بها اليه ملك لله تعالى .. "

---

(١) طه (٣٢)

(٢) تهذيب اللغة (١٠/١٧ – ١٨)

(٣) النهاية لابن الاثير (٢/٤٦٧) الاصنام (ص ٧) سيرة ابن هشام (١/٧٨) البداية والنهاية (٢/١٨٨) اغاثة اللهفان (٢/٢١٠ – ٢١١) الفتاوى لابن تيمية (١/١٥٦) .

وفى القاموس المحيط[1] : " واشرك بالله كفر "

وفى المفردات فى غريب القرآن[2] : " يقال اشرك فلان بالله وذلك اعظم كفر " .

ومن هذا يتبين لنا أن كلمة الشرك فى اللغة تطلق على المخالطة والنصيب ، والتسوية ، والكفر ، وحبائل الصائد ، والند والمثل والشبيه والكفء والنظير ونحوها .

٢ – مواضع ورود كلمات الشرك فى القرآن الكريم :

والقرآن الكريم يكشف لنا هذا الأمر الخطير فى الفاظ متعدد ، ليتضح امره للناس ويبتعدوا عنه فقال تعالى : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)[3] .

قال ابن جرير[4] : " والأنداد جمع ند والند : العدل والمثل كما قال حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء

يعنى ولست له بند : لست له بمثل ولا عدل ، وكل شىء كان نظيرا لشىء وشبيها ، فهو له ند " .

---

(١) القاموس المحيط (٣/ ٣٠٨)

(٢) المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٥٩)

(٣) البقرة (٢٢)

(٤) تفسير ابن جرير (١/ ١٦٣)

ونقل ابن جرير رحمه الله كلام العلماء فى معنى الانداد فى الآية

فعن قتادة ومجاهد : " أندادا " أى عدلاء .

وعن ابن مسعود : " اندادا " قال أكفاء من الرجال تطيعونهم فى معصية الله .

وعن ابن عباس " أندادا " قال : اشباها .

وعن عكرمة : " أندادا " أى تقولون لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ، ولولا كلبنا صاح فى الدار ونحو ذلك .[١]

وقال ابن كثير رحمه الله[٢] : " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " أى لا تشركوا بالله غيره من الانداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذى لا شك فيه " .

ونقل ابن كثير عن ابى العالية قوله : " فلا تجعلوا لله أندادا" أى عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك واسماعيل بن أبى خالد "[٣]

وروى ابن جرير[٤] عن ابن عباس رضى الله عنهما "أن هذه الآية تعنى جميع المشركين من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب قال ابن عباس نزل ذلك فى الفريقين جميعا الكفار والمنافقين وانما عنى بقوله :

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٦٣)
(٢) « « كثير (١/ ٥٨)
(٣) المرجع السابق والصفحة
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ١٦٤) وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٨)

(فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أى لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذى تدعوكم اليه الرسل من توحيده هو الحق لا شك فيه)

ومن الآيات التى جاء فيها ذكر الأنداد قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (١)

وقوله تعالى : (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) (٢)

وقوله تعالى : (قل أ انكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين) (٣)

واطلق الشرك على العدول والتسوية قال تعالى : (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (٤)

قال الطبرى (٥) : " يعدلون يجعلون له شريكا فى عبادتهم اياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان ، وليس منها شىء شركه فى خلق شىء من ذلك ، ولا فى انعامه عليهم بما أنعم به عليهم ، بل المنفرد بذلك كله ، وهم يشركون فى عبادتهم اياه غيره ".

---

(١) البقرة (١٦٥)

(٢) ابراهيم (٣٠)

(٣) فصلت (٩)

(٤) الانعام (١)

(٥) تفسير الطبرى (٧/١٤٤)

وقال مجاهد : " يعدلون " يشركون ".[1]

وقال ابن كثير[2] : " أى كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا ".

كما أطلق الشرك على الأرباب قال تعالى : (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)[3]

قال ابن جرير[4] : " فان اتخاذ بعضهم بعضا هو ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا)[5]

وعن عدى بن حاتم قال[6] : " أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال : " يا عدى اطرح عنك هذا الوثن من عنقك " فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ هذه الآية : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال قلت : يارسول الله انا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قال قلت : بلى قال : فتلك عبادتهم ".

---

(١) تفسير ابن جرير (٧/ ١٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٣)

(٣) آل عمران (٦٤)

(٤) تفسير ابن جرير (٣/ ٣٠٤)

(٥) التوبة (٣١)

(٦) الجامع الصحيح للترمذى (٥/ ٢٧٨) كتاب التفسير ، سورة التوبة ، ورواه ابن جرير فى تفسيره (١٠/ ١١٤) ، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣).

وقد نفى الله تعالى عن نفسه الكفء والشبيه والنظير قال تعالى :

(.. ولم يكن له كفوا أحد)[(١)]

ومن هذا يظهر لنا أن معنى الشرك من خلال آيات القرآن لا يختلف عن ما جاء فى كتب اللغة اذ أن معناه يدور حول المثيل والشبيه والنظير والأرباب والعديل أو العدلاء ، ~~والكفء واتخاذ الصاحبة والولد~~ .

٣ ـ تعريف الشرك شرعا :

أما الشرك فى الشرع : فهو أن يصرف العبد شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى من أصنام أو أوثان أو اشجار أو احجار أو أنس أو جن أو قبور أو أجرام سماوية أو قوى طبيعية أو غير ذلك .

وقد عرفه الذهبى بقوله[(٢)] : " هو أن تجعل لله ندا وهو خلقك وتعبد معه غيره ... "

ومن خلال التعريف يتبين لنا أن من صرف شيئا من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر والصلاة والاستغاثة والخوف والرجاء والتوكل ونحوها لغير الله تعالى فقد اشرك بالله عز وجل .

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة الشرك وعظم جرمه ففى الصحيحين[(٣)] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : " أن تجعل لله

---

(١) سورة الاخلاص (٤)

(٢) كتاب الكبائر (ص ٣٨) مؤسسة علوم القرآن .

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/١٦٣) كتاب التفسير ===

ندا وهو خلقك .. " الحديث .

وفي الصحيحين [١] عن أبي بكرة عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور .." الحديث .

فالشرك أكبر الكبائر وأعظم الذنوب لأنه تنقص برب العالمين وانتهاك لحقه تبارك وتعالى فقد ثبت في الصحيحين [٢] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .. "

=== باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا)
وصحيح مسلم (١/ ٩٠) كتاب الايمان ، باب كون الشرك أكبر الذنوب .. حديث رقم ١٤١

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٠/ ٤٠٥) كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ، وصحيح مسلم (١/ ٩١) كتاب الايمان باب بيان الكبائر واكبرها حديث رقم ١٤٣

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح (٦/ ٥٨) كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار .
وصحيح مسلم (١/ ٥٨) كتاب الايمان حديث رقم ٤٨

٤ ـ انواع الشـــرك :

وشرك الانسان فى الدين نوعان : (١)

احدهما : الشرك العظيم : وهو اثبات شريك لله تعالى ،
قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٢)

وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) (٣)

وقال تعالى : (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٤)

وقال تعالى حكاية عن قول لقمان : (... ان الشرك لظلـــم عظيم) (٥)

والثانى : الشرك الأصغر وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٦)

والآية كما تدل على نعى المشركين بالشرك الأكبر كما قال ابن عباس رضى الله عنه من ايمانهم أنهم اذا قيل لهم : من خلق السموات ومـــن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله وهم مشركون به .

---

(١) انظر المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٥٩)
(٢) النساء (٤٨)
(٣) ، (١١٦)
(٤) المائدة (٧٢)
(٥) لقمان (١٣)
(٦) يوسف (١٠٦)

وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبى وقتادة والضحاك وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم [١] فانها تشير الى ما يتخلل الافئدة وينغمس به الأكثرون من الشرك الخفى الذى يشعر صاحبه به غالبا ، ومنه قول الحسن البصرى فى هذه الآية : [٢] " ذاك المنافق يعمل اذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك ".

وقال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [٣]

قال الامام ابن القيم رحمه الله [٤] : " وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه وهو ان يتخذ من دون الله ندا ، يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذى تضمن تسوية المشركين برب العالمين .. "

ثم قال " وأما الشرك الأصغر : فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي الا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب قائله ومقصده " اهـ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٢)
(٢) المرجع السابق والصفحة
(٣) الكهف (١١٠)
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٦٨ — ٣٧٣)

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من الشرك الخفى وأخبر أنـــه يخافه على أمته أكثر مما يخافه عليهم من المسيح الدجال .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال [١] : خرج علينـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قال قلنا : بلى ، فقال : " الشرك الخفى : أن يقوم الرجل يصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجـــل "

٥ ـ الفرق بين الشرك والكفر :

وقد يسأل سائل عن الفرق بين الشرك الذى نتحدث عنه وبيـن الكفر ؟ أو بين المشركين وأهل الكتاب ونحو ذلك ؟

والجواب : أن الكفر فى اللغة معناه الستر والتغطية [٢]

وقد وصف به الليل لستره الأشياء ، والزراع لستره البذور فـــى الأرض ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك شكرها قال تعالى : (فـــلا كفران لسعيه ..) [٣] وأعظم الكفر جحود الوحدانيه أو الشريعة أو النبوة ، والكفران فى جحود النعمة أكثر استعمالا ، والكفر فى الديـــن

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/١٤٠٦) كتاب الزهد باب الرياء والسمعـــة حديث رقم ٤٢٠٤ ونحو فى مسند الامام أحمد (٣/٣٠) .

(٢) لسان العرب (٥/١٤٦ ـ ١٤٧) مقاييس اللغة (٥/١٩١) .

(٣) الأنبياء (٩٤)

أكثر والكفور فيهما جميعا قال تعالى : (فأبى الظالمون الا كفورا) (١)

والكافر على الاطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها . (٢)

وقد فرق القرآن الكريم فى كثير من الآيات بين الكافرين عموما وبين أهل الكتاب من جهة وبين المشركين من جهة أخرى .

وان كان هؤلاء جميعا يتفقون فى معارضة الدين أو رسالة نبى من الأنبياء أو إيذاء رسول من الرسل ، كما قد يشتركون جميعا فى إيذاء المؤمنين ولكنهم فى طبيعة العقيدة يختلف كل منهم عن الآخر .

قال تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) (٣)

وقال تعالى : (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا) (٤)

وقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٥)

كما بين القرآن الكريم ما عليه أهل الكتاب من الدعاوى الباطلة من

---

(١) الاسراء (٩٩)

(٢) انظر المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى (ص ٤٣٣ — ٤٣٤) .

(٣) البقرة (١٠٥)

(٤) آل عمران (١٨٦)

(٥) المائدة (٨٢)

زعمهم أن الهداية فى اتباع اليهودية أو انها فى اتباع النصرانية وبين أن تلك الدعاوى لم تكن عن دليل أو شبهة بل هى مجرد جحود وعناد وبين أن ابراهيم عليه السلام كان مائلا عن الأديان كلها الى الدين القيم ولم يكن من المشركين بالله غيره .

قال تعالى : (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)(١)

وقال تعالى : (ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين).(٢)

وقال تعالى : (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)(٣)

ونجد تفصيلا أكثر بين مجموعة المهتدين ومجموعات الكافرين فى قوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد)(٤)

وآيات سورة البينة تجمل الكفر ثم تفصل بين أهل الكتاب والمشركين سواء فى طبيعة تقبلهم للهداية أو فى المصير المنتظر لهم . قال تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)

---

(١) البقرة (١٣٥)
(٢) آل عمران (٦٧)
(٣) الانعام (١٦١)
(٤) الحج (١٧)

الى أن تقول الآيات : (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) (١)

وقد يطلق الكفر على من كفر بالنعمة كقوله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) (٢)

وقد يطلق على من ترك ركنا من اركان الدين كما فى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) (٣)

واطلاق الكفر على من كفر بالله وجحد أولهيته مطلقا فكثير فى القرآن كما فى قوله تعالى : (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا . . .) (٤)

وقوله تعالى : (ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير) (٥).

وقوله : (لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر) (٦)

وقد يطلق على المشركين كما فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) (٧)

---

(١) سورة البينة (١ — ٦)
(٢) ابراهيم (٧)
(٣) آل عمران (٩٧)
(٤) البقرة (١٠٢)
(٥) « (١٢٦)
(٦) الغاشية (٢٣)
(٧) البقرة (٦)

وقوله : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . . .)(١)

وقد يطلق الكفر على أهل الكتاب خاصة دون المشركين كقوله تعالى : (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون)(٢)

ومن هذا يتبين لنا أن الكفر بمعنى الجحد والستر يشمل كل من أنكر الرب أو الخالق سبحانه وتعالى ، أو أنكر يوم البعث ، أو نبيا من الأنبياء ، أو كتابا من الكتب السماوية ، وكذا من أحل محرما أو أنكر ركنا من اركان الاسلام .

وبهذا المعنى يشمل الكفر كفرا أهل الكتاب يهودا أو نصارى وربما كان بعضهم موحدا اذا احتفظ بأصل العقيدة ، وربما كان مشركا كما في قوله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)(٣)

وبهذا المعنى يشمل الكفر كفر الصابئة وقد اختلف في أمرهم هل هم من أهل الكتاب أو ليسوا منهم ؟

وقال ابن قدامة(٤) : (ينظر في أمرهم فان كانوا يوافقون أحد أهل الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم ، والا فليسوا من أهل الكتاب) .

---

(١) البقرة (٨٩) .
(٢) آل عمران (٧٠)
(٣) التوبة (٣٠)
(٤) المغني لابن قدامة (٨/٤٩٦ — ٤٩٧) .

ويشمل المجوس : وهم كما يقول ابن القيم [١] : " يعظمون الأنوار والنيران ويدعون نبوة زراد شت ، وهم فرق شتى منهم المزوكية أصحاب مزوك ، وهؤلاء يرون الاشتراك فى النساء والمكاسب كما يشترك الناس فى الهواء والماء ، ومنهم الخرمية أصحاب بابك الخرمى ، وهم شر طوائفهم لا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام ".

ويشمل كفر الدهريين : وهم الذين ينكرون الخالق ويقولون لا اله ولا صانع للعالم ، وان هذه الأشياء وجدت بلا خالق . [٢]

وجاء فى الكواشف الجلية عن العقيدة الواسطية : [٣] والكفر انواع :

١ — كفر عناد ككفر أبى جهل .

٢ — كفر اباء ككفر ابليس .

٣ — كفر جحد ككفر فرعون .

فالكفر اذن اعم من الشرك .

أما الشرك فهو ما سبق تعريفه وهو أن يصرف العبد شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى وهو الذى بيده الخلق والرزق والاحياء والاماتة وتدبير الأمور وهو الذى يفزع اليه الانسان بطبعه وفطرته عند نزول الكرب ،

---

(١) اغاثة اللهفان (٢ / ٢٤٧ — ٢٤٨)

(٢) انظر تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ٤٤)

(٣) الكواشف الجلية عن العقيدة الواسطية (ص ١٩٣ — ١٩٤)

ويتجه اليه عند الدعاء والرجاء .

قال تعالى : (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه ...) (١)

والشرك اعظم أنواع الكفر وأشدها لأنه يتنافى مع كل عقل ومنطق ولهذا نجد أن القرآن الكريم يخوض معركة حامية مع الشرك والمشركين ليقتلع فكرة الشرك من جذورها .

ومن هنا يتبين لنا أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك .

---

(١) يونس (١٢) .

٦ ـ صور من الشرك فى الاعتقاد :

أ ـ الشرك فى النية .

ب ـ ، ، المحبة .

جـ ـ ، ، الخوف .

د ـ ، ، الطاعة والانقياد .

أ ـ الشرك فى النية :

المطلوب من العبد أن يكون قوله وفعله وعمله وجهاده خالصا لوجه الله تعالى من غير طلب مغنم أو جاه أو رئاسة أو لقب أو شرف أو غير ذلك من الأحوال الدنيوية . والا فان عمله يكون حابطا فاسدا والعياذ بالله لأنه أصبح نوعا من الشرك .

ونذكر فى هذا المعنى ما قاله الدكتور محمد خليل هراس : [(١)]

" فان العبادات كلها لا تكون مقبولة ولا معتدا بها الا اذا توفر لها شرطان :

أحدهما : باطن وهو اخلاص النية فيها لله عز وجل ، بحيث لا يقصد بها الا وجه الله والدار الآخرة .

والآخر : ظاهر وهو المتابعة فيها للشرع وفق ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقص .

---

(١) دعوة التوحيد (ص ٤٤) .

فاذا اختل واحد من هذين الشرطين لم تصح العبادة ، فانها ان خلت من الاخلاص كانت رياء ، وهو الشرك الاصغر ، وان خلت من المتابعة كانت ابتداعا " .

قال تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (١)

قال قتادة (٢) : " من كانت الدنيا همه وزينته جازاه الله بحسناته فى الدنيا ثم يفضى الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها ،أما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة ".

ولهذا كانت النية ميزان الأعمال كلها وعلى قدر توفرها فى العمل يكون الثواب كما ثبت فى الحديث الصحيح (٣) : " انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه " .

---

(١) هود (١٥ — ١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧١).

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (١/ ٩) كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٥) كتاب الامارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم " انما الاعمال بالنية " حديث رقم ١٥٥
وأحمد (١/ ٢٥).

ب ـ الشرك فى المحبة :
================

قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) [(١)]

قال ابن القيم [(٢)] رحمه الله : " أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن أتخذ من دون الله أندادا فهذا فى المحبة ، لا فى الخلق والربوبية .

فان أحدا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة ، فان أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا فى الحب والتعظيم .

قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) [(٣)] فجعل علامة حبهم لله أن يتابعوا رسوله صلى الله عليه وسلم ويكون هواهم تابعا لما جاء به ووعدهم على ذلك حبه لهم ومغفرته لذنوبهم ، واذا كان الحب عبادة ، بل هو أساس العبادات كلها ، اذ لا يصح شىء منها الا مع كمال الحب وكمال الذل ، فلا يصح أن يحب العبد مع الله أحدا ، فان هذا من اتخاذ الأنداد التى صرحت به آية البقرة ، بل يحب فى الله ولله .

وبهذا يظهر أن حب غير الله لا ينافى التوحيد ، بل قد يكون

---

(١) البقرة (١٦٥)

(٢) التفسير القيم لابن القيم (ص ١٤٠) وانظر مدارج السالكين (٣/ ٢٠) وما بعدها بتصرف .

(٣) آل عمران (٣١)

من كمال التوحيد : فان من تمام حب العبد لله أن يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويوالى فى الله ويعادى فى الله ، ويحب ما يحبه الله ويرضاه من الأشخاص والأخلاق والأعمال ويبغض ما يبغضه الله كذلك.

ولهذا لا يكمل ايمان أحد حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ، وحتى يحب المرء لا يحبه الا لله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، فيؤثر مرضاتهما على مرضاة كل أحد ، ويقدم أمرهما وحكمهما على أمر كل أحد وحكمه .

وبالجملة فيجب التمييز بين المحبة فى الله ولأجله التى هى من كمال التوحيد وتمام الاخلاص ، وبين المحبة مع الله التى هى محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق بقلوب المشركين من الالهية التى لا تجوز الا لله وحده . اهـ

وقال تعالى : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)[1]

وقال صلى الله عليه وسلم :[2] " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين " .

---

(١) التوبة (٢٤)

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (١/ ٥٨) كتاب الايمان

فالمراد بهذه المحبة هى : " المحبة الخاصة التى لا تصلح الا لله ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله ، وهو محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة واثاره على غيره " .(١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) رحمه الله : " فحقيقة المحبة لا تتم الا بموالاة المحبوب ، وهو موافقته فى حبه ما يحب ويبغض ما يبغض ، والله يحب الايمان والتقوى ويبغض الفسوق والعصيان " .

وخلاصة القول ان الشرك فى المحبة هو الحب المبنى على ايثار غير الله عز وجل فى الذل والخضوع والطاعة فى المحبة الخاصة بالله تعالى . أما الحب الغريزى الذى يشعر به الانسان نحو أهله وأولاده مثلا فلا يتعارض مع الحب الذى يجب أن يكون خالصا لله تعالى الا اذا غلا ذلك الحب وطغى على تقديم محبة الله أو تسبب فى الانشغال عن طاعته فانه يكون حينئذ من الحب المنهى عنه .

=== باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان ، ومسلم (١/ ٦٧) كتاب الايمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر تيسير العزيز الحميد (ص ٤٦٨) .

(٢) العبودية ص (٢٨)

جـ ـ الشرك فى الخـوف :

ولما كان الله تعالى هو النافع الضار فقد أمر عباده أن يخافوه ولا يخافوا أحدا سواه قال تعالى : (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) (١)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) : " فالآية دلت على أن الشيطان يجعل أولياءه مخوفين ، ويجعل ناسا خائفين منهم ، ودلت الآية أن المؤمن لا يجوز أن يخاف أولياء الشيطان ، ولا يخاف الناس كما فى الآية الأولى ، بل يجب عليه أن يخاف الله ، فخوف الله أمر به ، وخوف الشيطان وأوليائه نهى عنه " .

وقال تعالى : (فلا تخشوا الناس وأخشون ...) (٣) الآية .

وقال تعالى : (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) (٤)

الى غير ذلك من الآيات التى تفيد أن من اخلص الناس فى العبادة وأكملهم ايمانا أخوفهم لله تعالى وأشدهم له خشية .

والخوف الذى لا يجوز تعلقه بغير الله أصلا هو : " خوف

---

(١) آل عمران (١٧٥)

(٢) دقائق التفسير (١/٣٠٧)

(٣) المائدة (٤٤)

(٤) الزمر (٣٦)

السر وهو : ان يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته ، سواء ادعى ان ذلك كرامة للمخلوق بالشفاعة أو على سبيل الاستقلال لأن هذا من لوازم الالهية فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك ".(١)

أما الخوف الطبيعى كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق وحريق ونحو ذلك هذا لا يذم .(٢)

ومن هذا القبيل خاف الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم أكمل الناس توحيدا ، فهذا ابراهيم عليه السلام لما جاءته الملائكة بالبشارة فى صورة الآدميين وقدم لهم عجلا ظانا انهم من البشر ورأى أيديهم لا تمتد الى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة عند ذلك قالوا له : (لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط ..)(٣)

وذكر الله تعالى هذا الخوف عن موسى عليه السلام لما قتل المصرى حين استغاثه الاسرائيلى (فخرج منها خائفا يترقب)(٤)

وكذلك لما أمره الله تعالى أن يلقى عصاه ورآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب حتى قال له الله عز وجل : (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين)(٥)

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد (ص ٤٨٤) بتصرف .
(٢) المرجع السابق (ص ٤٨٦)
(٣) هود (٧٠)
(٤) القصص (٢١)
(٥) " (٣١)

د ــ الشرك فى الطاعة والانقياد :

ولما كانت الطاعة من اعظم انواع العبادات التى أمر الله بها كما قال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (١)

قال المراغى فى تفسيره (٢) : " أى أطيعوا الله واعملوا بكتابه ، وأطيعوا الرسول لأنه يبين للناس ما نزل اليهم ، فقد جرت سنة الله بأن يبلغ عنه شرعه رسل منهم تكفل بعصمتهم وأوجب علينا طاعتهم . وأطيعوا أولى الأمر ، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة بشرط أن يكونوا امناء وألا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله الصحيحة ، وأن يكونوا مختارين فى بحثهم فى الأمر واتفاقهم عليه " .

أما من أطاع أحدا من الخلق فى تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذ ذلك المخلوق ربا فى التشريع من دون الله كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (٣)

---

(١) النساء (٥٩)

(٢) تفسير المراغى (٥/٧٢) بتصرف يسير .

(٣) التوبة (٣١)

وروى الترمذى وابن جرير (١) من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال : " يا عدى اطرح عنك هذا الوثن " وسمعته يقرأ فى سورة براءة : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : " اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا اذا أحلوالهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه " .

وفى لفظ (٢) قال عدى يارسول الله : انا لسنا نعبدهم قال : " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت : بلى قال : فتلك عبادتهم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) ـ رحمه الله ـ " وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك ، وأتباع القضاة ، والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة . . فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه ، والحرام ما حرمه ، والحلال ما حلله ، والدين ما شرعه اما دينا ، واما دنيا ، واما دينا ودنيا ، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك ، وهولا يخاف أنه أشرك به شيئا فى طاعته بغير سلطان من الله " .

---

(١) أخرجه الترمذى (٥/ ٢٧٨) كتاب التفسير ، سورة التوبة وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٠/ ١١٤) وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣) ، وتقدم ص

(٢) تفسير ابن جرير (١٠/ ١١٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٩٨) .

٧ ـ صور من الشرك فى العبادات :

ويشتمل على ما يأتى :

أ ـ دعاء غير الله .

ب ـ الغلو فى قبور الأنبياء والصالحين .

جـ ـ الشرك فى الذبح .

د ـ الشرك فى النذر .

هـ ـ ادعاء علم الغيب .

و ـ السحر والخداع .

ز ـ الأحجبة والرقى والتمائم .

أ ـ دعاء غير الله :

ومن أنواع الشرك دعاء غير الله تعالى وذلك لأن الله تعالى بين أن الدعاء من أجل العبادات واكرمها كما قال تعالى : (وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)(١)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدعاء هو العبادة "(٢)

فعلى هذا فمن دعا أحدا غير الله تعالى ممن لا يملك جلب نفع أو دفع ضر فقد وقع فى الشرك سواء كان ملكا من الملائكة المقربين أو نبيا من المرسلين أو وليا من الصالحين ، أو جنيا من الشياطين أو أى مخلوق حيا أو ميتا .

---

(١) غافر (٦٠) ومعنى داخرين أى اذلاء ، المفردات فى غريب القرآن (ص ١٦٦)

(٢) رواه الامام أحمد فى المسند (٤/ ٢٦٧) وابن ماجه فى سننه (٢/ ١٢٥٨)

===

قال تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين)(١)

وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين . وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)(٢)

وقال تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)(٣)

وقال تعالى : (ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو)(٤) الآيه وكذلك لا تجوز الاستعاذة أو الاستغاثة ونحوها الا بالله تعالى .

ب ـ الغلو فى قبور الأنبياء والصالحين :

ومن أنواع هذا الشرك الخبيث والداء العضال ، والوباء المعدى والسرطان الفتاك ، الذى ما حل بأرض الا شوه معالمها وأهلك أهلها وعطل مسيرتها الغلو والمبالغة وتجاوز الحدود فى تعظيم قبور الأولياء وتقديسها .

=== كتاب الدعاء باب أ فضل الدعاء ، والترمذى فى جامعه (٥/٤٥٦) كتاب الدعاء باب ماجاء فى فضل الدعاء وقال حديث حسن صحيح .

(١) الاعراف (١٩٤)
(٢) يونس (١٠٦)
(٣) الاسراء (٥٦)
(٤) القصص (٨٨)

وقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين وتوعد الغالين فقال تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ...) [١] الآية .

وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) [٢]

قال ابن كثير عند الآية الأولى : [٣] (ينهى تعالى أهل الكتاب من الغلو والاطراء ، وهذا كثير فى النصارى ، فانهم تجاوزوا الحد فى عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاه الله اياها ، فنقلوه من حيز النبوة الى أن اتخذوه الها من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه بل قد غلوا فى أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم فى كل ما قالوا ، سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا "

وقال رحمه الله عند الآية الثانية : [٤] " أى لا تجاوزوا الحد فى اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة الى مقام الالهية كما صنعتم فى المسيح وهو نبى من الأنبياء فجعلتموه

---

(١) النساء (١٧١)

(٢) المائدة (٧٧)

(٣) تفسير ابن كثير (٦٢٩/١)

(٤) " " " (٨٩/٢).

الهاً من دون الله وماذاك الا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ".

كما لعن النبى صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى لغلوهم فى اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ، محذرا أمته من الوقوع فى ما وقع فيه أولئك القوم فعن أبى هريرة (١) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ".

وعن جندب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (٢) " .. ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى انهاكم عن ذلك " .

وجاء فى الصحيحين (٣) عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال " أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله "

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣/ ٢٠٠) كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، وصحيح مسلم بشرح النووى (٥/ ١٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/ ١٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣/ ٢٠٨) كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر ، وصحيح مسلم بشرح النووى (٥/ ١١) كتاب

===

وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور فعن أبى الهيـــاج الأسدى قال قال لى على بن أبى طالب ألا أبعثك على ما بعثنى عليـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويتــه ". (١)

والأحاديث التى تنهى عن البناء على القبور وتوجب هدمها كثيرة وصحيحة وصريحة .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٢) رحمه الله : " فأما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهى عنه ، متابعة للأحاديث وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعى وغيرهما بتحريمه " ثـم قال " فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملـــوك وغيرهم يتعين ازالتها بهدم أو بغيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين "

وعلى كل فالغلو فى الصالحين والأولياء والعكوف عند قبورهـــــم

== المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٧/٣٦) كتاب الجنائز باب الأمـــر بتسوية القبر .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠)

بالصلاة أو الدعاء أو الذبح أو الطواف أو النذر ونحو ذلك لهو من اعمال الشرك الذى حذرنا منه ديننا الاسلامى وقد أمرنا الله تعالى بمحبة الأنبياء والأولياء والصالحين ولكن لا نرفعهم فوق المنزلة التى لهم من العبودية لله تعالى وانما تكون محبتهم باتباع مادعوا اليه من الهدى والعلم النافع والتقوى والعمل الصالح واقتفاء آثارهم فى ذلك دون عبادتهم وعبادة قبورهم والعكوف عليها .

جـ ـ الشرك فى الذبح :

قال تعالى : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[1]

قال ابن كثير[2] : " يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين ، الذين يعبدون غير الله ، ويذبحون له ، بأنه أخلص صلاته وذبيحته ، لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى .

وقال تعالى : (فصل لربك وانحر)[3]

ومن هذا يتبين لنا أن من ذبح لغير الله من الجن أو الانس أو الأنبياء أو الصالحين وغيرهم من الأصنام والأوثان فقد اشرك بهذا الفعل غير الله تعالى

(١) الأنعام (١٦٢ ـ ١٦٣)
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٤) بتصرف يسير.
(٣) الكوثر (٢)

ولا يجوز أكل ذبيحته لأنها مما أهل لغير الله قال تعالى : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)[١]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[٢] : " فلو ذبح لغير الله متقربا به اليه لحرم وان قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون الى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك " .

د ــ الشرك في النذر :

والنذر ــ كما يقول اللغويون ــ : ما كان وعدا على شرط[٣] ، أو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر[٤] .

وقد ورد النهي عنه في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تنذروا فان النذر لا يغني من القدر شيئا ولا يؤخر وانما يستخرج به من البخيل "[٥] .

لكن العبد اذا نذر لزمه الوفاء بنذره بشرط أن يكون النذر في طاعة الله تعالى وفيما يملك الناذر ، قال صلى الله عليه وسلم " من نذر أن يطع

---

(١) النحل (١١٥)
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٥٩)
(٣) القاموس المحيط (٢ / ١٤٠)
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٨٧)
(٥) صحيح البخاري بشرح الفتح (١١ / ٥٧٥) كتاب الايمان والنذور باب الوفاء بالنذر ، ومسلم (٣ / ١٢٦١) كتاب النذر ، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ، وأحمد (٢ / ٤١٢) .

الله فليطعه ومن نذر أن يعصه فلا يعصه " . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم " لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم " (٢)

لهذا فان النذر قربة من القرب وعبادة من العبادات يجب أن تكون خالصة لله سبحانه ، قال تعالى : (وليوفوا نذورهم) (٣) وقال تعالى في مدحه للابرار من عباده : (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) (٤)

أما النذر للأضرحة والاصنام والأوثان والأولياء والصالحين ونحو ذلك طلبا لنفعهم أو رجاء شفاعتهم فلا ريب أن ذلك من الشرك الواضح الصريح لأنه صرفت فيه العبادة لغير الله تعالى .

جاء في الحديث أن رجلا نذر أن ينحر ابلا ببوانة (٥) فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : " هل كان فيها صنم من اصنام الجاهلية يعبد ؟ فقيل لا فقال هل كان فيها عيد من اعياد الجاهلية يقام فقيل لا فقال للرجل أوف بنذرك . (٦)

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١١ / ٥٨١) كتاب الايمان والنذور باب النذور في الطاعة .

(٢) صحيح مسلم (٥ / ١٢٦٣) كتاب النذر باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد . وأبو داود (٣ / ١١٢) كتاب الايمان والنذور باب في النذور فيما لا يملك .

(٣) الحج (٢٩)

(٤) الانسان (٧)

(٥) بوانة بضم الباء ، وقيل بفتحها هضبة من وراء ينبع . النهاية لابن الاثير (١ / ١٦٤) وانظر لسان العرب (١٣ / ٦٢)

(٦) سنن ابي داود (٣ / ٦٠٧) كتاب الايمان والنذور باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر . طبعة الدعاس

هـ ـ ادعاء علم الغيب :

لم يطلع الله تعالى أحدا من خلقه على علم الغيب ـ سوى الملائكة والرسل ـ ومن زعم أن أحدا من الناس يعلم الغيب فقد وقع فى الشرك .

وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص مستفيضة تبين أن علم الغيب هو من خصائص الله تعالى التى استأثر الله بها ومن هذه النصوص قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) (١)

وقوله تعالى : (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (٢)

وورد فى الحديث الصحيح (٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مفتاح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ، لا يعلم أحد ما يكون فى غده ولا يعلم أحد ما يكون فى الارحام ، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، وما يدرى احد متى يجىء المطر " .

واستثنى الله تعالى من ذلك الملائكة والرسل الكرام فقد اطلعهم سبحانه وتعالى على ما شاء لهم أن يعرفوه من غيبه من اجل تبليغ رسالاته وأوامره الى خلقه بما لا يخرج عن نطاق ما يكون فيه مصالح البشر ومنافعهم .

---

(١) الانعام (٥٩)

(٢) النمل (٦٥)

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٢/٥٢٤) كتاب الاستسقاء ، باب لا يدرى متى يجىء المطر الا الله . ومسند الامام أحمد (٢/٢٤) .

قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا)[(١)]

قال ابن كثير[(٢)] رحمه الله عند قوله تعالى : (الا من ارتضى من رسول) " وهذا يعم الرسول الملكي والبشري " .

أما ما عدا ذلك فلا يعلم أحد من خلقه شيئا مما استأثر بعلمه من الغيب حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه نفى الله عنه الاحاطة بالغيب الا ماشاء الله ولذلك علم الله خاتم رسله أن يقول للناس ما ورد في قوله تعالى : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب)[(٣)] الآية .

وقال تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)[(٤)]

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو سيد البشر على الاطلاق قد نفى الله عنه علمه بالغيب الا ما يوحيه اليه بواسطة الملك فكيف يزعم الدجالون معرفتهم للغيب واطلاعهم على أمور مستقبلة ؟

ومن هذه المزاعم ما يفتريه بعضهم بأن الجن يعرفون غيب الماضي . .

---

(١) سورة الجن (٢٦ — ٢٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٩)

(٣) الانعام (٥٠)

(٤) الاعراف (١٨٨)

مع أن الله تعالى نفى عن الجن معرفتهم بالغيب كله ماضيه ومستقبله ،
وقصة الجن الذين سخرهم الله للعمل بين يدى سليمان عليه السلام يذكر
القرآن الكريم ان سليمان بعد أن مات أعمى الله موته على الجن ولو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا مدة من الزمن وهم يعانون الاعمال الشاقة .

قال تعالى : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة
الأرض تأكل منسأته (١) فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب
مالبثوا فى العذاب المهين) (٢)

قال ابن كثير (٣) فى تفسير هذه الآية : " يذكر تعالى كيفية
موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له فى
الأعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس
رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحوا من
سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض وهى الأرضة ضعفت وسقطت على الارض وعلم
أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والانس أيضا أن الجن
لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك " .

كما نجد أن القرآن الكريم يصرح بأن الجن قد نفوا عن أنفسهم معرفة
الغيب كلية قال تعالى : (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم
ربهم رشدا) (٤).

---

(١) منسأته : أى عصاه .
(٢) سبأ (١٤)
(٣) تفسير ابن كثير (٣/٥٥٢)
(٤) سورة الجن (١٠)

و ـ السحر والخـــداع :

ومن أنواع الشرك الممقوت الاشتغال بالسحر وتصديق السحرة قال ابن منظور [١] : " والسحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر "

وقال ابن فارس [٢] : " السحر قال قوم : هو اخراج الباطل فى صورة الحق .

ويقال : هو الخديعة ".

وقال الراغب [٣] والسحر على معان :

الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده ، وعلى ذلك قوله تعالى : (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) [٤] وقال : (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) [٥]

الثانى : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب اليه كقوله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم) [٦] وعلى ذلك قوله تعالى : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) [٧]

---

(١) لسان العرب (٣٤٨/٤)

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٣)

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص (٢٢٦) وانظر فتح البارى لابن حجر (٢٢٢/١٠)

(٤) الاعراف (١١٦)

(٥) طـه (٦٦)

(٦) الشعراء (٢٢١ ــ ٢٢٢)

(٧) البقرة (١٠٣)

والثالث : ما يذهب اليه الاغتام ــ الجهلة ــ وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة لذلك عند المحصلين) .

ولهذا فان السحر في اللغة هو عبارة عما خفى ولطف سببه وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان من البيان لسحرا ، أو أن بعض البيان سحر "[1]

وسمى السحر سحرا لأنه يقع خفيا آخر الليل .[2]

وقد سمى الله تعالى السحر كفرا قال تعالى : (... وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)[3]

وقد حذر الله تعالى أمته عن السحر والاشتغال به ، لأن الشياطين يعلمونه للناس عن طريق الوسوسة اليهم ويعرفونهم كيف يوقدون العداوات ويثيرون الفتن بين الزوج وزوجته بالنميمة والوشاية وفي هذا العمل قطع للأرحام وخراب للبيوت والعمران .

قال تعالى : (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله)[4]

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٠/٢٣٧) كتاب الطب ، باب ان من البيان سحرا ، وصحيح مسلم (٢/٥٩٤) كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ، وأحمد (١/٢٦٩) .

(٢) لسان العرب (٤/٣٥٠) والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٢٦) .

(٣) البقرة (١٠٢) .

(٤) " " .

وقد ذم الله عمل الساحر ووصفه بالخسران فى قوله تعالى : (ولا يفلح الساحر حيث أتى) .[1]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه " .[2]

لذلك : " فمن مارس السحر ، ودعا بأسماء الشياطين ، وعقد العقد ، ووضع التمائم والحروز التى تذكر أسماء الجن ، وفعل محبات ومكاره للأزواج والزوجات فقد وقع فى الكفر "[3]

---

(١) طه (٦٩)

(٢) النسائى فى سننه (٧/ ١١٢) كتاب تحريم الدم ، الحكم فى السحرة والمزى فى تهذيب الكمال (٢/ ٦٥٤) من طريق عباد بن ميسرة المنقرى عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعا وسنده منقطع ، قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢) " رواه النسائى من رواية الحسن عن أبى هريرة ولم يسمع منه عند الجمهور " .

وقال الذهبى فى الميزان (٢/ ٣٧٨) " هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه " اهـ

وحسنه ابن مفلح فى الآداب (٣/ ٧٨) ورواه عبد الرزاق (١١ / ١٧) بسند صحيح عن الحسن مرسلا ، فثبت أن أصل الحديث مرسل لكن عباد أخطأ فوصله .

انظر النهج السديد فى تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص ١٣٤ — ١٣٥) حديث رقم ٢٦٥

(٣) انظر الايمان لعبد المجيد الزندانى (ص ٢٣٧)

ز ـ الأحجبة والرقى والتمائم :

ومن الشرك عمل الأحجبة والرقى وتعليق الودع ونحوها على الأولاد والحيوانات والسيارات وكذلك البيوت والدكاكين .

وقد عرف الجاهليون قديما هذه الأعمال نتيجة لاعتقادات وهمية باطلة .

ولما جاء الاسلام الحنيف حارب تلك الاعتقادات الفاسدة والخرافات الساقطة ، وحذر الناس من اخطارها وويلاتها ، نظرا لما يترتب عليها من مفاسد وشرور دينية ودنيوية .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : " ان الرقى (٢)

---

(١) سنن ابى داود (٤/ ٢١٢) كتاب الطب ، باب فى تعليق التمائم ، وابن ماجه (٢/ ١١٦٧) كتاب الطب باب تعليق التمائم ، مسند أحمد (١/ ٣٨١) وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحه للألبانى رقم ٤٩٢ (ص ٢٦٥) .

(٢) قال ابن الاثير : الرقية : العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها ، وفى بعضها النهى عنها والاحاديث فى القسمين كثيرة ووجه الجمع بينها أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى ، وبغير اسماء الله تعالى وصفاته وكلامه .. ، وان يعتقد أن الرقية نافعة ... ولا يكره منها ماكان فى خلاف ذلك ، كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى والرقى المروية .. وما كان بغير اللسان العربى مما لا يعرف ترجمته ولا يمكن الوقوف عليه لا يجوز استعماله . النهاية (٢/ ٢٥٤ — ٢٥٥) .

والتمائم [(١)] والتولة [(٢)] شرك " .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [(٣)] : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة [(٤)] فلا ودع الله له ".

وقال صلى الله عليه وسلم [(٥)] : " من علق تميمة فقد أشرك "

وجاء فى الحديث الصحيح [(٦)] عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه

---

(١) التمائم : جمع تميمة ، وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين فى زعمهم فابطلها الاسلام "
النهاية لابن الاثير (١/١٩٧)

(٢) التولة — بكسر التاء وفتح الواو — ما يحبب المرأة الى زوجها من السحر وغيره . النهاية لابن الاثير (١/٢٠٠).

(٣) مسند الامام أحمد (٤/١٥٤)

(٤) الودع : هو شىء أبيض يجلب من البحر يعلق فى حلوق الصبيان وغيرهم . النهاية لابن الاثير (٥/١٦٨).

(٥) مسند الامام احمد (٤/١٥٦) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/٣٠٧) ورواة أحمد ثقات .

(٦) صحيح البخارى بشرح الفتح (٦/١٤١) كتاب الجهاد ، باب ما قيل فى الجرس ونحوه فى اعناق الابل ، وصحيح مسلم (٣ / ١٦٧٣) كتاب اللباس ، باب كراهية قلادة الوتر فى رقبة البعير .

أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فأرسل رسولا " أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر [١] أو قلادة من حبل الا قطعت " .

ومع هذه النواهى والتحذيرات من الرسول صلى الله عليه وسلم فهناك من جهال المسلمين لا يزالون يعلقون حروزا فيها أسماء للجن ، ورسوم مجهولة ، ويوجد من يأكلون تراب القبور ، أو يتمسحون بها ، ومن يعلقون الودع والأوتار وغيرها .

وان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما الهداية والنور ، وارشاد أولئك الحيارى الى الاتجاه الى الله تعالى الذى بيده النفع والضر وحده .

ألم يقرأ أو يسمع أولئك الجهلة قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين قال : (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ، و اذا مرضت فهو يشفين) [٢]

---

(١) الأوتار : هى أوتار القسى وهى ثياب من كتان مخلوط من حرير كانوا يزعمون ان التقلد بها يرد عن العين ويدفع عنهم المكاره . النهاية لابن الاثير (١٤٩/٥ ، ٥٩/٤) وانظر فتح البارى لابن حجر (١٤٢/٦) .

(٢) الشعراء (٧٨ — ٨٠) .

ان الشريعة الاسلامية لم تحرم التداوى بالمباح بل شرعته وأمـرت به ففى الحديث الصحيح [١] عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تداووا بحرام " .

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٠/١٣٤) كتاب الطب ، بـاب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء ، وسلم (٤/١٧٢٩) كتاب السلام ، باب لكل داء دواء ، ابو داود (٤/٧) كتاب الطـب باب فى الأدوية المكروهه" واللفظ له " الترمذى (٤/٣٨٣) كتاب الطب ، باب ما جاء فى الدواء والحث عليه ، ابن ماجـه (٢/١١٣٧) كتاب الطب باب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء أحمد (١/٣٧٧) .

٨ ـ صور من المعبودات من دون الله :

ويشتمل على ما يلى :

أ ـ عبادة الشخصية الانسانية .

ب ـ عبادة الاصنام والأوثان .

جـ ـ عبادة الاهواء .

د ـ عبادة الاسلاف .

هـ ـ عبادة بعض الظواهر الطبيعية .

أ ـ عبادة الشخصية الانسانية :

ومن انواع الاشراك بالله عبادة الشخصية الانسانية ، وكان منشأ هذه العبادة اما ناتج عن بعض انواع العنف التى استغلها بعض الطغاة لدى الجهلة من الناس كما فعل فرعون قال تعالى حكاية عن قوله : (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) (١)

وقال تعالى : (قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين) (٢)

---

(١) القصص (٣٨)

(٢) الاعراف (١٢٣ ـ ١٢٤)

واما أنه ناتج عن الجهل والغلو في بعض الاشخاص كما يفعل القبوريون نحو قبور الأنبياء والصالحين بعد موتهم فعظموهم ونذروا لهم ودعوهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات .

يقول ابن القيم رحمه الله [١] : " ومن أسباب عبادة الأصنام : الغلو في المخلوق ، واعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعلوا فيه حظ الالهية وشبهوه بالله سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم ، الذى أبطله الله سبحانه ، وبعث رسله ، وأنزل كتبه بانكاره والرد على أهله"

ولما كانت دعوة القرآن الكريم حربا على الشرك وجعل الأمر كله لله تعالى فلا قدسية لفرد ولا عبادة لانسان مهما كانت منزلته حتى ولو كان نبيا من الأنبياء فاننا نجد أن الله تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس بأنه بشر كسائر البشر يوحى اليه قال تعالى : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم اله واحد) [٢]

وهو مع ذلك لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يعلم الغيب وانما هو عبد مرسل للانذار والبشارة قال تعالى : (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) [٣]

---

(١) اغاثة اللهفان (٢/٢٢٦) .

(٢) الكهف (١١٠) .

(٣) الاعراف (١٨٨) .

وقد ذم الله تعالى الحكام الظالمين من أهل الكتاب الذين استغلوا سذاجة الناس وضعفهم فشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن الله به : اذ أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال قال تعالى : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (١)

وقد زعم اليهود بأن عزير ابن الله ، وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله .

وقد ابطل القرآن الكريم هذه المبادئ والمعتقدات الباطلة وعمل على اجتثاثها من جذورها حتى لا يقع اللاحقون فيما وقع فيه السابقون .

فقال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام : (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) (٢)

وقال تعالى : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد أذ أنتم مسلمون) (٣)

---

(١) التوبة (٣١)
(٢) المائدة (١١٦-١١٧)
(٣) آل عمران (٧٩ — ٨٠)

ب ـ عبادة الأصنام والأوثان :

ومن أنواع الشرك بالله تعالى عبادة الاصنام والأوثان " والأصنام جمع صنم ، وهو التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة انسان وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصورة على صورة الانسان فى الحائط غيره : صنم ووثن ". (١)

" وقيل الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد ، والصنم الصورة بلا جثة ، ومن العرب من جعل الوثن المنصوب صنما ". (٢)

وسواء سمى المعبود من دون الله صنما أو وثنا مصورا على شكل انسان أو حيوان أو طائر أو غير ذلك ، أو لم يكن مصورا كالاحجار والأشجار والأخشاب والقبور ونحوها .

فان جميعها تشترك فى كونها معبودات من دون الله تعالى .

وقد كانت عبادة الأصنام منتشرة انتشارا واسعا فى جزيرة العرب قبل الاسلام كما سيأتى بيانه فى الفصل الرابع من هذا الباب .

والحق أن هذه العبادة مع عدم استنادها الى دليل على أوحجة مقنعة فان فيها استخفاف بالعقل الانسانى اذ كيف يرض عاقل ان يعبد اجساما أو صورا لا حياة فيها ، ولا نفع ولا ضر ؟

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٧/ ٢٤٤)

(٢) لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)

قال تعالى : (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم)(١)

بل ان هذه الأصنام والأوثان قد اضللن كثيرا من الناس قال تعالى حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام فى دعائه : (واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس . .)(٢)

وقد بين القرآن الكريم الدافع الذى حمل المشركين على عبادة تلك الأصنام من واقع تعليلهم فى ذلك حيث قالوا : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)(٣)

" وهذا التعليل هو الذى يحتج به بعض الوثنيين فى الحاضر وحجتهم فى ذلك أن وجود الصنم أمام المتعبد يساعد على تركيز الفكر والتعمق فى التفكير للتقرب الى الله ، ولكن نلفت النظر الى أن السجود للصنم على أنه رمز لله أو القول بأن الصنم يقرب الى الله هو باطل منطقيا لأن وجود الصنم أمام المتعبد فى صلاته يصرف الفكر عن الله وأن التقرب الى الله يحصل بالتوجه رأسا اليه لا بواسطة جماد أو صورة ولأنه ليس من الصعب توجيه الفكر رأسا الى الله بدون واسطة بل ذلك ادعى لطبيعة الانسان فى رفع قيمته المعنوية وعدم جعل أحدا قيما عليه ، هذا وان الانسان كثيرا ما يلجأ الى الله فى محن ومصائب لا تتوفر له فيها الواسطة ، . . مع العلم بأن هذه الواسطة لا تنفع ولا تضر "(٤)

---

(١) الأنبياء (٦٦)

(٢) ابراهيم (٣٥ — ٣٦)

(٣) الزمر (٣)

(٤) روح الدين الاسلامى (ص ١٠٠)

وذكر ابن القيم رحمه الله (١) : " أن من اسباب عبادتهـــا ان الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها ، وتخبرهم ببعض المغيبات ، وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم ، وهم لا يشاهدون الشياطين ، فجهلتهـــم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم .. "

جـ ـ عبادة الاهـــواء :

================

ومن أنواع الشركيات المظلمة اتباع الانسان وانقياده لهوى نفسه ، فلا تميل نفسه الى شيء الا اتبعه وهذا ما ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) (٢)

قال ابن عباس رضى الله عنهما (٣) : " كان الرجل فى الجاهليـــة يعبد الحجر الأبيض زمنا فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول " .

وقال ابن كثير (٤) : " أى مهما استحسن من شيء ورآه حسنا فى هوى نفسه كان دينه ومذهبه " .

ومن هنا نرى أن الهوى صار الهاً يعبد من دون الله كما قال الشاعر: (٥)

لعمر أبيها لو تبدت لناسك * قد اعتزل الدنيا باحدى المناسك

لصلى لها قبل الصلاة لربه * ولا رتد فى الدنيا بأعمال فاتــك

---

(١) اغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٤)
(٢) الفرقان (٤٣)
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٥) فتح القدير للشوكانى (٤/ ٧٨) زاد المســير (٦/ ٩٢)
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٥)
(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١٣/ ٣٦) .

ومن الآيات فى هذا المعنى قوله تعالى : (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم)(١)

وقوله تعالى : (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون)(٢)

أوثان جديده :

" وفى عصرنا هذا ظهرت أوثان ومعبودات شتى ، أصبحت تمتلك قلوب الناس ومشاعرهم وولاءهم ، بذكرها يهتفون ، وباسمها يقسمون ، وفى سبيلها يجاهدون ويستشهدون "

تلك هى أوثان القومية ، والوطنية ، والاشتراكية ، والحزبية ، وما شاكلها ... وهى من اخطر انواع الشرك التى دخلت على المسلمين من حيث لا يشعرون "(٣)

ولا حول ولا قوة الا بالله .

---

(١) الجاثية (٢٣)

(٢) فاطر (٨)

(٣)انظر العبادة فى الاسلام ليوسف القرضاوى (ص ١٤٦)

د ـ عبادة الاسلاف :

ان المتتبع لأحداث التاريخ لا يجد عقيدة شاعت في الأمم قديما وحديثا كعقيدة الاسلاف ، حيث اسبغت قدسية وتعظيما على الآباء والأجداد والشيوخ ، وأطلقت عليهم من الصفات والنعوت ما جعل الجاهلين يتصورونهم آلهتهم .

وقد ادعى العالم " تايلور " ، " ان عبادة الاجداد نشأت من الاعتقاد بالارواح فالآباء والأجداد في القبائل البدائية كانوا رؤساء الأسر وبيدهم مقاليد الأمور لأنهم اخبر بشئون الحياة فاذا ماتوا فان ارواحهم ترفرف في سماء الاسرة لتقيها شر النوائب ورد أذى الاعداء الاموات منهم والاحياء ".(١)

أي مفكر في حقيقة هذا المعتقد يجده غريبا بعيدا عن التصديق والاقناع فمن هم الاسلاف ؟ لنتفكر بأصلهم ومصيرهم انهم من البشر يأكلون ويشربون ويمرضون ثم يأتيهم الموت وبعده ينخر الدود اجسادهم ويحيلها الى البلى ومن كان هذا اصله ومصيره فهل من العقل اللجوء اليه وطلب المعونة منه .(٢)

ان عبادة الاسلاف تشتمل على كثير من الخرافات والأساطير والقيام بشعائر وطقوس يمكن وصفها بالاجمال بأنها نوع من التخديرات التي خدرت

---

(١) انظر تاريخ الأديان وفلسفتها للاستاذ طه الهاشمي (ص ٦٨) ، وروح الدين الاسلامي (ص ١٠١)

(٢) انظر روح الدين الاسلامي لعفيف طبارة (ص ١٠١).

الشعوب ووقفت حائلا دون تقدمها ورقيها " فمن آثار عبادة السلف عند العلماء حلق الرأس واحداث جروح في الجسد واحتفالات دفن الموتى ولبس المسوح والعناية بالقبور والصلاة عليها أو اقامة شعائر دينية فوقها " (١)

وللاستفادة مما كان عليه الآباء ينبغي أن يخضع ما كانوا عليه للعلم والهدى ، ويجرى عليه التصحيح دائما ، وعلى المسلم أن لا يضع الآباء المسلمين — المتقدمين منهم والمتأخرين — مكان القواعد والسنن المأثورة ومهما أحسنا الظن فيهم فانهم ليسوا فوق أن نختبر ما هم عليه ، على أساس الآيات والسنن والعلم والقوانين . (٢)

ولما كان عليه اتباع الاسلاف من الأباء والأشياخ ونحو ذلك من التقليد المذموم الذى يفضى احيانا الى الشرك فان الله تعالى ذمه فى كتابه الكريم فقال تعالى : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) (٣)

ومن روعة القرآن الكريم انه حض على تخليص الانسان من هذه الأباطيل التى طرأت على الجنس البشرى . قال تعالى : (لا اله الا هو يحى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) (٤)

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام (٥/٣٥ — ٣٦)
(٢) انظر كتاب حتى يغيروا ما بأنفسهم لجودت سعيد (ص ١٧٤) الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ
(٣) الزخرف (٢٣ — ٢٥)
(٤) الدخان (٨)

فقد وصف الله تعالى فى هذه الآية الكريمة قدرته العظيمة على الاحياء والاماتة ، بينما الاسلاف الغابرون لا يملكون شيئا من ذلك بل هم أموات فما ابعد الميت عن نفع نفسه فضلا عن نفع غيره .

وفى الآية الكريمة اعلان من الله تعالى بأنه رب الناس جميعـــا الأحياء منهم والميتين كما قال تعالى : (قل يا أيها الناس انى رســـول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكـــم تهتدون) (١)

هـ ــ عبادة بعض الظواهر الطبيعية :
======================

ومن الناس من راعه الكون وما فيه من عجائب الطبيعة وجمالها ومـــا فيها من منافع وخيرات للخلق كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار فعبد بعض هذه الظواهر .

وقد أبطل القرآن الكريم عبادة هذه المخلوقات وبين أنها من حجج الله تعالى على خلقه ومن آياته العظيمة الدالة على وحدانيته سبحانـــــه وتعالى ، وأنه لا يجوز التوجه اليها بشىء من أنواع العبادة كالصـــــلاة أو السجود أو الركوع أو الدعاء ونحو ذلك .

---

(١) الاعراف (١٥٨)

قال تعالى : (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) (١)

وقال تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) (٢)

وقال تعالى : (ان الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) (٣)

وقال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) (٤)

---

(١) الاعراف (٥٤)

(٢) الحج (١٨)

(٣) الصافات (٤ — ٥)

(٤) فصلت (٣٧)

الفصل الثالـــث

تسرب الشرك الى البشرية ومناهج الأنبياء السابقين في محاربته

ويشتمل على ما يلي :-

١ - الشرك في قوم نوح عليه السلام ومنهجه في محاربتـه .

٢ - ،، ،، هـود ،، ،، ،، ،، ،، .

٣ - ،، ،، صالح ،، ،، ،، ،، ،، .

٤ - ،، ،، ابراهيم ،، ،، ،، ،، ،، .

٥ - ،، ،، اسماعيل ،، ،، ،، ،، ،، .

٦ - ،، ،، يوسف ،، ،، ،، ،، ،، .

٧ - ،، ،، شعيب ،، ،، ،، ،، ،، .

٨ - ،، ،، موســى ،، ،، ،، ،، ،، .

٩ - ،، ،، عيسـى ،، ،، ،، ،، ،، .

١ - الشرك في قوم نوح عليه السلام ومنهجه في محاربته :-

تقدم معنا في موضوع أقدمية (أسبقية) التوحيد على الشرك بأن نبي الله آدم عليه السلام قد عاش موحدا لله تعالى على انقى ما يكون التوحيد وأصفاه ، وأنه قد ربى أبناءه على هذا التوحيد ، وأن ذريته تلقت هذا التوحيد من جيل الى جيل ، وأنهم كانوا على الاسلام يعبدون الله تعالى وحده حتى عهد نوح عليه السلام .

وكان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون على الاسلام كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون على الاسلام ". (١)

والقرن اما أن يكون المراد به مائة سنة كما هو المشهور عند كثير من الناس ، واما أن يكون المراد به الجيل من الناس كما في قوله تعالى : (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) (٢).

وقوله تعالى : (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين) (٣)

" فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة فعلى هذا يكون بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام ألوف السنين ". (٤)

والذى أميل اليه ان المراد بالقرن هو الجيل من الناس ويؤيد ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٥) : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ... " الحديث .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٦ .
(٢) الاسراء / ١٧ .
(٣) المؤمنون / ٣١ .
(٤) البداية والنهاية ١/١٠١ .
(٥) صحيح البخاري بشرح الفتح ٧/٣ كتاب فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم ٤/١٩٦٣ كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم ٢١١ ، ٢١٢ ، ومسند أحمد ١/٣٧٨ .

والمراد أن الناس من آدم عليه السلام الى عهد نوح عليه السلام كانوا على التوحيد يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا ، وكانوا على الاسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده كما قال تعالى :

(ان الدين عند الله الاسلام).[١]

ولما انحرف الناس عن الفطرة بسبب جهلهم وبعدهم عن العلم وأغواء الشيطان لهم وعبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان وقبور الصالحين بعث الله اليهم نوحا عليه السلام ليردهم الى الصواب وعبادة الله وحده .

سبب دخول الأصنام في قوم نوح :-

وكان سبب عبادتهم للاصنام ما رواه البخاري في صحيحه[٢] من حديث ابن جريج عند تفسير قوله تعالى :

(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) .[٣]

قال هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت .

---

(١) آل عمران / ١٩ .

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح ٨/ ١٦٧ كتاب التفسير ، تفسير سورة نوح .

(٣) نوح / ٢٣ .

قال ابن عباس :[١] " وصارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ...".

وروى ابن جرير بسنده عن محمد بن قيس فى تفسيره [٢]: " كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يعتقدون بهم فقالوا : " لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم أبليس فقالوا : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم " .

ونقل ابن كثير[٣] عن ابن أبى حاتم بسنده عن أبى المطهر قال : ذكروا عند أبى جعفر الباقر يزيد بن المهلب فقال : أما أنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله ، ثم ذكر " ود " قال : " وكان ود رجلا صالحا وكان محببا فى قومه ، فلما مات عكفوا حول قبره فى أرض بابل ، وجزعوا عليه ، فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه فى صورة أنسان ثم قال : أرى جزعكم على هذا ، فهل لكم أن أصور لكم مثله ، فيكون فى ناديكم فتذكرونه به قالوا نعم . فصور لهم مثله ، فوضعوه فى ناديهم ، وجعلوا يذكرونه ، فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل لكل أهل بيت تمثالا مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يسروق ما يصنعون به ، وتناسوا ودرس أمر ذكرهم اياه حتى اتخذوه الها يعبدونه من دون الله ، قال : فكان أول ما عبد غير الله فى الأرض" ود " الصنم الذى يسمونه بود " .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٢ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٢٩ / ٩٩ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٢ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١ / ١٠٦ ومثله فى تفسيره ٤ / ٤٥٢ ، وفى الدر المنثور للسيوطى ٦ / ٢٦٩ - ٢٧٠ .

أقول وما تقدم من أدلة على أن أول حدوث الشرك فى البشرية كان فى قوم نوح عليه السلام يجعلنا نتردد فى ما جاء فى كتاب الأصنام للكلبى (١) : " أول ما عبدت الأصنام ، أن آدم عليه السلام ، لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ، وكان بنو شيث يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه ، فقال رجل من بنى قابيل بن آدم : يابن قابيل ان لبنى شيث دوارا (٢) يدورون حوله ويعظمونه ، وليس لكم شىء ، فنحت لهم صنما فكان أول من عملها " .

فان معنى هذا الخبر أن عهد بنى آدم عليه السلام بالتوحيد لم يبق طويلا ، وأنهم لم يلبثوا أن غيروا بعد موته ، والحق أن هذا ليس صحيح وغير معقول لما تقدم من أدلة لا سيما وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون على الاسلام " . (٣)

ومن هنا نجد أن تعظيم القبور والدعاء عندها والتمسح بها وتقبيلها هو من أسباب الشرك وعبادة غير الله تعالى من الأصنام والأوثان .

ولهذا ندرك أيضا السر العظيم فى نهى الاسلام عن اتخاذ القبور مساجد ، واتخاذ السرج عليها ، والنهى عن رفعها واقامة القباب عليها وتعظيمها الى غير ذلك مما قصد به سد الذريعة وقطع دابر الشر والفتنة .

---

(١) الاصنام لابن الكلبى ص ٥٠ - ٥١ ، وانظر تلبيس ابليس ص ٥٢ -٥٣ ، واغاثة اللهفان ٢/٢٠٥ .

(٢) يقال دار يدور واستدار يستدير بمعنى اذا طاف حول الشىء واذا عاد الى الموضع الذى ابتدأ منه . لسان العرب ٤/٢٩٦ ، والنهاية لابن الاثير ٢/١٣٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦ .

منهج نوح عليه السلام في دعوة قومه الى التوحيد :-

وقد سلك نوح عليه السلام فى رد قومه الى عقيدة التوحيد منهجا فريدا وعجيبا جديرا بالتأمل والاعتبار يمكن تلخيصه فيما يلى :-

١ - لين الكلمة وسهولة الأسلوب وعدم مقابلة السب والأذى بمثله يظهر ذلك واضحا من جوابه لقومه عندما قالوا له : (انا لنراك فى ضلال مبين) (١) حيث رد عليهم فى هدوء ولين قائلا لهم : (يا قوم ليس بى ضلالة ولكن رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) . (٢)

٢ - تبرؤه من ادعائى ما ليس له كما وصف القرآن الكريم : (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) . (٣)

٣ - تنويعه للأساليب فى الدعوة فلم يلتزم أسلوبا معينا أو حالة واحدة ، ولكنه أخذ يدعوهم فى الليل والنهار وفى السر والجهر يظهر ذلك من قوله تعالى : (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) . (٤)

---

(١) الاعراف / ٦٠ .

(٢) " / ٦١ - ٦٢ .

(٣) هود / ٣١ .

(٤) نوح / ٥ - ٩ .

٤ - ترغيبهم بمغفرة الذنوب ان هم أطاعوه وصدقوا ما جاء به ، ويمد الله في أعمارهم ويدرأ عنهم العذاب الذى ان لم يجتنبوا ما نهاهم عنه أوقعه بهم قال تعالى : (قال يا قوم انى لكم نذير مبين ، ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) .(١)

كما رغبهم فى سعة العيش ويسر الحياة السعيدة ، وذلك بهطول الأمطار والأمداد بالأموال والبنين ، ان هم استغفروا الله تعالى وتابوا اليه من الشرك وجميع الذنوب قال تعالى : (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) .(٢)

٥ - استعماله معهم اسلوب الجدل والحوار يتضح ذلك من آيات كثيرة منها ما جاء فى قوله تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . قال وما علمى بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين . قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين . قال رب ان قومى كذبون) (٣) . وكما هو واضح من قوله تعالى حكاية عن قولهم : (... يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) .(٤)

---

(١) نوح /٢ - ٤ .

(٢) نوح / ١٠ - ١٢ .

(٣) الشعراء /١٠٥ - ١١٧ .

(٤) هود / ٣٢ .

٦ - التكرار الدائم في دعوتهم على الرغم من مرور الأعوام الطوال وبذله كل الجهود الهادفة الى ارجاعهم الى الحق وسلوك الطريق المستقيم ، ولكن ليس هناك جدوى تذكر قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . . .) (١) وعن كثرة دعوته اليهم وتكرارها كما في الاية المتقدمة : (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا . . .) . (٢)

٧ - دعوتهم الى النظر الى الكون وما فيه من نظام وابداع والى الأنفس وما فيها من عجائب تدل على عظمة الخالق جل وعلا وانه المستحق للعبادة وحده قال تعالى : (ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا . ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله أنبتكم من الأرض نباتا . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) . (٣)

وبعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده في سبيل هداية قومه واصلاحهم وصبره وحلمه الطويل عليهم ومع ذلك كله (وما آمن معه الا قليل) (٤) وأخيرا لجأ الى ربه يشكوا قومه : (قال رب ان قومي كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين) . (٥)

---

(١) العنكبوت / ١٤ .
(٢) هود / ٣٢ .
(٣) نوح / ١٣ - ٢٠ .
(٤) هود / ٤٠ .
(٥) الشعراء / ١١٧ - ١١٨ .

كما دعا عليهم بالهلاك قائلا : (... رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) . (١)

وقد استجاب الله لدعا رسوله وأوحى اليه أنه لن يؤمن من قومه سوى من آمن منهم وأمره أن يصنع سفينة لنجاته ونجاة من آمن معه وأعلمه انه سيكون محاطا بعنايته ورعايته وأخبره ان من لم يؤمن من قومه فان مصيره الغرق لاصراره على الكفر والعناد ، وان لا يحزن لغرقهم وهلاكهم قال تعالى : (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) . (٢)

وبعد أن انتهى نوح عليه السلام من صنع السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين وركب هو فيها وجميع من آمن معه وأهل بيته الا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله تعالى ، وأمره الله ومن آمن معه أن يذكروا اسم الله تعالى الذى عليه توكلهم واعتمادهم وهو المجرى والمرسى للسفينة كما ذكرهم بأن الله تعالى رحيم بعباده المؤمنين ومن رحمته انجاهم من الغرق والهلاك الذى حل بالكافرين. عند ذلك (أرسل الله من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر ارجائها) . (٣)

---

(١) نوح / ٢٦ - ٢٧ .

(٢) هود / ٣٦ - ٣٩ .

(٣) البداية والنهاية ١١٢/١ .

قال تعالى : (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم) .(١)

وقال تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر) .(٢)

وفى خلال زمن قليل جدا تم هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين ، فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها ، وأمر السماء أن تمسك عن المطر قال تعالى : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) .(٣)

يقول صاحب المنار(٤) : " ما أفظع المنظر ! ما أشد هوله ! ما أعظم روعته ! ماء ينهمر من آفاق السماء انهمارا ، وأرض تتفجر عيونا فوارة فتفيض مدرارا ، ماء ثجاج يصير بحرا ذا أمواج ، خفيت من تحته الأرض بجبالها ، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها ... فتخيل أنك ناظر الى هذه السفينة كما صورها لك التنزيل ، تتفكر فى أمر هذا الخطب الجليل ، واستمع لما بينه الذكر الحكيم ، فى أوجز عبارة وأبلغها

---

(١) هود / ٤٠ - ٤١ .

(٢) القمر / ٩ - ١٦ .

(٣) هود / ٤٤ .

(٤) تفسير المنار ١٢/٧٩ - ٨٠ .

تأثيرا ، جعلت أعظم ما فى العالم كأن لم يكن شيئا مذكورا " .

وهكذا انتهت محنة دامت طويلا بهلاك الكفرة المشركين الذيـــــن حادوا الله ورسوله وأبوا التوبة والعودة الى الله تعالى فى مدة قصيرة فهل من مدكر ؟ .

* * *

٢ ـ الشرك في قوم هود عليه السلام ومنهجه في محاربته :ـ

وبعد أن أهلك الله تعالى المشركين من قوم نوح عليه السلام بالغرق وأنجا الله نبيه نوحا والذين آمنوا معه عاد الناس الى عبادة الأصنام والأوثان في قوم هود عليه السلام .

وذكر ابن كثير(١) رحمه الله " أن عادا الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكان أصنامهم ثلاثة صدا وصمودا وهرا فبعث الله فيهم أخاهم هودا عليه السلام فدعاهم الى الله " .

وعن دعوة هود عليه السلام قومه الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام يقول تعالى : (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) . (٢)

وقال تعالى : (والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون) . (٣)

وقال تعالى : (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . (٤)

منهجه في دعوة قومه :ـ

وقد سلك هود عليه السلام في دعوة قومه منهجا راشدا وطريقا واضحا يمكن تلخيصه فيما يلي :

١ ـ ضرب لهم المثل بما أصاب قوم نوح من قبلهم وما وقع منهم من عناد ومكابرة ، واصرار على الزيغ والضلال ، وكيف دمر الله عليهم سعادتهم حينما بغوا وتجبروا ، وأصروا على الباطل والاستكبار

---

(١) البداية والنهاية ١/١٢١ ، وانظر تاريخ الطبرى ١/٢١٦ .

(٢) الاعراف /٦٥ .

(٣) هود / ٥٠ .

(٤) الأحقاف / ٢١ .

مذكرا اياهم بنعم الله عليهم اذ زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح .

قال تعالى : (... واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) . (١)

٢ - وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم محاولا اقناعهم بالرجوع الى طريق الحق مبينا لهم أن الله تعالى جعلهم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله بذنوبهم ، وزادهم قوة فى السلطان وفى الأجسام ، وذكرهم باعطائهم الخيرات الجليلة من الأنعام والبنين والحدائق والمياه وخوفهم من العذاب الاليم وانقلاب النعمة الى نقمة اذا لم يؤمنوا بالله وحده ، وهذا يتضح من الآية السابقة كما يتضح من قوله تعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون . انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . (٢)

٣ - ومن منهجه عليه السلام القول اللين والخطاب الجميل وعدم مقابلة الأذى بمثله ، يتضح ذلك عندما رماه قومه بالسفه والكذب حيث رد عليهم قائلا : (يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربكم وأنا لكم ناصح أمين) . (٣)

٤ - واستعمل معهم اسلوب الجدل والحوار يظهر ذلك عندما أصر زعماؤهم على عبادة الأوثان وقالوا لهود عليه السلام

---

(١) الأعراف / ٦٩ .

(٢) الشعراء / ١٢٨ - ١٣٥ .

(٣) الاعراف / ٦٧ - ٦٨ .

بأنه لم يأتهم ببينة واضحة على صحة ما يدعو اليه وقالوا له أنهم غير تاركين آلهتهم ، ولن يؤمنوا به ، وزعموا أن آلهتهم قد مسته بضر ، فصار يتكلم بأقوال باطلة ، فأجابهم هود عليه السلام بأنه يشهد الله ويشهدهم بأنه برئ من الشرك الذى هم فيه .

قال تعالى : (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ، انى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم . فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شئ حفيظ) . (١)

ولما ضجرت عاد من نبيها هود عليه السلام وتبرموا من كثرة نصحه لهم تحدوه أن يقع فيهم انذاره ووعيده عند ذلك قال لهم هود عليه السلام لابد أن يقع عليكم غضب من الله تعالى فانتظروا عذاب الله وانى معكم من المنتظرين .

قال تعالى : (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين) . (٢)

٥ - وبين لهم عليه السلام أنه لا يطلب على نصيحته أجرا منهم ، أو رياسة ينتزعها ، ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا ، وانما يطلب الأجر والثواب من الله عز وجل .

---

(١) هود / ٥٣ - ٥٧

(٢) الأعراف / ٧٠ - ٧١ .

قال تعالى : (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون) . (١)

٦ - وأرشدهم الى الاستغفار والتوبة فبسببهما تهطل الأمطار المتتابعة وتحصل الخيرات ويزيدهم ربهم قوة الى قوتهم وعزا الى عزهم ، قال تعالى : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) . (٢)

لكن ما هو تأثير هذه الدعوة الطيبة المباركة على قبيلة عاد ؟ انهم احتقروا هودا عليه السلام واستصغروا أمره ووصفوه بالسفه والكذب الا أن هودا عليه السلام نفى عن نفسه ما اتهموه به وبين لهم انه رسول من رب العالمين لا يريد منهم الا الخير والصلاح .

قال تعالى : (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين) .(٣)

ولما تمادى قوم هود عليه السلام فى الباطل والضلال باتخاذ آلهة ما أنزل الله بها من سلطان دعا ربه أن ينصر دينه وقد أجاب الله تعالى دعوته قال تعالى : (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين) . (٤)

---

(١) هود / ٥١ .

(٢) هود / ٥٢ .

(٣) الأعراف / ٦٦ - ٦٨ .

(٤) المؤمنون / ٣٩ - ٤١ .

لقد أرسل الله عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليـــال وثمانية أيام حسوما فأهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأنهـــا أعجاز نخل منقعر وأتبعوا في هذه الدنيا لعنه ويوم القيامـــة ، ونجى الله هودا والذين آمنوا معه برحمة منه : (... ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم). (١)

* * *

(١) الشعراء/ ١٣٩ - ١٤٠ .

٣ ـ الشرك فى قوم صالح عليه السلام ومنهجه فى محاربته :ـ

ثم ظهرت عبادة الأصنام فى ثمود ، والتى كانت تسكن الحجر بين المدينة وتبوك ، وكانت ثمود تتعبد لأصنام كثيرة منها الصنم "ود " و (شمس) و (مناف) و (مناة) و (اللات) وغيرها . [١] فبعث الله تعالى فيهم نبيه صالحا عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده وأن يخلعوا عبادة الأصنام والانداد .

قال تعالى : (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب) . [٢]

وقال تعالى : (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن أعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون) . [٣]

منهجه فى دعوة قومه :ـ

ومنهج صالح عليه السلام فى دعوته لا يختلف عن المنهج الذى سلكه نبى الله هود عليه السلام فى دعوة قومه عاد .

ولعل السبب فى ذلك وجود التشابه بين القبيلتين ، فانه بالاضافة الى أن كلا من الشعبين كان يسكن الجزيرة العربية ، فقبيلة عاد تسكن فى الجنوب بالاحقاف بين اليمن وعمان ، وثمود تسكن بالحجر بين المدينة المنورة وتبوك ـ كما تقدم ـ فان الأوضاع الاجتماعية والعمرانية

---

(١) انظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٣٣١ .

(٢) هود / ٦١ .

(٣) النمل / ٤٥ .

فى زمان كل منهما قد بلغت أقصى حدود القوة والمنعة لا سيما فى فنون البناء والعمارة كنحت البيوت فى الجبال واقامة القصور فى السهول ، وتشييد المصانع وشق العيون ... وفوق ذلك فقد منحهم الله بسطة فى الأجسام وقوة فى الابدان .

كما يوجد تشابه فى سلوك كل منهما القائم على البطر والطغيان واستئثار الشرك على التوحيد ، وقد قرن الله تعالى بين ذكر القبيلتين وما حل بهما من العقاب الأليم فى كثير من السور كما فى سورة براءة وابراهيم والفرقان وص وق والنجم والقمر والحاقة والفجر .

ونلخص منهجه عليه السلام فى دعوة قومه فيما يلى :-

١ - ضرب المثل لهم بقوم هود عليه السلام مذكرا لهم بنعم الله عليهم حيث جعلهم خلفاء من بعدهم ومكنهم فى الأرض يتخذون من سهولها قصورا ومن الجبال بيوتا قال تعالى : (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) . (١)

٢ - وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم قال تعالى : (أتتركون فى ماهاهنا آمنين فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) . (٢)

٣ - تلطفه فى القول ولين جانبه يظهر ذلك من جوابه على قولهم (... يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد

---

(١) الأعراف / ٧٤ .
(٢) الشعراء / ١٤٦ - ١٥٢ .

ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) . [١]

(قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير) . [٢]

٤ - اسلوب الحوار المبنى على اقامة الحجة البينة يظهر ذلك جليا فى كثير من السور التى تعرضت لقصته عليه السلام .

ففى سورة هود : (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب . قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ، وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) . [٣]

وفى سورة النمل : (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا أطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) . [٤]

٥ - وأفهمهم أنه لا يطلب على دعوته أجرا جاء ذلك فى قوله لهم:
(. . . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) . [٥]

---

(١) هود / ٦٢ .

(٢) هود / ٦٣ .

(٣) هود / ٦١ - ٦٥ .

(٤) النمل / ٤٥ - ٤٧ .

(٥) الشعراء / ١٤٥ .

٦ - ووجههم الى الاستغفار والتوبة فذلك سبب للخير والبركة والقـــوة جاء ذلك في قوله لهم : (... فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربـــى قريب مجيب) . (١)

وقوله لهم : (... يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنـــــــة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) . (٢)

الا انه على الرغم من هذه الدعوة المباركة المبنية على الحجـــة والاقناع فان الثموديين لم يؤمنوا بما نصحهم به نبيهم ولم يسيـــروا في طريق الحق الذى ارشدهم اليه بل أخذوا يتهمونه بالسحـــــر الذى سيطر على عقله ، فادعى أنه رسول من عند الله تعالى .

وطلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة تدل على أنه رسول من عند الله حقا قال ابن كثير :(٣)

" وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوما فى ناديهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له ان أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا الى صخرة هنـــاك - ناقة صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها ... فقال لهم النبى صالح عليه السلام أرأيتم ان أجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به ، قالوا نعم فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم الى ما طلبـــوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تتفطر عن ناقة عظيمة عشـــراء على الوجه الذى طلبوا .. فلما عاينوها .. رأوا أمرا عظيمـــــا

---

(١) هود / ٦١

(٢) النمل / ٤٦ .

(٣) البداية والنهاية ١/ ١٣٤ .

ومنظرا هائلا وقدره باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم " . أ هـ .

حقا لقد ظهرت المعجزة العظيمة الدالة على صدق رسوله عليه السلام وأمرهم بوحى من الله ألا يمسوها بسوء ، وجعل لها شربا فى يوم معلوم ولهم شربا فى يوم غيره ،وأوعدهم بالعذاب ان هم اعتدوا عليها .

قال تعالى : (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) . (١)

وقال تعالى : (.. هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) . (٢)

ولكن المستكبرين من الكفرة أقدموا على عقر الناقة غير مبالين بما توعدهم به نبيهم (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) (٣) عند ذلك قال لهم نبيهم : (... تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) . (٤)

وقد حقق الله جلت قدرته هذا الانذار الذى وجهه اليهم صالح عليه السلام فلم تمض ثلاثة أيام حتى حل بهم الهلاك والدمار .

يقول ابن كثير(٥) : " وأصبحت ثمود فى اليوم الأول وهو يوم الخميس فاذا وجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام . فلما أمسوا

---

(١) هود / ٦٤ .
(٢) الشعراء / ١٥٣ - ١٥٦ .
(٣) الاعراف / ٧٧ .
(٤) هود / ٦٥ .
(٥) البداية والنهاية : ١/ ١٣٦ .

نادوا بأجمعهم : ألا قد مضى يوم من الأجل ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة ، فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى يومان من الأجل ثم أصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم السبت ووجوههم مسودة ، فلما أمسوا نادوا : ألا قد مضى الأجل ، فلما كان صبيحة يوم الأحد تأهبوا وقعدوا ينتضرون ماذا يحل لهم من العذاب والنكال والنقمة ولا يدرون كيف يفعل بهم ، ولا من أى جهة يأتيهم العذاب ، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفت من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق ، فاصبحوا في ديارهم جاثمين ، جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها " .

كما ذكر القرآن الكريم وجها آخر في سبب هلاكهم وهو أن تسعة رجال منهم أتمروا على مباغتة نبيهم صالح وأهله وقتله سرا ،فأهلكهم الله بالصاعقة بسبب ظلمهم وعدوانهم .

قال تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون . ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون) . (١)

* * *

---

(١) النمل / ٤٨ - ٥٢ .

٤ ـ الشرك فى قوم ابراهيم عليه السلام ومنهجه فى محاربته :-

وبعد مدة طويلة من الزمن ظهر فى بابل عباد الأصنام كما ظهر فى حران عباد الكواكب والاصنام فبعث الله تعالى فيهم ابراهيم الخليل عليه السلام .

وعن معبودات أهل بابل يذكر صاحب قصة الحضارة(١) : " بأنه كان لأهل بابل كثير من الآلهة ... ذلك أن كل مدينة كان لها رب يحميها ، وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها ، وان كانت تخضع رسميا للاله الاعظم ، ثم قل عدد الآلهة شيئا فشيئا بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى ، وعلى هذا النحو أصبح " مزدك " اله بابل كبير الآلهة البابلية .

وكان الملوك يشعرون بشدة حاجتهم الى غفران الآلهة فشادوا لها الهياكل وأمدوها بالأثاث والطعام والعبيد " .

وأما عباد الكواكب من أهل حران فكانوا على مذهب الصائبة المتعصبة للروحانيات " وهم يقولون بأن للعالم صانعا فاطرا حكيما ولا يمكن الوصول الى جلاله ومعرفته ، وانما يتقرب اليه بواسطة المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون الذين "(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)(٢) ويعتقدون أن الكواكب السبعة السيارة فى افلاكها هى هياكل للروحانيات فلكل روحانى هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحانى الى ذلك الهيكل الذى اختص به كنسبة الروح الى الجسد ، فهو ربه ومدبره ، وكانوا يسمون الهياكل أربابا ، وربما يسمونها آباء ،والله تعالى هو رب الأرباب،

---

(١) قصة الحضارة ـ ول ديورانت ٢/ ٢١١ ـ ٢١٤ بتصرف .
(٢) التحريم / ٦ .

واله الألهة ، ومنهم من جعل الشمس اله الآلهة ، ورب الأرباب . (١)

فاعلن ابراهيم عليه السلام فى قومه دعوة التوحيد ، وجادل وناقش كلا الفريقين بالحجة والبرهان دون خوف أو مبالاة من أحد وهو فريد لا يجد من ينصره أو يشد أزره ، حتى أن والده وهو أقرب الناس اليه وقف له بالمرصاد .

ولكن ابراهيم عليه السلام سار فى طريقه لا يأبه لشىء وأعلن فى الناس دعوته متحديا كل من يتصدى له قائلا : (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) . (٢)

دعوة ابراهيم لوالده :-

ولما كان والد ابراهيم عليه السلام أعلم القوم بصناعة الأصنام ، وكان الناس يشترونها منه ، كان ابراهيم عليه السلام يحمل أكثر وأقوى الالزامات على والده ، وقد ضرب ابراهيم عليه السلام المثل الرائع فى الجمع بين قوة الحجة والأقناع وأدب الحديث مع والده .

وقد قص الله تعالى لنا تلك المجادلة فى قوله تعالى : (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ، اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . ياأبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) . (٣)

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستانى ٢/ ٦ ، ٧ ، ٤٩ .

(٢) الأنعام / ٧٩ .

(٣) مريم / ٤١ - ٤٥ .

وفى هذه الآيات نحس أسلوب الداعية المخلص فى التوجيه والتعليم انه يحذر فى لطف وينذر فى لين ، ويعرف منزلة الأبوة ومكانتها فيعطيها حقها من اللين والاحترام .

ومع أن تلك الأبوة لم تقابل هذه الدعوة بالحنان والشفقة ، بل انقلبت الى نار تتأجج وجحيم تتوقد ، تمثل ذلك فى قول تلك الأبوة الظالمة : (قال أراغب أنت عن آلهتنا يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا) . (١)

فان ابراهيم عليه السلام لم يقابل تلك الشدة بمثلها كما يفعله الأبناء الجهلة ، ولكنه قابل تلك الشدة باللين والاحسان ، فهو يقول لوالده : (سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا) . (٢)

وهذا الاستغفار من ابراهيم عليه السلام انما كان طمعا منه فى ايمان أبيه ، ولكنه حينما ظهر له اصراره على الشرك ، وعداوته المتأصله لدين الله تعالى ، تبرأ منه وقطع صلته به ، قال تعالى : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم) . (٣)

دعوة ابراهيم للوثنيين :-

أما دعوة ابراهيم عليه السلام لقومه الوثنيين ، فقد سلك معهم منهجا مرتبا لا تعقيد فيه ولا غموض ، جاء ذلك فى قوله تعالى :

---

(١) مريم / ٤٦ .

(٢) مريم / ٤٧ .

(٣) التوبة / ١١٤ .

(وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ، وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين).

فمن خلال الآيات الكريمة نرى أن ابراهيم عليه السلام قد دعا قومه دعوة بسيطة واضحة ، وهى مرتبة فى عرضها ترتيبا دقيقا يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوة لينسجوا على منواله فى مخاطبة النفوس والقلوب .

١ - فهو أولا : بدأ ببيان حقيقة الدعوة التى يدعوهم اليها (اعبدوا الله واتقوه) .

٢ - ثم ثنى بتحبيب هذه الحقيقة اليهم ، وما تضمنته من الخير لهم ، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

٣ - وفى الخطوة الثالثة يبين لهم فساد ماهم عليه من العقيدة من عدة وجوه :

أ - انهم يعبدون من دون الله أوثانا ، والوثن - التمثال من الخشب - وهى عبادة سخيفة ، وبخاصة اذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله .

ب - انهم بهذه العبادة لا يستندون الى برهان أو دليل وانما يخلقون افكا وينشئون باطلا من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة .

جـ - ان هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعا ، ولا ترزقهم شيئا (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) .

---

(١) العنكبوت / ١٦ - ١٨ .

٤ - وفى الخطوة الرابعة يوجههم الى الله ليطلبوا منه الرزق ، الأمر الذى يهمهم ويمس حاجتهم (فابتغوا عند الله الرزق) والرزق مشغلة النفوس ، وبخاصة تلك التى لم يستغرقها الايمان ، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة فى النفوس .

وفى النهاية يهتف بهم الى وهاب الأرزاق المتفضل بالنعم ليعبدوه ويشكروه : (واعبدوا الله واشكروا له) ويكشف لهم انه لا مفر من الله فمن الخير أن يتوبوا اليه مؤمنين عابدين شاكرين (اليه ترجعون) .

٥ - وأخيرا بين لهم أنهم ان كذبوا بعد ذلك فلن يضر الله شيئا ، ولن يخسر رسوله شيئا ، فقد كذب الكثيرون من قبل ، وما على الرسول الا واجب التبليغ (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) .(١)

بهذا الأسلوب المثالى فى الدعوة أخذ ابراهيم عليه السلام يدعو قومه ولكنه حينما لم يجد قبولا لدعوته أو سماعا لتوجيهاته ونصائحه ، أخذته الغيرة والحماس لدين الله تعالى ونصرته فصاح بهم قائلا : (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) (٢) (أئفكا آلهة دون الله تريدون) .(٣) ثم توعدهم بتحطيم تلك الأصنام فى غيابهم (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) .(٤)

---

(١) انظر فى ظلال القرآن - لسيد قطب ٦/٣٩٩ .
(٢) الأنبياء / ٥٢ .
(٣) الصافات / ٨٦ .
(٤) الأنبياء / ٥٧ .

وكان للقوم عيد يخرجون فيه كل عام بعيدا عن العمران ، وطلبوا من ابراهيم أن يشاركهم فى بهجة ذلك الاحتفال ، لكنه رفض مشاركتهم واعتذر بقوله : (انى سقيم) (١) ، ولما خرجوا الى ذلك الاحتفال وغادروا المساكن والعمران ذهب ابراهيم عليه السلام الى معبودات أولئك القوم فوجد انهم قد وضعوا أمامها شتى أنواع الأطعمة والأشربة فقال فى تهكم لهذا العمل السخيف (ألا تأكلون ، ما لكم لا تنطقون). (٢)

ثم انفلت عليها يحطم ويهدم ، وقد ترك كبير الأصنام ليقيم به على قومه الحجة لعلهم يفيقون الى رشدهم ويرعوون عن غيهم (فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون) (٣) ، وبعد أن انتهى القوم من احتفالهم ورجعوا الى أصنامهم ، فوجئوا بما حدث قال بعضهم لبعض فى دهشة : (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون) . (٤)

كان من المفروض أن يفيق أولئك القوم الى رشدهم عند هذا الحد ، ويوقنوا بسخافة عبادتهم لها ، ولكن القوم استمروا فى غيهم وجدالهم وقالوا لابراهيم : (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) (٥) ، ورد عليهم ابراهيم عليه السلام ساخرا منهم : (أفتعبدون من دون الله

---

(١) الصافات / ٨٩ .
(٢) الصافات / ٩١ - ٩٢ .
(٣) الانبياء / ٥٨ .
(٤) الانبياء / ٥٩ - ٦٣ .
(٥) الأنبياء / ٦٥ .

ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون). (١)

ولما لم يبق في أيدى القوم شيء يحتجون به ، عدلوا عن الجدل والمناظرة ، وقرروا استخدام القوة والسلطان لنصرة ما هم عليه من ضلال وباطل : (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين). (٢)
وألقوا ابراهيم عليه السلام في نار مستعرة انتقاما منه ومما يدعو اليه ولكن الله تعالى صرف كيدهم وجعل تلك النار بردا وسلاما عليه قال تعالى : (قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين). (٣)

مناظرة ابراهيم للنمرود :-

ولما سمع الملك الطاغية نمرود بن كنعان عن نجاة ابراهيم عليه السلام من النار خشي على نفسه ومنصبه فأستدعاه ليناقشه عن الهه الذى يعبده ويدعو الناس الى عبادته ، فأجابه ابراهيم عليه السلام بأن ربه الذى يحيى ويميت ، ولكن النمرود أجاب بأنه هو كذلك يحيى ويميت ، قال ابن قتادة وابن اسحاق والسدى (٤) وغيرهم أنه كان يؤتى بالرجلين قد تحتم قتلهما ، فيأمر بقتل أحدهما فيقتل ، ويعفو عن الآخر فلا يقتل ، فذلك معنى الاحياء والاماتة في نظره .
قال ابن كثير (٥) : " والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا ، لأنه

---

(١) الأنبياء / ٦٦ - ٦٧ .
(٢) " / ٦٨ .
(٣) " / ٦٩ - ٧٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٥ .
(٥) " " " ١ / ٣٢٥ .

ليس جوابا لما قال ابراهيم ولا فى معناه ، لأنه غير مانع لوجود الصانع ، وانما أراد أن يدعى لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذى يحى ويميت ، كما اقتدى به فرعون فىقوله : (ما علمت لكم من اله غيرى) (١).

ولما رأى ابراهيم عليه السلام حماقة الطاغية وشاغبته فى الدليل عدل الى دليل آخر أجدى وأروع وأشد افحاما ، فقال له فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، عند ذلك أخرس ذلك الفاجر بالحجة القاطعة وأصبح مبهوتا لا يستطيع أن ينطق بكلمة وكأنما ألقم الحجر .

اقرأ هذه المناظرة فى قوله تعالى : (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) . (٢)

وكانت نهاية هذا الطاغية كما ذكر ابن كثير عن زيد بن اسلم (٣) قال : " دخلت بعوضة واحدة فى منخر النمرود وأخذ يعذبه الله بها مدة طويلة ، حتى كان يضرب رأسه بالمرزاب حتى أهلكه الله بها " .

---

(١) القصص / ٣٨ .

(٢) سورة البقرة / ٢٥٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٢٦ ، وانظر البداية والنهاية ١/ ١٤٩ .

دعوة ابراهيم لعبدة الكواكب :-

ولما انتقل ابراهيم عليه السلام من أرض بابل الى منطقة حران ، وأمله أن يجد من أهلها قلوبا تتفتح الى النور والهدى ، ولكنه مع الأسف وجد أهلها أشد ظلاما وأكثر جهلا حيث وجدهم يعبدون ويؤلهون الشمس والقمر والنجوم ، فعند ذلك نزل ابراهيم عليه السلام حلبة الميدان يجادل بالحجة والبرهان مستخدما معهم طرق العقل والمنطق لعلهم يفيقون الى رشدهم ويعبدون الاله الحق الذى يسير تلك الكواكب ، والآيات التالية تبين لنا الأسلوب الذى سلكه ابراهيم عليه السلام معهم فى التدرج الى معرفة الخالق تبارك وتعالى ، قال عز وجل : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء الله ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ، الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) . (١)

ونلاحظ من خلال الآيات الكريمة ان ابراهيم عليه السلام قد أعلن لهم خيبة أمله فى جميع هذه الكواكب وأن واحدا منها لا يستحق أن يكون الها حقا ،

---

(١) الأنعام / ٧٦ - ٨٣ .

فهى تظهــر من هنا وتغيب من هنا ، واذا كانت الآلهة تغيـــــب فمن الذى يرعى الخلائق عند غيابها ، أو من يدبر أمرها اذا أفلت .

فلابد اذا من اله خالق الكل ، وهــيمن على مسيرتها وحركتهـــا حتى أكبرها لا يعدو أن يكون واحدا من هذه الكواكب السيارة .

ورب هذه الكواكب هو الذى ينبغى التوجه اليه وصرف العبادة له.

* * *

٥ - الشرك فى قوم اسماعيل عليه السلام ومنهجه فى محاربته :-

ونأتى الى اسماعيل عليه السلام بكر أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام من زوجه هاجر المصرية ، وقد رزق به لما بلغ من العمر ستا وثمانين سنة ، والى ذلك تشير الآية الكريمة : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء) . (١)

ومن الثابت أن ابراهيم عليه السلام قد انتقل بزوجه هاجر وابنه اسماعيل - وكان يومئذ رضيعا - الى مكة .

وبمكة نشأ اسماعيل وترعرع ، وكان أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة ، وقد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن . (٢)

وقد اثنى الله تعالى على هذا النبى الجليل ووصفه بالصبر والحلم وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والزكاة وأمره لأهله بها ، بالاضافة الى الدعوة الى عبادة الله وحده .

قال تعالى : (واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ، وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين) . (٣)

وقال تعالى : (فبشرناه) أى ابراهيم (بغلام حليم) . (٤)

وقال تعالى : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . (٥)

---

(١) سورة ابراهيم آية / ٣٩ .

(٢) انظر قصص الانبياء لابن كثير ١ / ٣٠٦ .

(٣) سورة الانبياء آية / ٨٥ - ٨٦ .

(٤) سورة الصافات آية / ١٠١ .

(٥) سورة مريم آية / ٥٤ - ٥٥ .

وقال تعالى : (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) (١)
ولما شب اسماعيل عليه السلام وأصبح فى سن يستطيع معها أن يسعى ويعمل رأى ابراهيم فى المنام - ورؤيا الأنبياء حق - أن الله يأمره بأن يذبح ولده اسماعيل وكان وحيده آنذاك . فعرض ابراهيم الأمر على ولده ليختبر ايمانه وليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يذبحه قهرا ، وكان جواب اسماعيل لأبيه أن يفعل ما أمره الله به وأنه سيجده ان شاء الله من الصابرين الراضين بحكم الله وارادته ، فلما استسلما لقضاء الله وعزما على تنفيذ أمره ، وأمر ابراهيم السكين على رقبة ابنه ، غير أنه وجد أن السكين لم تقطع ، وناداه ربه بالكف عن ذبح اسماعيل لأنه قد حصل المقصود من الامتحان والابتلاء ، وفداء الله اسماعيل بكبش عظيم .

قال تعالى : (فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم) . (٢)

وقد كانت رسالته عليه السلام الى القبائل العربية التى عاش فى وسطها وما والاها من قبائل جرهم والعماليق واليمن . (٣)

واذا كان القرآن الكريم لم يفصل الحديث عن دعوته عليه السلام ، فان من المرجح أنه سار على نهج والده فى الدعوة الى الله تعالى

---

(١) سورة ص آية / ٤٨ .
(٢) سورة الصافات آية / ١٠٢ - ١٠٧ .
(٣) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٣٠٦ .

من تقرير عقيدة التوحيد ، وعبادة رب الأرباب ، واداء الصلوات والزكوات وغيرها من العبادات .

ولعل معاصرته لأبيه عددا من السنين ، وشاركته له فى بعض مهام الدعوة ولوازمها كبناء البيت الحرام ، أو لعل ما جرى بخصوص دعوة أبيه من التفصيل والايضاح اقتصر فى عرض دعوته عليه السلام .

وقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى جعل البيت الحرام "مثابة" أى مرجعا للناس يقصدونه للعبادة ، وأنه مكان أمن وأمان لا يخاف قاصده ، كما اشار الله الى وصيته لابراهيم واسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت من الدنس الحسى كالقاذورات والدنس المعنوى كالشرك وعبادة الأصنام ليكون طاهرا للطائفين حوله ، والمعتكفين فيه للعبادة، والراكعين الساجدين لله تعالى فيه .

قال تعالى : (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) .(١)

وبين القرآن الكريم ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت الحرام ويدعو ان الله تعالى أن يتقبل منهما عملهما كما يدعوانه أن يقيهما على الاسلام ومن ذريتهما كذلك ، وأن يبعث فى تلك الأمة رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة .

قال تعالى : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

---

(١) سورة البقرة آية / ١٢٥ .

ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) . (١)

وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا في الأميين وسائر الأعجمين من الأنس والجن كما جاء في الحديث الذى رواه الامام أحمد (٢) عن العرباض بن سارية ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين تريت " .

ونحوه عن أبى أمامة قال (٣) : قلت يا نبى الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة ابى ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام " .

والمراد أن أول من نوه بذكره وشهرة في الناس ابراهيم عليه السلام ولم يزل ذكره شهورا حتى أفصح باسمه آخر أنبياء بنى اسرائيل وهو عيسى بن مريم عليه السلام حيث قال : (... يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة وبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ...) . (٤)

هذا والبشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم ليس هذا مكانها .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) مسند الامام أحمد ٤/١٢٧ .

(٣) " " " ٥/٢٦٢ .

(٤) سورة الصف /٦ .

٦ - الشرك فى قوم يوسف عليه السلام ومنهجه فى محاربته :-

وفى زمن يوسف عليه السلام كان الشرك سائدا فى مصر كسائر الأمم القديمة ، وذكروا أنه كان لكل مدينة فى مصر يومئذ معبود لا يشبه ما يجاورها من المدن ، وكان لكل مدينة أو مقاطعة صغيرة آلهتها الخاصة وعباداتها المختلفة ، فكان موطن أوزيريس فى أبيدوس ، وفتاح فى منفيس ، وآمون فى طيبة ، وهوروس فى ادفو ، وهاتور فى دندرة ، ورع فى هليوبوليس ، وآتون فى هرموبولس وغيرها كثير هنا وهناك ، وكانت مكانة الآلهة مستمدة من مكانة المدينة أو المقاطعة التى يعبد فيها ، وهكذا كانت الآلهة مراتب متفاوتة تبعا لتفاوت مراتب المقاطعات السياسية . (١)

كما كانت لهم معبودات أخرى كالشمس والأسد وابن أوى وغير ذلك من الحيوانات والآلهة الحرقاء . (٢)

وقد غاض يوسف عليه السلام ما شاهده من انحراف شنيع عن عقيدة التوحيد ، فلما واتته الفرصة أثناء وجوده فى السجن صاح فى أولئك الناس قائلا لهم : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . (٣)

---

(١) مقارنة الأديان لأبى زهرة ص ٧ ، الأديان دراسة تاريخية مقارنة للدكتور رشدى عليان وسعدون الساموك ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) تاريخ الدعوة لجمعة الخولى ١/ ٢١٩ عن مؤتمر تفسير سورة يوسف ٢/ ٧٨٣ ط . أولى سنة ١٩٦١ م .

(٣) يوسف / ٣٩ - ٤٠ .

يقول سيد قطب رحمه الله [1] :

" لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة ، كل معالم هذا الدين ، وكل مقومات هذه العقيدة ، كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا عنيفا (يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) .

انه يتخذ منهما صاحبين ،ويتحبب اليهما بهذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل الى صلب الدعوة وجسم العقيدة ، وهو لا يدعوهما اليها دعوة مباشرة ، انما يعرضها قضية موضوعية :

(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟) .

وهو سؤال يهجم على الفطرة فى اعماقها ويهزها هزا شديدا ، ان الفطرة تعرف لها الها واحدا ففيهم إذاً تعدد الأرباب ؟ ان الذى يستحق أن يكون ربا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار ، ومتى توحد الاله وتقرر سلطانه القاهر فى الوجود فيجب تبعا لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر فى حياة الناس ،وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ، وأنه هو القاهر ، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره ، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا ، ان الرب لابد أن يكون الها يملك أمر هذا الكون ويسيره ، ولا ينبغى أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله ربا للناس يقهرهم بحكمه ، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره .

والله الواحد القهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلية القاهرة العمياء عن رؤية ما وراء المنظور القريب كالشأن فى كل الأرباب الا الله .

---

(١) فى ظلال القرآن ٤/٧٢٣ - ٧٢٤ .

وما شقيت البشرية قط مثل شقائها بتعدد الأرباب وتفرقهم وتوزع العباد بين أهوائهم وتنازعهم " . أهـ .

والذى لا شك فيه أن يوسف عليه السلام قد عاش بين قومه الوثنيين يدعوهم الى عبادة الله وحده ويبلغهم رسالة ربه وينصح لله تعالى ما استطاع ، لكنه لم يتمكن من أن يحقق بينهم كل ما يرجوه من دعوته ، وظل قومه فى شك مما جاء به كما أشار الى ذلك مؤمن آل فرعون فى قوله تعالى : (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) . (١)

* * *

---

(١) سورة غافر / ٣٤ .

٧ - الشرك فى قوم شعيب عليه السلام ومنهجه فى محاربته :-

وفى عهد شعيب عليه السلام ظهر فى مدين (١) قوم يعبدون الايكة قال ابن كثير :" وكان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الايكة وهى الشجرة من الايك حولها غيضة ملتفة بها ، وكانوا من أسوأ الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ، فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم ، واخافتهم لهم فى سبلهم وطرقاتهم ، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد " . (٢)

قال تعالى : (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) . (٣)

فأنكر قومه دعوته ولم يومنوا بما جاء به من عند الله تعالى واستهزؤا به ولم يرتدعوا عما يفعلونه وقالوا له على سبيل السخرية والاستهزاء :
(يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد) . (٤)

---

(١) مدين : مدينة على بحر القلزم (البحر الأحمر) محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وبها البئر التى استقى منها موسى عليه السلام ، لسائمة شعيب ، وقيل مدين اسم القبيلة ولهذا قال تعالى : (والى مدين أخاهم شعيبا) . معجم البلدان للحموى ٥/٧٧ - ٧٨ .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٨٥ .
(٣) الاعراف / ٨٥ .
(٤) هود / ٨٧ .

و (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) .(١)

وكانت النتيجة أن أخذتهم رجفة شديدة ، وزلزلة عظيمة أزهقت أرواحهم من اجسادهم وانتهى أمرهم وزالت آثارهم ، ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منه واحسان قال تعالى : (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) .(٢)

* * *

---

(١) هود / ٩١ .

(٢) " / ٩٤ - ٩٥ .

٨ ـ الشرك فى قوم موسى عليه السلام ومنهجه فى محاربته : ـ

ولما كثر بنوا اسرائيل فى مصر وتزايد عددهم وحكمهم فرعون ذلك الملك الطاغية ، الذى ادعى الربوبية والألوهية معا ، وحكم قومه بالحديد والنار ، وكان مما أوقعه بهم تفريقهم شيعا وأحزابا وتسخيرهم فى أشق الأعمال لأنهاك قواهم ، وكان يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم كما قص الله تعالى ذلك فى قوله عز وجل : (ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين) . [١]

وقال لهم : (... ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين).. [٢]

فبعث الله تعالى اليه والى قومه موسى وأخاه هارون عليهما السلام فدعياه باللين والحسنى الى عبادة الله وحده وترك التجبر والتكبر فى الأرض قال تعالى : (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) . [٣]

وقد أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام التوراة وهى كتاب سماوى فيه هدى ونور وضياء وذكر ، وتمام على الذى أحسن ، وتفصيل لكل شئ .

وأمر الله بنى اسرائيل أن يأخذوا بأحسنها ، وأن يقيموا أحكامها ، وأن لا يشتروا بها ثمنلا قليلا ، وأن لا يحرفوا كلمها عن مواضعه ... كما جاءت التوراة بتفاصيل العبادة التى لا تنبغى الا لله تعالى ، وحذرت من الشرك ، وغوائل الوثنية ، فقد جاء فى سفر الخروج [٤] :

---

(١) القصص / ٤ .

(٢) " / ٣٨ .

(٣) طه / ٤٤ .

(٤) سفر الخروج الاصحاح العشرين فقره ٣ ـ ٥ ، وانظر هذا المعنى فى سفر الخروج أيضا الاصحاح ٣٤ فقره ١١ ـ ١٥ وسفر التثنية الاصحاح ٥ فقره ٦ ـ ٢٢ .

" أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب الهك اله غيور".

وجاء فى سفر الخروج أيضا [١] : " من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك " .

وجاء فى سفر اللاويين [٢] : " لا تلتفتوا الى الأوثان ، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لانفسكم " .

وقد أشار القرآن الكريم الى دعوة بنى اسرائيل الى التوحيد فقال تعالى : (واذأخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله) . [٣]
وقال تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) . [٤]

وقد استكبر فرعون وطغى وتجبر واستخف قومه واستجهلهم فأطاعوه لما دعاهم اليه من الكفر والضلال قال تعالى عنه : (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ٢٢ فقرة / ٢٠ .

(٢) سفر اللاويين الاصحاح ١٩ فقرة / ٥ .

(٣) البقرة / ٨٣ .

(٤) المائدة / ١٢ .

عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) . (١)

وكان مصير فرعون وأتباعه أن اغرقهم الله تعالى فى البحر وأنجى الله تعالى موسى وهارون ومن آمن معهما من بنى اسرائيل ، فكان ذلك آية وعبرة للناس الى يوم القيامة .

قال تعالى : (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) . (٢)

وقال تعالى : (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم اغرقنا الآخرين ، ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) . (٣)

ولم يهمل القرآن الكريم الحديث عن مصير فرعون وقومه فى الدار الآخرة وما أعده الله لهم من العذاب وسوء المصير قال تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . (٤)

وعلى الرغم مما لقى موسى عليه السلام فى سبيل دعوة بنى اسرائيل الى عبادة الله تعالى وحده من الأهوال والمعاناة ، وما أيده الله به من المعجزات العظيمة الدالة على قدرة وعظمة الخالق ، جلت قدرته ،

---

(١) الزخرف / ٥١ - ٥٤ .

(٢) يونس / ٩٠ - ٩٢ .

(٣) الشعراء / ٦٥ - ٦٨ .

(٤) غافر / ٤٥ - ٤٧ .

الا أن رواسب الوثنية التي ألفها قومه طوال عهدهم فى مصر بقيت تعاودهم من حين الى آخر .

ومن مظاهر ذلك انهم عندما جاوزوا البحر الذى اغرق الله عدوهم به مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى عليه السلام أن يتخذ لهم صنما يعبدونه مثل ما لأولئك الوثنيين وقد لامهم موسى عليه السلام وعاتبهم على جهلهم وبين لهم أن دين أولئك القوم هالك وباطل ، وأن أعمالهم خاسرة ومضمحلة لعبادتهم ما لا يستحق العبادة .

قال تعالى : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، قال أغير الله أبغيكم الاها وهو فضلكم على العالمين) . (١)

وعندما ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه ،استغل السامرى فرصة غيابه وأخذ من بعض حلى النساء وأذابها بالنار وسبك منها جسدا على شكل عجل اذا دخلته الريح تجعل له صوتا كصوت البقر وأمرهم بعبادته وقد تصدى لهم هارون عليه السلام وأفهمهم بأنهم فتنوا بهذا العمل وأجهد نفسه عليه السلام فى ردهم عن عبادة العجل ، ولكنه لم يفلح لأصرارهم على عبادته حتى يرجع اليهم موسى .

فلما أخبر الله تبارك وتعالى رسوله موسى عليه السلام بما فعله السامرى وما أضل به القوم عن دينهم عاد موسى عليه السلام وهو فى أشد حالات الغضب والأسف ، ولام قومه على فعلهم كما لام أخاه هارون عليه السلام على عدم لحوقه به لاخباره بما حدث ، كما توجه باللوم الشديد على السامرى لتسببه فى اضلال الناس ، وبين له بوحى من الله تعالى أن عاقبته فى

---

(١) الأعراف / ١٣٨ - ١٤٠ .

الحياة أن يقول : " لا مساس " فكان يتألم من مس أى انسان لـــــه ، فاذا لقى أنسانا وخشى أن يمسه يقول له : "لا مساس " ثم ذهب موسى نحو العجل المصنوع وأحرقه وأذراه فى البحر .

قص الله تبارك وتعالى لنا ذلك فى الآيات التالية :

(قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ، فرجع موسى الـــى قومه غضبان أسفا ، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ، أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالـــــوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلـك القى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكـــــم واله موسى فنسى ، أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضـــــرا ولا نفعا ، ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت امرى قـــال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بيـــــن بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصـــــــرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لــى نفسى ، قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهلك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنـــه فى اليم نسفا) . (١)

كما بين موسى عليه السلام لقومه بوحى من الله تعالى أن توبتهـــــم تكون بقتل أنفسهم وكبت شهواتها وتطهيرها من الشرك والآثام .

قال تعالى : (واذ قال موسى لقومه انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكــــم

---

(١) سورة طه / ٨٥ - ٩٧ .

العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) . (١)

وعن تأصل الوثنية فى بنى اسرائيل على الرغم من دعوة موسى عليه السلام لهم الأيام والليالى الطويلة يعلق الشيخ العدوى (٢) بقوله :
" فهذا نبى الله موسى يمضى الأيام فى دعوة القوم الى توحيد الله تعالى ويدأب على محاربة الشرك والوثنية أياما وليالى ، ثم يترك أخاه هارون عليه السلام فيطمع القوم فى حلمه ولين جانبه فينتهز السامرى تلك الفرصة ويضل القوم بعمل عجل من حلى الذهب والفضة على نحو خاص بحيث اذا مر الهواء منه صوت كصوت العجل ، واستغل سذاجة بنى اسرائيل ، وجهلهم بحقيقة تلك الصنعة ، ويريهم أن ذلك هو الذى ينبغى أن يعبد ، فيعود نبى الله موسى ، فيحزن على ذلك العمل الحزن العميق ، ويأسف غاية الأسف على اضاعة مجهوده بسبب ضعف قومه ، واستعدادهم لكل أنواع التحريف ."

هذا وسيأتى معنا بعض الايضاح عن مظاهر التحريف للديانة اليهودية بعد موسى عليه السلام فى الكلام عن حالة العقائد قبيل البعثة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

* * *

---

(١) البقرة / ٥٤ .
(٢) دعوة الرسل الى الله تعالى ص ٢٢ .

٩ - الشرك فى قوم عيسى عليه السلام ومنهجه فى محاربته :-

وتتابعت بعثة الرسل والأنبياء على بنى اسرائيل على مر العصور والأزمان لانتشالهم من الضلال والجهل وطغيان المادة ، ولكن بنى اسرائيل لم يقابلوا تلك النعمة بالشكر والامتنان ، وانما قابلوها بالجحود والكفر وتمردوا على الشرائع الربانية التى جاء بها أنبياؤهم واستمروا على الشرك وعبادة الأوثان حتى قبيل ظهور المسيح عليه السلام ظهر من الآلهة المقدسة فى الاغريق والرومان والفرس والشام ومصر وبابل وغيرها الاعداد الكثيرة .

يقول الدكتور أحمد شلبى فى كتابه المسيحية(١) :

" قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عددا كبيرا من الآلهة ، فهناك مثلا آيلو الذى كان يقدسه الاغريق ، وهيركوليس معبود الرومان ، ومترا معبود الفرس ، وأدونيس معبود السوريين ، وأوزيريس وايزيس وحورس معبودات المصريين ، وبعل معبود البابليين ، وسواهم كثيرون وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس . . . "

فجاء عبد الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام الى بنى اسرائيل ليردهم الى الطريق الحق ويصحح لهم ما دخل على شريعتهم من تحريف وتبديل ، ويبلغهم ما أنزل الله عليه من شريعة جديدة وما فيها من تحليل بعض ماحرم عليهم فى شريعة موسى عليه السلام بسبب بغيهم وعدوانهم قال تعالى : (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم . .) . (٢)

---

(١) المسيحية لاحمد شلبى ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) آل عمران / ٥٠ .

وأنزل الله تعالى عليه الانجيل فيه الهدى والنور كما قال تعالى : (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) . (١)

وفيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم النبي الخاتم وصاحب الشريعة العامة لكافة الخلق قال تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . (٢)

ودعا قومه الى عبادة الله تعالى وتوحيده قال تعالى : (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . (٣)
وقال تعالى : (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) . (٤)

وعلى هذا الأساس أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه الى عبادة الله تعالى ويقارعهم الحجة ، ويرفض أي ادعاء أو زيادة ترفع شخصه عن جنس البشرية أو مقام النبوة .

---

(١) المائدة / ٤٦ .
(٢) الصف / ٦ .
(٣) المائدة / ٧٢ .
(٤) الزخرف / ٦٣ - ٦٥ .

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية الحادثة التالية : (١)

" قال ابو بكر بن أبى الدنيا حدثنا الفضل بن أبى موسى البصرى حدثنا ابراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينه يقول : لقى عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى بن مريم أنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت فى المهد صبيا ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية للاله الذى انطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى قال فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيى الموتى قال بل الربوبية لله الذى يحيى ويميت من أحييت ثم يحيه قال والله انك لاله فى السماء واله فى الأرض قال فصكه جبريل صكة بجناحيه فما بناها دون قرون الشمس ثم صكه أخرى بجناحيه فما بناها دون العين الحامية ثم صكه أخرى فادخله بحار السابعة فساخه وفى رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول ما لقى أحد من أحد ما لقيت منك يا ابن مريم " .

وهكذا جاء عيسى عليه السلام بكلمة التوحيد خالصة لله تعالى ، فى وضوح وجلاء ولم يقل مرة واحدة انه اله أو ابن اله أو ثالث ثلاثة ولم يشر من قريب أو بعيد الى أن صلة له بربه غير صلة العبودية الخالصة من جانبه والربوبية المطلقة لله رب العالمين .

ومن هذا يتبين لنا أن عيسى عليه السلام لو جرد من كل ما أضافه اليه المحرفون الضالون لكان كما وصفه رب العزة والجلال فى كتابه الكريم: (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ، وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) . (٢)

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ٨٠ .

(٢) سورة مريم / ٣٤ - ٣٦ .

ولما كان اليهود الذين بعث فيهم عيسى عليه السلام قساة القلوب، فقد اعرضوا عن رسالته وأخذوا يصدون الناس من سماع دعوته ، ولما وجدوا أن البعض يؤمن به ويلتف حول دعوته ، أخذوا يحرضون الرومان عليه ويوهمونهم أن في دعوة عيسى زوالا لملك قيصر ، وتقويضا لسلطانه ، فتمكنوا من حمل الحاكم الروماني على اصدار الأمر بالقبض عليه والحكم باعدامه صلبا . (١)

ولكن الله تعالى لم يمكنهم مما أرادوا به من كيد ومكر اذ رفعه الله تعالى اليه وألقي الشبه على غيره كما قال تعالى : (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) . (٢)
وقال تعالى : (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) . (٣)

وسنلقي شيئا من الضوء على ما حصل للديانة النصرانية من تحريف وتبديل بعد رفع المسيح عليه السلام في الحديث عن حالة العقائد قبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات ، ولكونها عامة الى جميع الناس في كل زمان ومكان ، أود أن أعطي فكرة عن حالة العقائد في العالم قبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية وفي خارجها لنرى كيف أن العالم بأسره كان في حاجة ماسة الى رسالة جديدة تنير له الطريق وتكفل له أمنه واستقراره ؟ .

---

(١) قصص الانبياء للنجار ص ٥٠٤ ، ومع الانبياء في القرآن الكريم لعفيف طبارة ص ٣٢٦ .
(٢) النساء / ١٥٧ - ١٥٨ .
(٣) آل عمران / ٥٥ .

الفصـــل الرابـــع

حالة العقائد قبيل البعثة المحمدية

ويشتمل على ما يأتى :

أولا : حالة العقائد داخل الجزيرة العربية .

أ ـ الحالة الدينية .

ب ـ الحالة الاجتماعية .

جـ ـ الحالة السياسية .

ثانيا : حالة العقائد خارج الجزيرة العربية .

١ ـ الديانة اليهودية .

٢ ـ الديانة النصرانية .

٣ ـ بلاد فارس .

٤ ـ بلاد الهند .

٥ ـ بلاد الصين .

نظرة عامة على الوضع العالمى

أولا : حالة العقائد داخل الجزيرة العربية

أ ـ الحالة الدينية للعرب قبل الاسلام :

العرب كانوا على التوحيد :

كان العرب على دين ابراهيم واسماعيل ، وعلى دين من بعثه الله تعالى فيهم من أنبياء لعاد ولثمود ولمدين وغيرهم .

فقد بعث الله تعالى هودا عليه السلام لعاد الذين سكنوا الاحقاف جنوب الربع الخالي وشمال حضرموت ، وبعث صالحا عليه السلام لثمود الذين سكنوا بالحجر ووادى القرى بين المدينة المنورة وتبوك .

وأبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام وان كان ولد ببابل ، الا انه لم يستقر بها بل أخذ يتنقل بينها وبين حران ومصر وفلسطين ، ثم كان مهاجره الى مكة ومعه ولده اسماعيل وأمه هاجر ، وقد استقر المقام باسماعيل وأمه بمكة ، ورفع ابراهيم وابنه اسماعيل بمكة المكرمة قواعد البيت الحرام .

قال تعالى : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)(١)

وكانت على مقربة من الجزيرة العربية رسالة لوط ورسالة شعيب عليهما السلام .

---

(١) البقرة (١٢٧ ـ ١٢٨) .

ولهذا فان العرب فى الجزيرة العربية كانوا يؤمنون بدعوة التوحيد التى دعا اليها هؤلاء الأنبياء وغيرهم لأن الصحيح المقطوع به أن الرسل المذكورين فى القرآن الكريم ليسوا كل الرسل الذين بعثهم الله تعالى بل أنه يوجد رسل غيرهم كما قال تعالى لخاتم رسله بعد أن ذكر عددا من الرسل : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) (١)

وقال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) (٢)

تحول العرب من التوحيد الى الوثنية :

وعن تحول العرب عن عبادة الله تعالى الى الوثنية قال أبو المنذر الكلبى (٣) : " ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام لما سكن مكة ، وولد له بها أولاد كثيرون ، حتى ملاءوا مكة ، ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتفسحوا فى البلاد التماسا للمعاش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الأوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة (٤) بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه ، وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحبا له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعتمرون ، على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا

---

(١) النساء (١٦٤)

(٢) فاطر (٢٤)

(٣) الاصنام (ص ٦) اخبار مكة (١٦٦/١) سيرة ابن هشام (١٧٧/١) البداية والنهاية (١٨٨/٢) اغاثة اللهفان (٢١٠/٢) تلبيس ابليس (٥٥ — ٥٦).

(٤) الصبابة رقة الشوق وحرارته مختار الصحاح (ص ٣٥٤)

ما استحبوا ، ونسوا ماكانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، وانتجثوا (استخرجوا) ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة ومزدلفة ، واهداء البدن ، والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه " .

وقد كانت كنانة وقريش اذا أهلوا قالوا : " لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، الا شريك هولك تملكه وما ملك " فيوحدونه بالتلبية ويدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)[1] أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى ، الا جعلوا معى شريكا من خلقى[2]

وذكر السهيلى وغيره[3] : " أن أول من لبى : هذه التلبية عمرو بن لحى وأن ابليس تبدى له فى صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب فى ذلك " .

وقد ذكر ابن الكلبى[4] : " أن أول من غير دين اسماعيل عليه السلام

---

(١) يوسف (١٠٦)

(٢) الاصنام (ص ٧) سيرة ابن هشام (١/ ٧٨) البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٥٦) اغاثة اللهفان (٢/ ٢١٠ — ٢١١) .

(٣) الروض الأنف (١/ ١٠٢) البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) .

(٤) الاصنام (ص ٨) تلبيس ابليس (ص ٥٦) بلوغ الارب (٢/ ٢٠٠)

فنصب الأوثان ، وسيب السائبة ، ووصل الوصلة ، وبحر البحيرة ،
وحمى الحامية ، عمرو بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة بن عمرو بن عامر
الأزدى ، وهو أبو خزاعة .

وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحى
نازعه فى الولاية وقاتل جرهما ببنى اسماعيل ، فظفر بهم وأجلاهم عن
الكعبة ونفاهم عن بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم " .

وذكر السهيلى (١) : أن العرب " قد جعلته ربا لا يبتدع لهم
بدعة الا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو فى الموسم ،
فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة " .

وقد نص الشهرستانى (٢) أن عمرو بن لحى وضع الأصنام فى البيت
فى أول ملك "سابور" ذى الأكتاف (٣) .

وعن جلب الأصنام من الشام الى مكة يروى ابن الكلبى (٤) أن
عمرو بن لحى مرض مرضا شديدا فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حمة ان
أتيتها برأت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام
فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو ،

---

(١) الروض الأنف (١/١٠٢) اغاثة اللهفان (٢/٢١١)
(٢) الملل والنحل (٢/٢٣٣)
(٣) هو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام ، أحد ملوك الفرس قتله الروم وله من العمر ٧٢ سنة وهلك فى أيامه عامله على العرب أمرؤ القيس ابن عمرو بن عدى . انظر الكامل لابن الأثير (١/٢٢٨ — ٢٣١) ومروج الذهب للمسعودى (١/٢٥٤) .
(٤) الأصنام (ص ٨) تلبيس ابليس (ص ٥٦) اغاثة اللهفان (٢/٢١١) بلوغ الارب (٢/٢٠١) .

فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

وهناك رواية أخرى [١] تذكر أن أول من اتخذ تلك الأصنام من ولد اسماعيل وغيرهم من الناس هو هذيل بن مدركة .

وعلى كل فالرواية الأولى هي المعروفة والمشهورة بين الاخباريين عن منشأ عبادة الأصنام عند العرب . [٢]

والحق انه اذا كان للدعوة الالهية أنبياء ودعاة يدعون الناس الى الخير والى عبادة الله تعالى وحده ، فكذلك فان للدعوات الشيطانية دعاة يدعون الى أبواب جهنم والى عبادة الأوهام والطواغيت ، ومن أكبر دعاة الضلال عمرو بن لحي الخزاعي حيث استورد الأصنام من بلاد بعيدة ووزعها في الجزيرة العربية بل في أرض الحرم .

فان العرب جميعا من قحطان وعدنان كانوا قبل عمرو بن لحي على التوحيد يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا فلما جاء عمرو بن لحي أفسدهم ونشر بينهم الأضاليل بما جلبه لهم من بلاد الشام من اصنام ، فكان داعي الوثنية عند العرب ومضلهم الأول ، وموزع الاصنام بين القبائل ومقسمها عليها ، فكان من دعوته تلك عبادة الأصنام والأوثان الى ان جاء الاسلام فاعاد العرب الى سواء السبيل .

وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأصنام (ص ٩) معجم البلدان للحموي (٣ / ٢٧٦) بلوغ الأرب (٢ / ٢٠١) .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام (٥ / ٧٣) .

(٣) صحيح البخاري بشرح الفتح (٨ / ٢٨٣) كتاب التفسير ، المائدة ، باب ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة .

" رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار ،كان أول من سيب السوائب " .

وجاء فى صحيح البخارى أيضا [١] عن عائشة رضى الله عنها قالت : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ، ورأيت عمرا يجر قصبه ، وهو أول من سيب السوائب " .

وفى صحيح مسلم عن [٢] أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندق أبا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار " .

وروى ابن كثير [٣] عن ابن اسحاق عن أبى هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندق يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه " ، فقال أكثم : عسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى " .

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/ ٢٨٣) المرجع السابق .
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩١) كتابة الجنة وصفه نعيمها رقم ٥٠
(٣) البداية والنهاية (٢/ ١٨٩) وقال ليس فى الكتب من هذاالوجه ورواه ابن جرير الطبرى فى التفسير بنحوه جـ ٧ (ص ٨٦) ، وانظر السهيلى فى الروض الأنف (١/ ١٠٠)

بعض أصنام العرب :

وفي طليعة الأصنام التي عبدها العرب :

الصنم " ود " وكان لبني كلب .. وكان منصوبا بدومة الجندل(١)

ويذكر ابن الكلبي (٢) أن عمرو بن لحي قد دفع هذا الصنم الى عوف بن عذرة ابن زيد اللات .. من قضاعة بعد أن أجابه الى عبادة الأصنام ، وأن عوف بن عذرة هذا حمله الى وادى القرى فاقره بدومة الجندل ، وسمى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمى به ، .. ثم سمت العرب به بعد ذلك ، وجعل عوف ابنه عامرا .. سادنا له ، فلم تزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالاسلام . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه ، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر الأجداد فقاتلهم حتى قتلهم ، فهدمه وكسره .

وكان " سواع " لبني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر وكان منصوبا بمكان يقال له رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر .(٣)

قال رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفا   كما عكفت هذيل على سواع (٤)

---

(١) الاصنام (ص ١٠) وانظر البداية والنهاية (٢/١٩٠) ومعجم (٥/٣٦٨) .

(٢) الاصنام (٥٥ ـ ٥٦) وانظر معجم البلدان (٥/٣٦٨) .

(٣) الاصنام (ص ٥٧) البداية والنهاية (٢/١٩١) .

(٤) بلوغ الارب (٢/٢٠١) .

وقد هدم هذا الصنم عمرو بن العاص رضى الله عنه . (١)

وكان " يغوث " لبنى أنعم من طىء ولأهل جرش بن مذحج وكان منصوبا بجرش . (٢)

ويذكر ابن الكلبى أن عمرو بن لحى دفع بهذا الصنم الى انعم بن عمرو المرادى فوضعه باكمة مذحج باليمن فعبدته مذحج ومن والاهامن أهل جرش . (٣)

وكان " يعوق " منصوبا بأرض همدان من اليمن لبنى خيوان بطن من همدان . (٤)

ويذكر ابن الكلبى أن عمرو بن لحى وضع بهذا الصنم الى مالك بن مرثد بن جشم وقد عبدته همدان وخولان ومن والاهما من قبائل وكان فى أرب قال مالك بن نمط الهمدانى :

يريش الله فى الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش (٥)

وكان " نسر " منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لها ذو الكلاع وقد اعطاه عمرو بن لحى قيل : لذى رعين يقال له : معد يكرب ، فوضعه فى موضع " بلخ " من أرض سبأ فتعبدت له حمير الى أيام ذى نواس حيث تهودت معه وتركت عبادته فلم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث

---

(١) معجم البلدان (٢٧٦/٣) وانظر لسان العرب (٢٤/١٠)
(٢) الاصنام (ص ١٠، ٥٧) البداية والنهاية (١٩١/٢)
(٣) الاصنام (ص ١٠ ، ٥٧) اللسان (١٧٥/٢) معجم البلدان (٥/ ٤٣٩) الروض الأنف (١٠٣/١) بلوغ الأرب (٢٠١/٢) .
(٤) البداية والنهاية (١٩١/٢)
(٥) الأصنام (ص ٥٧) الروض الانف (١٠٣/١) اللسان (٢٨١/١٠)

===

الله النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .(١)

وهذه الأصنام الخمسة قد كانت فى قوم نوح عليه السلام كما قال تعالى : " وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا .." (٢)

ثم انتقلت هذه الاصنام فى العرب بعد كما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما (٣) ويعد الصنم " مناة " أقدم الأصنام التى اتخذها العرب وكان منصوبا على ساحل البحر بناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة ، وكانت العرب تعظمه ، وتذبح حوله ، وكان أشد الناس اعظاما له الأوس والخزرج وغسان من الازد ومن دان بدينهم من أهل يثرب(المدينة) وأهل الشام (٣) ومناة هى التى ذكرها الله تعالى بقوله : " ومناة الثالثة الأخرى ".(٤)

وقد كان سدنة هذا الصنم يرتزقون بأسمه الى أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس بعث عليا فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث ابن شمر

=== معجم البلدان (٥/ ٤٣٨) سيرة ابن هشام (١/ ٧٩ — ٨٠) بلوغ الارب (٢/ ٢٠١) .

(١) الاصنام (ص ٥٧ — ٥٨) البداية والنهاية (٢/ ١٩١) اللسان (٥/ ٢٠٦) سيرة ابن هشام (١/ ٨٠) معجم البلدان (٥/ ٢٨٤) ، بلوغ الأرب (٢/ ٢٠١) .

(٢) نوح (٢٢)

(٣) الأصنام (ص ١٣ — ١٤) سيرة ابن هشام (١/ ٨٥) اخبار مكة (١/ ١٢٤) تاج العروس (١٠/ ٣٥١) اغاثة اللهفان (٢/ ١١٢) بلوغ الارب (٢/ ٢٠٢) .

(٤) النجم (٢٠)

ملك غسان أهداهما لها أحدهما اسمه (مخذم) والآخر (رسوب) فوهبهما لعلى فيقال أن ذا الفقار سيف على أحدهما ، ويقال ان عليا وجدهما فى " الغلس " صنم لطى حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فهدمه (١)

ويقال أن الذى هدمه أبو سفيان بن حرب (٢) وفى رواية للواقدى أن الذى هدم الصنم هو سعد بن زيد الأشهلى . (٣)

وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف . (٤)

ويذكر أن رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مروا فيلت سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فمات ، فلما فقده الناس قال عمرو : ان ربكم كان اللات فدخل فى جوف الصخرة ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بنيانا يسمى اللات ... فاتخذتها ثقيف طاغوتا ، وبنت لها بيتا وجعلت لها سدنة وعظمته وطافت به ، وقيل كانت صخرة مربعة ، وكان يهودى يلت عندها السويق . (٥)

وقد هدم اللات أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى جملة من هدم من الأصنام واحرق البيت وقوضت حجابته بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات أن المغيرة هدمها لوحده . (٦)

---

(١) الاصنام (ص ١٤ — ١٥) معجم البلدان (٥/ ٢٠٤) بلوغ الارب (٢/ ٢٠٢)
(٢) البداية والنهاية (٢/ ١٩٢)
(٣) المغازى للواقدى (٢/ ٨٧٠)
(٤) البداية والنهاية (٢/ ١٩٢)
(٥) الاصنام (ص ١٦) ومابعدها ، ومعجم البلدان (٥/ ٤) اخبار مكة (١/ ١٢٦) بلوغ الارب (٢/ ٢٠٣٤)
(٦) الاصنام (ص ١٧) معجم البلدان (٥/ ٥) البداية والنهاية (١/ ١٩٢) ، بلوغ الارب (٢/ ٢٠٣٠٢) .

وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت ينهى ثقيفا عن العود اليها والغضب لها :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر ؟
ان التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر (١)

<u>وكانت : " العزى "</u> لقريش وبنى كنانة (٢) وهى أحدث عهدا من اللات ومنات ، فقد سمت العرب بهما قبل العزى ، فقد سمى تميم بن مر ابنه زيد مناه ، كما سمى ثعلبة بن عكابة تيم اللات ، وكان عبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب ، وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (٣) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض عن يمين المصعد الى العراق من مكة فوق ذات عرق بتسعة أميال ، فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانت تطوف بالكعبة وتقول : " واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى " وكانوا يقولون : " بنات الله " تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وهن يشفعن اليه فلما بعث الله رسوله أنزل عليه : (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) (٤)

---

(١) الاصنام (ص ١٧)
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٨٣) الهداية والنهاية (٢/ ١٩٢)
(٣) الاصنام (ص ١٧ ـ ١٨) معجم البلدان (٤/ ١١٦)
(٤) النجم (١٩ ـ ٢٣)

وحمت لها قريشا شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله في الجاهلية وترك عبادة الأصنام

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى غنم أزور

ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلمى صغير (١)

وقد بلغ من حرص قريش على عبادتها أنه لما مرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه دخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكى ، فقال : ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكى ، ولابد منه ؟ قال : لا والله ولكن أخاف أن لا تعبد العزى بعدى ، قال أبو لهب : والله ما عبدت حياتك لأجلك ، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ، فقال أبو أحيحة : آلان علمت أن لى خليفة ". (٢)

وكان سدنة العزى بنو شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم وكان آخر من سدنها دبيه بن حرمى السلمى ، فلم تزل كذلك حتى بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فعاب الأصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش فلما كان يوم الفتح دعا النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها

---

(١) الأصنام (ص ١٨) اخبار مكة (١٢٦/١) معجم البلدان (١١٦/٤) بلوغ الأرب (٢٠٣/٢ — ٢٠٤) .

(٢) الأصنام (ص ٢٣) معجم البلدان (١١٧/٤)

فانطلق فقتل دبية ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما بعث النبى خالد بن الوليد قال له أئت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى فأتاها فعضدها فلما جاء اليه عليه الصلاة والسلام فقال هل رأيت شيئا قال لا . قال فاعضد الثانية فعضدها ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فاذ هو بخناسة (بجيشة) نافشة شعرها واضعة ثيابها على عاتقها تصرف بأنيابها .
وخلفها دبيه السلمى فلما نظر الى خالد قال :

أغراء شدى شدة لاتكذبى   على خالد ألقى الخمار وشمرى
فانك ان الا تقتلى اليوم خالدا   تبوئى بذل عاجلى وتنصرى

فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه :

يا عز كفرنك لا سبحانك   انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هى حممة ، ثم عضد الشجرة وقتل دبية ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : " تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب أما انها لن تعبد اليوم " .(١)

قال ابو المنذر (٢) : " ولم تكن قريش ومن بمكة يعظمون شيئا من الأصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة ، فاما العزى فكانت تخصها

---

(١) الاصنام (ص ٢٢ — ٢٦) اخبار مكة (١/ ١٢٧ — ١٢٨) معجم البلدان (٤/ ١١٧) .
(٢) الاصنام (ص ٢٧) .

دون غيرها بالزيارة والهدية ، وكانت ثقيف تخص اللات ، وكانت الأوس والخزرج تخص مناة وكلهم كان معظما لها أى " العزى "

وكانت لقريش فى جوف الكعبة وحولها أصنام عديدة يقول ابن الكلبى : " وكان اعظمها عندهم " هبل " وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش .. فجعلوا له يدا من ذهب .

وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة .. وكان يقال له هبل خزيمة وكان فى جوف الكعبة قدامه سبعة أقداح ، مكتوب فى أولها : صريح والآخر ملصق فاذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ، ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح ألحقوه وان خرج ملصق دفعوه وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ... فاذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا ، أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا اليه ، وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله " . (١)

وفى معركة أحد علا صوت أبى سفيان " أعل هبل " (٢)

ويذكر ابن هشام (٣) : أن الصنم هبل كان أول صنم جاء به عمرو بن لحى من مآب بأرض البلقاء .

---

(١) الاصنام (ص ٢٨) اخبار مكة (١/ ١١٨ ـ ١١٩) بلوغ الارب (٢/ ٢٠٥) .

(٢) الاصنام (ص ٢٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٣) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٧٧) البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) .

بينما يذكر السهيلى [(١)] بأن عمرو بن لحى استورد هذا الصنم من هبت وهى من ارض الجزيرة بالعراق .

وكان لكفار قريش " اساف ونائلة " على موضع زمزم ينحرون ويذبحون عندهما تجاه الكعبة وهما فى الأصل كما يذكر ابن الكلبى وابن اسحاق رجل وامرأة من جرهم فجرا فى الكعبة أو أحدثا فيها فمسخا حجرين ، ووضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة الى الآخر . [(٢)]

وفى رواية أنهما اخرجا الى الصفا والمروة فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحى نقلهما الى الكعبة ونصبهما على زمزم فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله . [(٣)]

ويذكر أن الطائف اذا طاف بالبيت كان يبدأ باساف ، ويستلمه ، فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان ذلك .. حتى كسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأصنام يوم فتح مكة . [(٤)]

---

(١) الروض الأنف (٢/ ١٠٥)
(٢) الأصنام (ص ٢٩) اخبار مكة (١/ ١١٩) سيرة ابن هشام (١/ ٨٢) البداية والنهاية (٢/ ١٩١) بلوغ الأرب (٢/ ٢٠٥ — ٢٠٦).
(٣) الروض الأنف (١/ ١٠٥) اخبار مكة (١/ ١٢٠) البداية والنهاية (٢/ ١٨٥) ، (٢/ ١٩١).
(٤) اخبار مكة (١/ ١٢٠) بلوغ الأرب (٢/ ٢٠٦)

وأما صنم " ذى الخلصة " فكان صنم خثعم ، وبجيلة ، وباهلة ، ودوس وأزد السراة ومن كان ببلادهم من العرب بتبادلة ، قال رجـــل منهـــم :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبـــورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

وكان أبوه قتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات ، ومـن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندى .(١)

وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكان بتبالة بـــين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة .(٢)

وكانت لهذا الصنم ثلاثة أقدح : الآمر ، والنـاهى ، والمتربص وكان النـــاس يأتون اليه للاستقسام .(٣)

وفى رواية لابن اسحاق أن عمرو بن لحى نصب الخلصة بأسـفل مكة فكانوا يلبسونها القلائد ، ويهدون اليها الشعير والحنطة ، ويصبـــون عليها اللبن ، ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام .(٤)

---

(١) الاصنام ص (٣٥) الروض الأنف (١٠٨/١) سيرة ابن هشـــام (٨٦/١) بلوغ الارب (٢٠٧/٢).

(٢) الاصنام (ص٣٤) بلوغ الأرب (٢٠٧/٢)

(٣) الاصنام (ص ٤٧)

(٤) اخبار مكة (١٢٤/١).

وقد هدم بنيان ذى الخلصة فى الاسلام ، واضرم فيه النارفاحترق

هدمه جرير بن عبد الله البجلى بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذو الخلصة

اليوم عتبة باب مسجد تبالة .[(١)]

وهناك صنم يقال له " سعد " لمالك وملكان ابن كنانة وكـــان

صخرة طويلة بفلاة على ساحل جدة[(٢)] وقيل انه قرب اليمامة .[(٣)]

وقد أورد عنه الاخباريون القصة التالية : " أقبل رجل من بـــنى

ملكان بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته ، فيما يزعم فلما رأتــــه

الابل ، وكانت مرعية لا تركب ، وكان يهراق عليه الدماء ، نفرت منه

فذهبت فى كل فج ، فغضب ربها وأخذ حجرا فرماه به وقال : " لا

بارك الله فيك ، نفرت علىّ ابلى " ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما

اجتمعت له قال :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة[(٤)] من الارض لا تدعو لغى ولا رشد[(٥)]

وكان لدوس ثم لبنى منهب بن دوس صنم يقال له :" ذو الكفين "

---

(١) الأصنام (ص ٣٦) بلوغ الارب (٢ / ٢٠٧ ــ ٢٠٨) تاريخ العرب قبل الاسلام (٥ / ١٠٦) .

(٢) الاصنام (ص ٣٦) .

(٣) تاج العروس (٢ / ٣٧٨)

(٤) التنوفة القفـــر من الارض ، وهى المفازة ، وقيل التى لا ماء بها ولا أنيس وان كانت معشبه . لسان العرب (٩ / ١٨) .

(٥) الاصنام (ص ٣٧) سيرة ابن هشام (١ / ٨١) الروض الآنف (١ / ١٠٤ ــ ١٠٥) البداية والنهاية (٢ / ١٩١) معجم البلدان (٣ / ٢٢١) بلوغ الارب (٢ / ٢٠٨) .

فلما أسلموا بعث النبى صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسى فحرقه وهو يقول :-

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

انى حشوت النار فى فؤادكا (١)

وأما " ذو الشرى " فهو صنم معروف بين العرب الشماليين ، ذكر ابن الكلبى أنه كان لبنى الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد . (٢)

وأما " الأقيصر " ، فكان صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة ، وغطفان وكان فى مشارف الشام وأنشد ابن الأعرابى :

وأنصاب الأقيصر حين أضحت تسيل على مناكبها الدماء (٣)

وكان لمزينة صنم يقال له : " نهم " وكان سادنه يسمى خزاعى بن عبد نهم ، فلما سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ثار على الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت الى نهم لأذبح عنده عتيدة (عترة) نسك كالذى كنت أفعل

فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا اله أبكم ليس يعقل ؟

أبيت فدينى اليوم دين محمد اله السماء الماجد المتفضل (٤)

---

(١) الأصنام (ص ٣٧) اخبار مكة (١٣١/١) بلوغ الارب (٢٠٩/٢)

(٢) الأصنام (ص ٣٨) بلوغ الارب (٢٠٩/٢) تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠٩/٥) .

(٣) الاصنام (ص ٣٨) بلوغ الارب (٢٠٩/٢) .

(٤) الاصنام ص (٣٩ ـ ٤٠) بلوغ الارب (٢١٠/٢) .

وأما " سعير " فهو صنم عنزه ، وكان الناس يطوفون حوله ، ويعترون العتائر له ، فخرج جعفر بن خلاس الكلبى على ناقته فمرت به وقد عترت عتيرته عنده فنفرت ناقته منه فأنشأ يقول :

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم

وجموع يذكر مهطعين جنابة ما ان يحير اليهم بتكلم (١)

وعميانس " عم أنس " هو صنم لخولان فى أرضهم وكانوا يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل فى حق عميانس " عم أنس " من حق الله الذى قسموه له تركوه له وما دخل فى حق الله من حق الصنم ردوه عليه وفيهم أنزل الله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) (٢)

وكان لطى صنم يقال له " الفلس " وكان أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجا ، أسود كأنه تمثال انسان ، وكانوا يعبدونه ، ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ، ... وكانت سدنته بنو بولان ، وبولان هو الذى بدأ بعبادته ... ولم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فبعث اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فهدمه . (٣)

---

(١) معجم البلدان (٣/٢٢٢) بلوغ الارب (٢/٢١٠) .

(٢) انظر الاصنام (ص ٤٣ — ٤٤) ابن هشام (١/٨٠) البداية والنهاية (٢/١٩١) بلوغ الارب (٢/٢١١) والآية (١٣٦) من سورة الأنعام .

(٣) الأصنام (ص ٥٩) ومابعدها ، الروض الأنف (١/١٠٧) معجم البلدان (٤/٢٧٣) سيرة ابن هشام (١/٨٧) .

وقد كانت عبادة الاصنام فى جزيرة العرب منتشرة انتشارا واسعا قبل الاسلام يوضح ذلك قول ابن الكلبى [(١)] : " كان لأهل كل دار من مكة صنم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزلـه أن يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا ... واستهترت العرب فى عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجـرا أمام الحرم وأمام غيره ، مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ... فكان الرجل ، اذا سافر فنزل منزلا ، أخذ أربعة أحجار فنظر الـى أحسنها فاتخذه ربا ، وجعل ثلاث اثافى لقدره ، واذا ارتحـل تركه ، فاذا نزل منزلا آخر ، فعل مثل ذلك " . اهـ

ويذكر الازرقى [(٢)] أن الرسول صلى عليه وسلم حينما دخل يـوم الفتح وجد حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها ويقول : "(جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ") [(٣)] (جاء الحـق وما يبدئ الباطل وما يعيد) [(٤)] كما رأى فيها صور الأنبياء عليهم السلام فأمر بها فطمست . اهـ

---

(١) الأصنام (ص ٣٣) وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٨٣) البداية والنهاية (٢/ ١٩١، — ١٩٢) .

(٢) اخبار مكة (١/ ١٢١ ، ١/ ١٦٥) وانظر الكامل لابن الأثـير (٢/ ١٧١) ذكر فتح مكة .

(٣) الاسراء (٨١)

(٤) سبأ (٤٩)

بعض معبودات العرب من غير الأصنام :

قد كانت الحياة العقيدة قبل البعثة المحمدية اخلاطا من الضلالات وامشاجا من الأوهام والخرافات ، فالى جانب عبادة الاصنام والأوثان كان للعرب نحل وديانات أخرى .

فمنهم من عبد الشمس ومنهم قوم بلقيس ملكة سبأ باليمن صاحبة القصة مع سليمان عليه السلام ، وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم فى قوله (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)(١)

ويشير القرآن الكريم الى عبادة المشركين الجاهليين للأجرام السماوية ولاسيما الشمس والقمر فقال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون).(٢)

قال الألوسى (٣) : " وطائفة أخرى اتخذت القمر صنما ، وزعموا

---

(١) النمل (٢٠ — ٢٦)

(٢) فصلت (٣٧)

(٣) بلوغ الارب (٢/٢١٦)

أنه يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلى ومن شريعة عبادتهم أنهم اتخذوا له صنما على شكل عجل وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياما معلومة من كل شهر ثم يأتون اليه بالطعام والشراب والفرح والسرور ، فاذا فرغوا من الأكل أخذوا فى الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه ، ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ".

ومنهم الثنوية الذين اتخذوا الهين اثنين يقول تعالى : (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) .(١)

قال ابن الجوزى (٢) : " وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان :

ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقى طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح ، وليس فيها شىء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنه ضرارة منها الشر والفساد " اهـ

وصنف من العرب دهريون وهم قوم أنكروا الخالق والبعث والاعادة ، وقالوا الطبع المحي والدهر المفنى وهذا الصنف هم المشار اليه فى القرآن الكريم .

---

(١) النحل (٥١)

(٢) تلبيس ابليس (ص ٤٣ ــ ٤٤) وانظر اغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٤)

فى قوله تعالى : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر) (١)

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وأنكروا البعث والاعادة (٢) وهم الذين أخبر عنهم القرآن فى قول الله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم) (٣)

ومن العرب من يصبو الى الصابئة وهم من يعتقد فى الأنواء اعتقاد المنجمين فى السيارات ، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ... (٤)

وصنف من العرب زنادقة أوهم طائفة من قريش وقد أخذوهـا من الحيرة . (٥)

" والزنديق بالكسر : الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو هـو معرب زنديق أى دين المرأة والاسم الزندقة ". (٦)

يقول الدكتور جواد على (٧) : " ولا يستبعد أن يكون المـراد بالزندقة التى أشار اليها الأخباريون المجوسية ، فقد كان فى الحـيرة

---

(١) الجاثية (٣٤)
(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢/٢٣٥)
(٣) يس (٧٨ — ٧٩)
(٤) بلوغ الارب (٢/٢٢٣)
(٥) « « (٢/٢٢٨)
(٦) القاموس المحيط (٣/٢٤٣)
(٧) تاريخ العرب قبل الاسلام (٥/٣٦٤) بتصرف .

جماعة من الفرس هم مجوس ، وقد كان لقريش وتجار مكة اتصال دائم بالحيرة لهم معها روابط وتجارات ".

وبعض العرب جعل لله البنات تعالى الله عن قولهم قال الله عنهم : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) (١)

ومن العرب من عبد الجن وقد قص الله تعالى ذلك عنهم فى قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (٢)

وقال تعالى حكاية عن قول الملائكة : (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (٣)

وقال تعالى : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (٤)

ومن العرب من عبد الملائكة . قال تعالى : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) (٥)

وقال تعالى : (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ، قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) (٦)

---

(١) النحل (٥٧).
(٢) الانعام (١٠٠).
(٣) سبأ (٤١).
(٤) الجن (٦) .
(٥) آل عمران (٨٠).
(٦) الفرقان (١٧ — ١٨).

وقال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (١)

وأشتات من العرب عبدوا النار وكأن ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس (٢) ومن هؤلاء قوم من تميم ، ذكروا منهم زرارة بن عدى وابنه حاجب ، ومنهم الاقرع بن حابس وأبو الاسود جد وكيع بن حسان . (٣)

الاديان السماوية فى الجزيرة العربية قبيل البعثة:

كما عرفت الديانات السماوية طريقها الى أرض الجزيرة العربية قبيل الاسلام .

وقد اختلف المؤرخون فى سبب تسرب اليهود الى الجزيرة العربية وزمن وصولهم اليها بعد اتفاقهم على أن العنصر اليهودى عنصر دخيل على الجزيرة العربية نازح اليها من بعيد ، لا تربطه بسكان هذه الجزيرة أية رابطة من دين أو لغة أو دم . (٤)

وذكر المؤرخون عدة أسباب لتسرب اليهود الى هذه الأرض من أشهرها :-

١ - ان ذلك كان بعد أن قام بختنصر بالاستيلاء على القدس حيث تفرقت

---

(١) سبأ (٤١)
(٢) بلوغ الارب (٢/٢٣٣)
(٣) بلوغ الارب (٢/٢٣٥) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (٥/٣٦٤).
(٤) انظر غزوة بنى قريظة لمحمد أحمد باشميل (ص ٣٥ - ٣٦).

بنو اسرائيل ونزل بعضهم الحجاز بيثرب وواد ى القرى وغيرها وهم بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو هدل .(١)

٢ ـ أن ذلك كان أثر الحرب التى وقعت بين اليهود والرومان فى سنة ٧٠ م ، وكانت الغلبة فيها للرومان على اليهود ، حيث قتلوا منهم مقتله عظيمة ، وضربوا فلسطين ود مروا هيكل بيت المقد س ، عند ذلك تفرقت اليهود ، وقصد كثير منهم بلاد العرب فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو هد ل هاربين الى الحجاز وسكنوا فى يثرب(٢)

والرأى الأخير هو ما أميل اليه بالاضافة الى أن من أهم ما دعا اليهود الى الاقامة فى هذه المنطقة أن علماءهم يجد ون صفة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، وأنه يهاجر الى بلد فيه نخل بين حرتين ولذلك خرجوا من الشام يعبرون كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمن يجد ون نعتها نعت يثرب فينزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه وكان آباؤهم يحثون ابناءهم على اتباعه اذا جاء ، فادركه من ادركه من ابنائهم فكفروا به وهم يعرفونه حسدا للعرب .(٣)

هذا وقد اعتنق ملك اليمن الذى اسمه ذ و نواس اليهودية واعتنقها معه كثير من رعيته ، وقد أخذ ذ و نواس اليهودية من اليهود

---

(١) تاريخ الطبرى (٣٨٣/١) وفاء الوفاء للسمهودى (١٦٠/١) البداية والنهاية (٣٩/٢) .

(٢) معجم البلدان (٨٤/٥) .

(٣) انظر وفاء الوفاء (١٦٠/١ ـ ١٦١) معجم البلدان (٨٤/٥) .

الذين هاجروا الى اليمن .(١)

وكانت اليهودية فى حمير بعد أن كان الغالب من المجوس وعبدة الشمس ونحو ذلك ، ... وكانت اليهودية فى كنانة وكندة وبنى الحرث ابن كعب ، ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود فى يثرب وخيبر ونحو ذلك .(٢)

وأما النصرانية : فقد دخلت بلاد العرب بسبب جهود أباطرة الدولة الرومانية الشرقية فى القرن الرابع الميلادى ، ولما كانت العلاقات وثيقة بين العرب والبيزنطيين ، فقد تأثر العرب بالمسيحية الى حد ما .. فانتشرت فى الجنوب عن طريق الحبشة وفى الشمال عن طريق سورية وشبه جزيرة سيناء الآهلة بالأديرة والصوامع .. وقد انقسمت النصرانية فى ذلك الوقت الى عدة فرق ، تسرب منها الى جزيرة العرب فرقتان : فكانت النسطورية منتشره فى الحيرة ، واليعقوبية فى غسان وسائر قبائل الشام وكان أهم موطن النصرانية فى بلاد العرب نجران .(٣)

ومن القبائل التى يحشرها أهل الأخبار فى جملة العرب المتنصرة غسان ، وتغلب ، وتنوخ ، ولخم ، وجذام ، وسليم ، وعامله .(٤)

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى لأحمد شلبى (١/١٧٤).
(٢) بلوغ الارب (٢/٢٤٠).
(٣) انظر تاريخ الاسلام السياسى لحسن ابراهيم (ص ٧٣) وموسوعة التاريخ الاسلامى لأحمد شلبى (١/١٧٥)
(٤) بلوغ الارب (٢/٢٤١) تاريخ العرب قبل الاسلام (٦/٢١٦).

وقد وفد أهل نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت آية المباهلة : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .(١)

وثبت فى الصحيحين (٢) عن حذيفة رضى الله عنه قال جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا الا أمينا فقال لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة " .

على أن اليهودية والنصرانية لم تكونا عظيمتى الخطر واسعتى الانتشار فى الجزيرة العربية ، فأما اليهودية فكانت دين الشعب المختار — على زعمهم — وكان دخول العربى فيها لا يحقق المساواة مع اليهود من ابناء اسرائيل ، ولذلك لم يقبل العرب أن يدخل دينا يثبته فى طبقة أسفل من طبقة دعاة ذلك الدين . وأما النصرانية فهى مملوءة بالتعقيدات التى لم

---

(١) آل عمران (٥٩ — ٦١)

(٢) صحيح البخارى (٥/ ١٢٠) كتاب المغازى ، باب قصة أهل نجران ومسلم (٤/ ١٨٨٢) كتاب الفضائل الصحابة ، فضل أبى عبيدة بن الجراح ، وأحمد (١/ ٤١٤) .

يستسغها ذهن العربى ، ومملوءة بالخلافات الحادة التى سببت الغموض للدين وصرفت عنه من كان يمكن أن يتبعه من العرب .(١)

الموحدون من العرب :

وذكر المفسرون وأهل الأخبار افرادا من العرب رفضوا عبادة الأصنام والأوثان ، واعتقدوا بوجود الله تعالى وتوحيده ، وقد عرف هؤلاء الافراد بالحنفاء ، ووصفوا بأنهم كانوا على دين ابراهيم عليه السلام ولم يكونوا من اليهود ولا من النصارى .

ومن الرجال الذين اشتهر بأنهم كانوا من هؤلاء الجماعة :

١ ــ قسى بن ساعدة الايادى .
٢ ــ زيد بن عمرو بن نفيل .
٣ ــ أمية بن أبى الصلت .
٤ ــ أرباب بن رئاب .
٥ ــ سويد بن عامر المصطلقى .
٦ ــ أسعد أبو كريب الحميرى .
٧ ــ وكيع بن سلمة بن زهير الايادى .
٨ ــ عمير بن جندب الجهنى .
٩ ــ عدى بن زيد العابدى .
١٠ ــ أبو قيس صرمة بن أبى أنيس .
١١ ــ سيف بن ذى يزن .
١٢ ــ ورقة بن نوفل القرشى .
١٣ ــ عامر بن الظرب العدوانى . وغيرهم .(٢)

---

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى لأحمد شلبى (١٧٥/١)

(٢) بلوغ الارب (٢٤٤/٢) وما بعدها ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٧٠/٥) .

واجتمعت

قال ابن هشام (١) : " واجمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ، ويدورون به فخلص منهم أربعة ... وهم : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شئ لقد اخطأوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف (٢) به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شئ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم " .

ثم قال (٣) : " فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى اسلم ، ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيا .

وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده ، ومنحه لقب " البطريق " واراد تنصيبه ملكا على مكة ، ولكن قومه أبوا عليه ذلك فلم يتم له مراده ، ومات بالشام مسموما سمه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٢٢) الروض الأنف (١/٢٥٣) .

(٢) الطواف فى اللغة : الدوران حول الشئ . انظر اللسان (٩/٢٢٥) والقاموس المحيط (٣/١٧٠) ومعنى ذلك دورانهم حول الأصنام .

(٣) سيرة ابن هشام (١/٢٢٣) وما بعدها ، الروض الأنف (١/٢٥٥ — ٢٥٦) .

عمرو بن جفنه الغسانى .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة وقال : أعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه ... وكان يسند ظهره الى الكعبة ويقول : يامعشر قريش والذى نفسى زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته ".

ومن شعر زيد بن عمرو فى فراق دين قومه :(١)

أربا واحدا أم ألف رب	أدين اذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعا	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنمى بن عمرو أزور
ولا هبلا أدين وكان ربا	لنا فى الدهر اذ حلمى يسير

الى أن يقول :

ولكن اعبد الرحمن ربى	ليغفر ذنبى الرب الغفور

وذكر ابن هشام أن الخطاب بن نفيل كان يعاتب زيد بن عمرو على فراق دين قومه .. ووكل به شبابا من شباب قريش وسفهائها ، فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة .. ثم خرج يطلب دين ابراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم اقبل فجال الشام كله

---

(١) الاصنام (ص ٢٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٦) الروض الانف (١/ ٢٥٧) بلوغ الارب (٢/ ٢٤٩).

ثم انتهى الى راهب بميفعة (الارض المرتفعة) فى ارض البلقاء ، وكان عالما بالنصرانية فسأله زيد عن الحنيفية دين ابراهيم ، فقال : انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها ، فانه مبعوث الآن ، هذا زمانه... (١) فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه " اهـ

وقد روى البخارى فى صحيحه (٢) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (٣) قبل أن ينزل على النبى — عليه السلام — الوحى فقدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة .. فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : انى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ انكارا لذلك واعظاما له " .

---

(١) وكان الرهبان يعلمون ذلك عن طريق البشارات الموجودة فى التوراة والانجيل ، وقد تحدثت عن هذا الموضوع فى رسالتى للماجستير .

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٤٢/٧) كتاب مناقب الانصار باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) بلدح : مكان فى طريق التنعيم ويقال هو واد . انظر فتح البارى لابن حجر (١٤٣/٧) .

ومن هنا نستطيع القول بأن من العرب من رفضوا عقائد قومهم الذين يعبدون من دون الله مالا يضر ولا ينفع وأن بعضهم قد طاف فى البلاد يبحث عن العقيدة الصحيحة والدين القيم .

وهؤلاء الجماعة لم يكونوا من اليهود ولا من النصارى وانما عبدوا الله تعالى على ما فهموا من دين ابراهيم عليه السلام وقد قال الله تعالى : (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) .(١)

ب ـ الحالة الاجتماعية :

أما الحالة الاجتماعية فقد كان الفرد جزءا من قبيلته يعيش لها ويدور فى فلكها فى كل أمر : خير أو شر ويعبر عن ذلك قول دريد بن الصمه :(٢)

وهل أنا الا من غزية أن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

ومن قولهم : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " .

ويقول شاعرهم :(٣)

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وكثيرا ما يتخذون من السلب والغارة وسيلة من وسائل العيش

---

(١) آل عمران (٦٧)

(٢) ديوان الحماسة (١/ ٣٣٧)

(٣) المرجع السابق (١/ ٥)

فيسلبون الأموال والنساء والأولاد ، ثم تتربص القبيلة المغار عليها فتفعل ما فعلت القبيلة المعتدية ، بل ان القبيلة تقاتل نفسها اذا لم تجد عدوا من غيرها يمثل ذلك قول القطامى : (١)

وأحيانا على بكر أخينا اذا لم نجد الا أخانا

وكان من عادات العرب فى الجاهلية أن الرجل يتزوج بزوجة أبيه اذا مات عنها ، ويرثها ارث المال ، فقد ذكر العلماء أن سبب نزول قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا). (٢)

انه لما توفى أبو قيس بن الأسلت خطب ابنه امرأته فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال : " ارجعى الى بيتك " فنزلت الآية. (٣)

وعن صلة الرجل بالمرأة فى الجاهلية تروى لنا السيده عائشة رضى الله عنها : " أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة انحاء

---

(١) فجر الاسلام لمحمد أمين (ص ٩).

(٢) النساء (٢٢).

(٣) وقد تزوج أبو قيس هذا المذكور زوجة أبيه أم عبيد الله وكانت تحت أبيه الاسلت ، وتزوج الأسود بن خلف زوجة أبيه ابنة أبى طلحة ، وتزوج عمرو بن أمية زوجة أبيه فولدت له أولادا وهذا كان كثيرا شائعا فى العرب .

انظر تفسير الطبرى (٤/٣١٨) واسباب النزول للسيوطى ص (٦٦) واضواء البيان للشنقيطى (١/٢٧٧).

منها نكاح الناس اليوم ... والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها أرسلى الى فلان فاستبضعى منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذ أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد .. ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهذا ابنك يا فلان : تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل .. والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة [(١)] ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاطه [(٢)] ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك " [(٣)]

والمجتمع العربى الجاهلى مجتمع طبقى تفصل بين طبقاته حدود واضحة فكان فيه :

١ ـ طبقة الأحرار : وهم أبناء القبيلة الصرحاء الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك .

---

(١) القائف هو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة . انظر لسان العرب (٢٩٣/٩) والنهاية لابن الأثير (١٢١/٤) .

(٢) التاطه : أى التصق به . انظر لسان العرب (٣٩٥/٧) والنهاية (٢٧٧/٤) .

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٨٢/٩ ـ ١٨٣) كتاب النكاح باب من قال لا نكاح الا بولى .

٢ ـ طبقة الموالى : وهم من انضموا الى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها عن طريق الجوار أو الحلف أو العتقاء من الارقاء فيها .

٣ ـ طبقة الارقاء : وهم المجلوبون عن طريق الشراء أو أسرى الحرب ، ولكل من هذه الطبقات واجب لا يتعداه فرضه عليه نظام المجتمع الجاهلى .(١)

جـ ـ الحالـة السياسية :

واذا ذهبنا الى الحالة السياسية فاننا نجد أن العرب كانوا جماعات غير منظمة تعيش عيشة قبلية ، ويحكمها عرف القبيلة وسلطانها وليس هناك حاكم له نواب ووزراء ، وقادة وقضاة وجيش منظم كما هو معروف ، ومع ذلك فهم قوم احرار لا يملكهم أحد ، يثأر المعتدى عليه لنفسه ، وعلى قبيلته أن تقوم معه وتشد أزره يقول ابن حزم(٢) :

" وكانت العرب بلا خلاف قوما لقاحا لا يملكهم أحد كربيعة ومضر وأياد وقضاعة ، أو ملوكا فى بلاد هم يتوارثون الملك كابرا عن كابر .. "

ويوضح المستشرق توماس أرنولد المنهج السياسى عند العرب فيقول(٣)

" لم يكن هناك اطلاقا أى منهج منظم للادارة أو القضاء كالذى نعرفه عن فكرة الحكومة فى العصر الحديث ، وكانت كل قبيلة أو عشيرة تؤلف جماعة منفصلة مستقلة تمام الاستقلال وينسحب هذا الاستقلال أيضا على افراد القبيلة

---

(١) انظر مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول (ص ٣١) .
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨٤) .
(٣) الدعوة الى الاسلام (ص ٥١ ـ ٥٢) .

فكل فرد منهم لا يعتبر زعامة شيخ القبيلة أو سلطته الا رمزا لفكرة عامة شاءت الظروف أن يأخذ هو منها بنصيب بل كان له مطلق الحرية فى أن يرفض ما اجتمع عليه رأى الأغلبية من ابناء قبيلته ، وأبعد من هذا أنه لم يكن هناك نظام لنقل سلطة الرئيس ، اذ كان يختار لها — غالبا — أكبر أفراد القبيلة سنا ، وأكثرهم مالا ، واعظمهم نفوذا ، وأجدرهم بكسب الاحترام الشخصى واذا ما تضخمت قبيلته تشعبت فروعا كثيرة يتمتع كل منها بحياة منفصلة ووجود مستقل ولا تتحد الا فى ظروف غير عادية اشتراكا فى الدفاع عن القبيلة أو قياما بغارات بالغة الخطورة " اهـ

ولكن الحرية التى يتحدث عنها أرنولد ليست مطلقة فان العربى كان حرا فى أن يرفض ما اجتمع عليه أبناء قبيلته أو أن يأخذ به لكن جزاء هذا الرفض يعرض صاحبه الى الطرد والابعاد وحينئذ لا يجد له طريقا سوى الالتجاء الى قبيلة اخرى ويصبح مولى من مواليها أو يعمد الى الصحراء ليتخذ من السلب والنهب وسيلة للحياة .

وكانت العرب قبل الاسلام طوائف متنازعة وقبائل متباعضة ونحلا متحاسدة : " لذلك كانت الجزيرة دائمة الحروب والمنازعات قلما يخلو منها زمان أو مكان واذا رجعت الى اسبابها المباشرة وجدتها فى بعض الأحيان تافهة كما كان فى حروب الفجار .. وفى البعض الآخر تراها أمورا يمكن حلها على اسهل الوجوه كالحروب بين عبس وذبيان وبين بكر وتغلب ولكن الأسباب الحقيقية سابقة على ذلك وهى النفور المتأصل فى القلوب "(١)

---

(١) محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية للشيخ الخضرى (ص ٢٤) .

انها أمة فرقتها الحروب وانهكت قواها الاحقاد والغارات فلا غرو أن تسقط ممالكها الشهيرة تحت أيدى المحتل الغاصب " فاليمن فقدت استقلالها منذ نهاية الربع الأول من القرن السادس وسقطت تحت حكم الاحباش ثم حكم الفرس . (١)

والحيرة فقدت استقلالها بعد أن غيرت فارس سياستها نحوها بعد أن استنفذت كل طاقتها الحيوية ، وجعلت منها امارة فارسية يحكمها آمير فارسي . (٢)

ومملكة الغساسنة فقدت قوتها كذلك بعد أن غير الروم سياستهم نحوها فاضطربت أحوالها وذهبت قوتها وأصبحت فى شبه فوضى .

ومن هنا يظهر لنا انه لم يبق متمتعا بالاستقلال سوى مكة وذلك لبعدها عن مجال التصارع الدولى فى ذلك الوقت وتمتع أهلها بنوع التنظيم الاجتماعى .

وقد اشار القرآن الكريم الى الامن الذى حظيت به مكة فقال تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) . (٣)

وقال تعالى : (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . (٤)

---

(١) انظر الكامل لابن الاثير (١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥) .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على (٤/ ١٠٤) .

(٣) العنكبوت (٦٧)

(٤) قريش (٣ — ٤)

ثانيا : حالة العقائد خارج الجزيرة العربية :

١ ـ الديانة اليهودية :

وإذا انتقلنا الى الديانة اليهودية والى شعب بنى اسرائيل الذين حباهم الله تعالى بكثير من النعم وبعث فيهم كثيرا من الأنبياء والرسل لدعوتهم الى الخير وتحذيرهم من الشر والفساد .

وكانت التوراه التى أنزلت على موسى عليه السلام فيها الهدى والنور والحث على عبادة الله تعالى وحده ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وفيها كافة التكاليف التى يحتاجها شعب بنى اسرائيل فى ذلك الوقت ، لذلك فان الله تعالى قد ارسل فيهم بعد موسى عليه السلام عدة رسل وأنبياء لاحياء شريعة التوراة والحكم بمقتضاها كما قال تعالى : (انا أنزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفضوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " .[1]

وجعلهم الله تعالى يعيشون كالملوك اعزاء اقوياء بعد أن كانوا أذلاء مهانين من قبل فرعون وقومه ، واتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين فى زمانهم .

قال تعالى : (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين)[2]

(١) المائدة (٤٤) .
(٢) " (٢٠) .

وقال تعالى : (ولقد أتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) .(١)

وعلى الرغم من ذلك كله نجد أن القوم جحدوا نعم الله وتعالوا فى كبرياء ، ولم يلتزموا بما أخذوه على أنفسهم من مواثيق ، وامتلأ تاريخهم بشتى أنواع المخالفات ، وحتى التوحيد الذى هو أصل ديانتهم لم يسلم من التأثر بما حدث من التحريف والتبديل والتمرد على تعاليم الدين .

ولعل من أهم ما أصاب التوحيد من التحريف هو ما أشار الله اليه فى القرآن الكريم من قول اليهود : (عزير ابن الله) (٢)

وما وصفوا به الخالق جل وعلا من صفات النقص والسوء والتشبيه كقولهم (ان الله فقير ونحن أغنياء) (٣) وقولهم : (يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (٤) وقولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه) .(٥)

وعن التنقص بالخالق وتشبيهه بالمخلوقين جاء فى سفر التكوين (٦) " أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض فى ستة أيام استراح فى اليوم السابع " وكان يوم السبت ، وان الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك

---

(١) الجاثية (١٦ — ١٧)
(٢) التوبة (٣٠) .
(٣) آل عمران (١٨١) .
(٤) المائدة (٦٤)
(٥) « (١٨)
(٦) سفر التكوين الاصحاح الثانى فقرة (١ — ٢)

فحرم فيه العمل .(١)

وفى هذا يقول الشهرستانى :(٢) " وقد اجمعت اليهود عن آخرهم أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا احدى رجليه على الاخرى "

ويرد القرآن الكريم على هذا الزعم الباطل فى قوله تعالى : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب).(٣)

ومن ذلك ما يرويه سفر التكوين (٤) من قصة هلاك قوم لوط ، وتدمير قريتى " سدوم " و " عمورة " اذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم : الله وملكان معه ، قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن ابراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم ، وقدم اليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وأخذ عجلا حينذا لطعامهم فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم الى الخ القصة .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة على حقيتها وبين أن الذين وفدوا على ابراهيم عليه السلام انما كانوا ملائكة فى صورة آدميين فظنهم بشرا فقدم لهم طعاما ، فلم تصل أيديهم اليه ، لأن الملائكة لا يأكلون وفى هذا

---

(١) انظر الاسفار المقدسة لعلى وافى (ص ٢٥ — ٢٦) .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى (١/ ٢١٩) .

(٣) سورة ق آيه (٣٨)

ومعنى (وما مسنا من لغوب) أى : لم يحصل لنا تعب حتى نحتاج الى الراحة .

(٤) انظر سفر التكوين الاصحاح (١٨) من ١ — ٨

يقول الله تعالى : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال : سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيد يهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . . .) (١)

وعن ملازمة بنى اسرائيل لعبادة العجل والكبش والحمل يقول د يورانت (٢) " لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لآلهتهم " .

وبعد موسى عليه السلام وفى عهد القضاة تأثر بنو اسرائيل بمعبودات الكنعانيين تأثرا كبيرا ويوضح " Kent " ان اله الكنعانيين " بعل " أصبح معبودا لبنى اسرائيل فى كثير من قراهم ، وفى أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال يهوه وتمثال بعل ، بل أصبح يهوه ينادى بعل ، وقد ظل ذلك الى عهد يوشع . (٣)

يقول أحمد شلبى : (٤) " ولم يستطع بنو اسرائيل فى أية فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والنفعية واضحا فى جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بابراهيم الا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعد كثرة أنبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم ،

---

(١) هود (٦٩ — ٧٠)
(٢) قصة الحضارة (٢/٣٣٨)
(٣) انظر اليهودية لأحمد شلبى (ص ١٨٢)
(٤) اديان الهند الكبرى أحمد شلبى (ص ٢١٣)

وبالتالى تجدد الحاجة الى أنبياء يجددون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهر للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح ، والأحجار ، وأحيانا مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود ".

ولعل من اسباب تحريفهم لكتبهم هو أنه لما أقبلت عليهم الدنيا أحبوها واستولى حب المال على مشاعرهم وقلوبهم كما قال تعالى : (ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) . (١)

فمن أجل حرصهم على المادة باعوا دينهم فى سبيلها وحرفوا ما أنزل الله عليهم من الكتب طمعا فى الكسب المادى الرخيص والعرض الدنيوى الزائل قال تعالى : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٢)

وقال تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) (٣)

وقال تعالى : (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٤)

---

(١) البقرة (٩٦)

(٢) البقرة (٧٩)

(٣) آل عمران (١٨٧)

(٤) آل عمران (٧٨)

لقد اعتدى بنوا اسرائيل على الانبياء ، ومصادر الرحمة وأطفأوا مصابيح الهداية وأصموا آذانهم عن النداء الربانى ، فعاشوا فى الظلام الحالك ، واستحقوا غضب الله ومقته بسبب ذنوبهم ونقضهم لمواثيقهم .

قال تعالى : (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)(١)

وقال تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)(٢) .

ونظر اليهود الى الانسانية فى ازدراء واحتقار ، وزعموا بأنهم ابناء الله وأحباؤه وأنهم شعب الله المختار ، وأن لهم الفضل والسيادة ، وغيرهم عبيد وحقراء ولم يبالوا بما يصنعون بالبشرية ولم يجدوا غضاضة فى أن ينزلوا الظلم والاستغلال بأى انسان من غير اليهود .

قال تعالى : (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)(٣) .

وتاريخ اليهود من أوله الى آخره ملئ بالجرائم والمخالفات ولم يشرق فى أفقه سوى فترة قصيرة من الزمن صبروا فيها فاستحقوا ثناء الله عليهم وتفضيله

---

(١) آل عمران (١١٢) .

(٢) النساء (١٥٥ ــ ١٥٧) .

(٣) آل عمران (٧٥) .

لهم على عالمى زمانهم ، أما بعد ذلك فقد عشوا فى الأرض فسادا ، وبدأ ذلك فى وقت مبكر اذ لم يكن للمعجزات التى أجراها الله على يد موسى عليه السلام أثر ظاهر فى تغيير سلوكهم ولم يتعظوا بما أنزل بفرعون وقومه من الهلاك ، اذ ما كادوا يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم حتى قالوا لموسى : (اجعل لنا الها كما لهم آلهة ،. قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون) (١)

وعندما ذهب موسى عليه السلام ليتلقى الألواح من ربه وفيها هدى ونور ينسى بنوا اسرائيل الههم الحق حين رأوا العجل الذى سبكه لهم السامرى من الحلى فيتوجهون له بالعبادة والطاعة من دون الله .

قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) (٢)

وقال تعالى : (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين) (٣)

لقد عبدوا العجل ولم يردهم عن غيهم نصح هارون لهم حين قال :

(يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا امرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) (٤) ولما أصر هارون عليه السلام على نصحهم بترك عبادة العجل هموا بقتله ، ولنستمع اليه وهو يعتذر لأخيه موسى

---

(١) الاعراف (١٣٨ — ١٣٩)

(٢) الاعراف (١٤٨)

(٣) الاعراف (١٥٢)

(٤) طه (٩٠ — ٩١)

فى قوله تعالى : (قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) (١)

واذا كان بنو اسرائيل قد هموا بقتل رسول الله هارون ، فقد كان القتل من أعظم جرائمهم . قال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) (٢)

ولما عتوا عن الحق واستكبروا عن هدايات السماء مسخهم الله وغير قلوبهم وحقت عليهم كلمة العذاب وأذاقهم الله جزاء ما صنعوا . قال تعالى (فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) (٣)

وعن حالة اليهود قبيل البعثة المحمدية

يقول ابو الحسن الندوى (٤) : " أصبحت اليهودية ــ أى فى القرن السادس الميلادى ــ مجموعة من طقوس وتقاليد لا روح فيها ولا حياة وهى ــ بصرف النظر عن ذلك ــ ديانة سلالية ، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة ، ولا للانسانية رحمة ، وقد أصيبت هذه الديانة فى عقيدة كانت لها شعارا بين الديانات والأمم وكان فيها سر شرفها ، وتفضيل بنى اسرائيل على الأمم المعاصرة فى الزمن القديم ، وهى عقيدة التوحيد التى وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، فقد اقتبس اليهود كثيرا من عقائد الأمم

---

(١) الاعراف (١٥٠)
(٢) البقرة (٨٧ ــ ٨٨)
(٣) الاعراف (١٦٦ ــ ١٦٧)
(٤) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى (ص ٢٠) .

التى جاوروها أو وقعوا تحت سيطرتها ، وكثيرا من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية وقد اعترف بذلك مؤرخو اليهود المنصفون فقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية ما معناه :

" ان سخط الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة ، كانت قد تسربت الى نفوس الاسرائيليين ، ولم تستأصل شافتها الى أيام رجوعهم من الجلاء والنفى فى بابل ، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة ، ان التلمود أيضا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود " اهـ

٢ ـ الديانة النصرانية :

أما الديانة التى جاء بها المسيح عليه السلام ، وما فيها من الدعوة الى التوحيد والنهى عن الشرك ، وتنزيه الخالق جل وعلا ، والتأدب بالأخلاق السمحة الرحيمه من الصفح والعفو والترفع عن حب الدنيا والعطف على الفقراء والمساكين وتحمل الأذى كما جاء فى انجيل متى (١) : " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر .. بل من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ، ومن سخرك ميلا واحدا فأذهب معه اثنين "

وجاء فى نفس الانجيل (٢) : " لا تقدرون أن تخدموا الله والمال لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبماتشربون ولا لأجسادكم بماتلبسون "

(١) انجيل " متى " الاصحاح الخامس فقره (٣٨ ـ ٤٠).
(٢) " " " السادس ، (٢٥).

وقال :[١] " ما أعسر دخول ذوى الأموال ملكوت السموات . . وأقول لكم بأن مرور جمل فى ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى ملكوت الله " .

فان هذه الديانة بعد رفع المسيح لم تظل على ما كانت عليه بل سرعان ما ذابت فى شتى الفلسفات والنحل الأرضية الأخرى ، وتسربت اليها أساطير الوثنيات القديمة كالبوذية والبراهمية ، والاغريقية والرومانية ، وعقائد الفرس والروم وقدماء المصريين ، فصار التوحيد تعددا ، وجعلوا الاله الواحد آلهة ثلاثة .[٢]

ومن أجل التحريف والتبديل فى هذه الديانة عقدت المجامع وأصدرت القرارات القاضية بألوهية المسيح فألوهية روح القدس ، أو أن المسيح أجتمع فيه الانسان والاله ، وأن مريم العذراء والدة الاله ، وأن المسيح أجتمع فيه الانسان والاله ، وأن المسيح اله حق معروف بطبيعتين طبيعة الهية وطبيعة انسانية بشرية .[٣]

ومما يؤكد أن عقائد النصرانية الحالية من تثليث وصلب وفداء قد تسربت اليها عن طريق الوثنيات القديمة هو وجه التشابه التام فيما بينها ، ولو تتبعت هذا الأمر لطال بنا المقام ولكنى أقتصر على بعض ما نقله الاستاذ رشيد رضا رحمه الله فى تفسير المنار[٤] — وكما يقال يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق —

---

(١) انجيل " متى " الاصحاح التاسع عشر فقرة (٢٣) وانجيل " لوقا " الاصحاح الثامن عشر فقره (٢٥ — ٢٦) .
(٢) تفسير المنار (٨٨/٦) وما بعدها ، والمسيحية لأحمد شلبى ص (١٣٠) وما بعدها .
(٣) انظر تاريخ الدعوة لجمعة الخولى (٢٥٩/١ — ٢٦٠)
(٤) تفسير المنار (٦/ ٣٢—٣٣) وانظر قصص الأنبياء للنجار (ص ٥١٤ — ٥١٥) .

جاء فى كتاب خرافات التوراة وما يقابلها فى الديانات الأخرى صـ (١٨١ ـ ١٨٢) لصاحبه دوان جاء ما ترجمته بالتلخيص : ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة ، قديم العهد ، بدأ عند الهنود الوثنيين وغيرهم .

وذكر الشواهد على ذلك ، منها قوله : " يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البكر ـ الذى هو نفس الاله " فشنو " الذى لا ابتداء له ولا انتهاء ـ على رأيهم ـ تحرك حنوا كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وذكر أن مستر مور قد صور " كرشنا " مصلوبا كما هو مصور فى كتاب الهنود ، مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا ، ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه اكليل من الذهب .

والنصارى تقول : أن يسوع صلب وعلى رأسه اكليل من الشوك .

وقال " هوك " فى ص ٣٢٦ من المجلد الأول من رحلته : ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسيد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة . وقال " مونيورليمس " فى ص ٣٦ من كتابه الهنود : ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية . ومما يدل على ذلك ما جاء فى مناجاتهم وتوسلاتهم التى يتوسلون بها بعد " الكياترى " وهو : انى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالاثم ، فخلصنى ياذا العين الحندوقية ، يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب .

ونقل " هيجين " عن " اندرادا الكروزويوس " وهو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت ، أنه قال فى الاله " أندرا " الذى يعبدونه

أنه سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم ، وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم .

هذا وأما ما يروى عن البوذيين فى " بوذا " فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح ، من جميع الوجوه ، حتى أنهم يسمونه المسيح والمولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون انه انسان كامل ، واله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم ، فلا يعاقب عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات .

بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم " بيلى " فى كتابه تاريخ بوذا ، و " هوك " فى رحلته و " مولر " فى كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية وغيرهم .

ومن أراد المقابلة بين اله النصارى وآلهة الوثنيين الأولين — فى الشرق والغرب — فعليه أن يقرأ كتاب " العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية " لمحمد طاهر التنير البيرونى ففيه بلاغ ومقنع . اهـ

ومن هذا يتبين لنا أن عقائد النصارى الحالية تحتوى على عقائد وثنية شركية واضحة ، وانها مقتبسة من الوثنيات القديمة .

كما ان عقيدة النصارى الحالية أصبحت عقيدة مستغلقة وتركيبات غير مفهومة ، ولذلك فعسير على الذهن السليم أن يقبلها ولا تزال — حتى اليوم تصطدم بعقول شبابهم ومثقفيهم ، ويحاول رجال الكنيسة بين فترة وأخرى ادخال بعض التفسيرات والتوضيحات من أجل استساغها وقبولها عند جماهير النصارى ومن ذلك تفسيرهم أخيرا بأن البنوة ليست ولادة كولادة البشر ، وأن

وأن يفسروا الاله الواحد فى ثلاثة بأنها صفات الله .[١]

وعن غموض العقيدة النصرانية الحالية ووضوح الاسلام وسهولته يقول جوستاف لبون فى كتابه حضارة العرب :[٢] لو أنك سألت مسيحيا عن عقيدته لما استطاع أن يجيبك منهم الا المتخصصون ، والمتخصصون يجيبونك بكلام غير مفهوم ، ولو سألت أى مسلم عن عقيدته ، لأجابك بكلام واضح سهل ، لا تعقيد فيه ولا غموض ، ولعل هذا سر عظمة الاسلام وانتشاره .

كما طرح الدكتور أحمد شلبى فى كتابه المسيحية عدة أسئلة على النصارى يسألهم فيها عن عقيدة التثليث عندهم ومن تلك الأسئلة ما وظيفة كل فرد من أفراد هذا الثالوث ؟ وكيف يتم فهم وحده فى تثليث ، وتثليث فى وحده ؟ وما معنى قولهم الابن مولود غير مخلوق ، والابن ليس أحدث من الأب ؟

ثم يقول :[٣] " لقد حاولت جهدى أن أصل الى جواب صحيح لهذه الاسئلة عن طريق القراءة أو المحادثة مع المسيحيين ، ولكن أقر أننى لم استطع فهم اجاباتهم ، بل صرح كثير منهم ... أن هذه المسائل مسائل اعتقادية لا فهم ، فاعترضت بأنها مسائل أساسية ، وهى المدخل للدين فكيف لا تفهم ؟ ولكن لم أتلق جوابا على اعتراض واتبع بعضهم التعبيرات الانشائية التى لا توضح مقصودا ، كقول بعضهم " المحبة السرية التى بين المسيح والله " وقول الآخر : " كل ثروات الولاء والتعبد اختزنت فى فكر يسوع المسيح عونا على فهم حقيقة الله ... "

---

(١) انظر النصرانية لمحمد أبى زهرة (ص ١١٨) وتاريخ الدعوة لجمعة الخولى (٣٦١/٢)

(٢) حضارة العرب لجوستاف لبون (ص ٦٨)

(٣) المسيحية لأحمد شلبى (ص ١٣٤)

ثم ينقل الدكتور شلبي بعضا من أقوال واراء القسس النصارى في العقيدة النصرانية وقد صرحوا بتناقضها وعدم فهمها فاليك طرفا منها :[١]

يقول الدكتور يوسف بوست في قاموس الكتاب المقدس :

" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير ، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الالهية على السواء ".

ويقول القس بوطر صاحب رسالة الأصول والفروع في نهاية شرحه لعقيدة التثليث : " قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض ، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية " .

ويقول القس وهيب عطاء الله : " ان التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والماده والمصطلحات الفلسفية ، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا " .

وقد أورد الشيخ رحمه الله الهندي في تخبط النصارى في عقيدة التثليث الحكاية التالية :[٢] " نقل أنه كان هناك ثلاثة أشخاص يعلمهم بعض القسس ، فجاء أحد أصدقاء القسيس وسأله هل تعلموا شيئا من العقائد النصرانية الضرورية ، فقال نعم ، وطلب واحدا منهم ليرى صديقه

---

(١) المسيحية لأحمد شلبي (ص ١٣٤ — ١٣٩) وانظر النصرانية لأبي زهرة (ص ١١٧) وبعدها .

(٢) اظهار الحق (ص ٣٣٧) .

ما تعلمه ، فسأله عن عقيدة التثليث فقال : انك علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى فى السماء ، والثانى الذى تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث : الذى نزل فى صورة الحمامة على الاله الثانى بعد أن صار ابن ثلاثين سنة فغضب القسيس وطرده ، وقال هذا مجهول ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال : انك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم والباقى الهان ، فغضب القسيس أيضا وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة الى الأولين فسأله فقال : يا مولاى حفظت ما علمتنى جيدا بفضل السيد المسيح ان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا اله الآن والا يلزم نفى الاتحاد ".

والحق ان قول النصارى فى التثليث مصادم للعقول السليمة ومعارض للأصول الثابتة ، وتنفر منه الضمائر الحية ، وتأباه الفطر السليمة ، وفيه تنقص لرب العالمين ورميه بالعظائم ، وتعصب النصارى لهذا المعتقد حتى اليوم يدل على جهلهم وغباوتهم .

يقول الفخر الرازى : (١) " واعلم أن هذا معلوم البطلان ببداهة العقل ، فان الثلاثة لا تكون واحدا ، والواحد لا يكون ثلاثة ، ولا يرى فى الدنيا مقالة أشد فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى " .

ويقول أبو محمد ابن حزم : (٢) " ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه اذ يقول تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) (٣)

---

(١) التفسير الكبير (١٢/ ٦٠)
(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل (١/ ٤٩).
(٣) المائدة (٧٢)

وان يقول تعالى حاكيا عنهم : (ان الله ثالث ثلاثة) .(١)

وان يقول : (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله)(٢)

لما نطق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج(٣) السخيف ،

وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلا يسع هـذا

الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان .

ولعل من أهم العوامل التى أدت الى تحريف النصرانية ، دخول

بولس " شاؤل " فيها وقد كان بولس أحد اليهود المغرمين بتعذيب

النصارى وفتنتهم عن دينهم ، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر

الرجال والنساء ويسلمهم الى السجن (٤) .. وفجأة وبينما كان بولس

" شاؤول " فى طريقه الى دمشق للمساهمة فى تعذيب المسيحين عام ٣٨م

زعم أنه رأى يسوع المسيح وأنه آمن به وتسمى " بولس " .

ويذكر لوقا صاحب الانجيل هذه القصة فى اعمال الرسل فيقول :(٥)

" وعندما كان بولس قريبا من دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط

على الأرض وسمع صوتا قائلا : شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من

أنت ياسيد ؟ فقال : أنا يسوع الذى تضطهده ، فقال وهو مرتعد ومتحير

يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : " قم وكرز بالمسيحية " .

ثم يقول لوقا :(٦) " وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح ان هذا

هو ابن الله " . اهـ

---

(١) المائدة (٧٣) .
(٢) " (١١٦)
(٣) السمج : القبيح . النهاية لابن الأثير (٢ / ٣٩٨) .
(٤) انظر اعمال الرسل الاصحاح السابع فقره (٦٠) والاصحاح الثامن فقره ٣
(٥ ، ٦) انظر اعمال الرسل الاصحاح التاسع من (٣ ـ ٢٠) وانظـر

===

كما انه بعد رفع المسيح عليه السلام وقع على اتباعه اضطهاد عظيم فشردوا وعذبوا وقتلوا وصلبوا حتى كادت تختفى معالم المسيحية من الأرض بسبب تلك الاضطهادات التى كان يتولاها أباطرة الرومان وعمالهم وكذلك اليهود .

وأشد ما نزل بهم من الأذى كان فى عهد الامبراطور نيرون (٦٤م) ثم فى عهد الامبراطور ترجان (١٠٦م) ثم فى عهد الامبراطور ديسيوس (٢٥١م) ثم فى عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤م) .

فأما نيرون فقد اتهمهم بأنهم هم الذين احرقوا مدينة روما وتفنن فى تعذيبهم اذ كان يأمر أتباعه بوضع النصارى فى جلود الحيوانات ثم يطرحونهم للكلاب فتنتهشهم كما كانوا يلبسون بعض النصارى ثيابا مطلية بالقار ثم يجعلونهم مشاعل يستضيئون بنارها .

وفى عهد ديسيوس قد عم الخوف الجميع وفر بعضهم بدينه وقد ابعد كل مسيحى من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحى يوشد عنه يؤتى به على عجل ويقدم الى هيكل الأوثان ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة بعد أن يجتهدوا فى حمله بالترهيب ..

أما دقلديانوس فقد جاء الى مصر وأنزل بها البلاء وأمر بهدم الكنائس واحراق الكتب ، واصدر أمرا بالقبض على الاساقفة وزجهم فى غياهب السجون وقهر المسيحيين على انكار دينهم وقتل منهم حوالى ثلاثمائة ألف .

=== ترجمة بولس فى المسيحية لأحمد شلبى (ص ١٠٤٣ — ١٠٩) والنصرانية لأبى زهرة (ص ٨١ — ٨٨) والاسفار المقدسة لعلى وافى (ص ٧١ — ٧٢) .

ومن قبل ومن بعد أنزلوا البلاء بعلمائهم ، فما تركوا عالما منهم بالديانة الا قتلوه ، وكان الولاة يتفننون فى طرق ابادة النصارى من الوجود ، أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد الى النصرانية ، ويتوارث العلم بها وأبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة فى الصدور أو السطور .

واستمر البلاء والاضطهاد ينزل بالنصارى والنصرانية من قبل اليهود والرومان حتى جاء عهد قسطنطين فى أول القرن الرابع الميلادى وقد سمى عصره (٢٨٤ — ٣٠٥ م) عصر الشهداء .(١)

ولا شك ان لهذه الاضطهادات الأثر البالغ فى فقدان الانجيل الأصلى الذى أنزل على عيسى عليه السلام ، وفى اضطراب الاناجيل القائمة حاليا ، لاسيما انها ألفت ودونت فى تلك الفترة مما جعل بعض علمائهم يقرون لمناظريهم أن تلك الاضطهادات كانت السبب فى فقدان سندها المتصل بصاحب الشريعة .(٢)

بل الراجح ان هذه الاناجيل لا صلة لها البتة بالوحى الذى انزله الله على عيسى عليه السلام .

لذلك فان النصرانية قد اصبحت بسبب تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ووثنية المتنصرين ركاما دفنت تحته تعاليم المسيح عليه السلام واختفى نور التوحيد واخلاص العبادة لرب العالمين وراء هذه السحب الكثيفة .

---

(١) انظر المسيحية لأحمد شلبى (ص ٧٠ — ٧٢) ومحاضرات فى النصرانية لأبى زهرة (ص ٣٤ — ٣٨) و (ص ١٠٦) .

(٢) انظر اظهار الحق لرحمة الله الهندى (ص ٨٣) والفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك باجة جى زاده (ص ٩) وما بعدها .

وقد أصيبت النصرانية بما أصيبت به فى وقت مبكر من حياتها واستمر الحال على ذلك حتى " جاء القرن السادس المسيحى والحرب قائمة على قدم وساق بين نصارى الشام والعراق وبين نصارى مصر ، حول حقيقة المسيح وطبيعته ، تحولت المدارس والكنائس والبيوت معسكرات متنافسة يكفر بعضها بعضا ، ويقتل بعضها بعضا ، كأنها حرب بين دينين متنافسين ، أو أمتين متحاربتين " . (١)

وقد اصبحت النصرانية فى شغل شاغل بنفسها عن محاربة الفساد واصلاح الامم .

يتحدث الأستاذ ابو الحسن الندوى عن المسيحية فى القرن السادس الميلادى فيقول : (٢) " لم تكن المسيحية فى يوم من الأيام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان ، بحيث تقوم عليها الحضارة ، أو تسير فى ضوئها دولة ، ولكن كان فيها أثارة من تعاليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها ، وطمسها بخرافات الجاهلين التى انتقل منها والوثنية التى نشأ عليها ، وقضى قسطنطين على البقية الباقية ، حتى أصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية ، والوثنية الرومية ، والأفلاطونية المصرية والرهبانية ، اضمحلت فى جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة فى اليم ، وعادت نسيجا خشبيا من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح ، ولا تمد العقل ولا تشعل العاطفة ، ولا تحل معضلات الحياة ، ولا تنير السبيل ، بل اصبحت بزيادات المحرفين

---

(١) فتح العرب لمصر للفرد بتلرج تعريب محمد فريد ابو حديد (ص ٣٧ ، ٣٨) ٤٧ انظر السيرة النبوية لابى الحسن الندوى (ص ٢٣) .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٢٨) .

وتأويل الجاهلين ، تحول بين الانسان والعلم والفكر ، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية " اهـ

٣ ـ بلاد فارس :

واذا تجاوزنا بنى اسرائيل وذهبنا الى بلاد فارس نجد أن ديانة أهلها أشد اضطرابا واكثر تعددا ، وأن بنيان هذه العقيدة عبادة النار واقامة بيوت للعبادة وتقديم القرابين لها والايمان بالثنوية أى الايمان برب للنور ورب للظلام واله للخير واله للشر وأن كلا الالهين يتنازع النفس الانسانية والكون وما فيه .

يقول الشهرستانى :(١)" ثم ان التثنية اختصت بالمجوس حتى أثبتوا اثنين مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة . وبالفارسية يزدان وأهرمن ، ولهم فى ذلك تفصيل مذهب .. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين .. احدهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا .. "

وجاء ـ زرادشت ٦٦٠ ـ ٥٨٣ ق.م " يهذب من عبادة المجوس ويصلح من عقيدتهم فما خرج كثيرا عنها فقد ادعى أن النور والظلمة اصلان متضادان وأن " الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولولم يمتزجا لما كان وجود العالم ، وهما يتعاونان

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١/ ٢٣٢)

ويتغالبان الى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك سبب الخلاص . . "(١)

وظهر " مانى " فى أواخر القرن الثالث المسيحى يزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وفرض على أصحابه العشر فى الأموال كلها ، والصلوات الاربع فى اليوم والليلة ، والدعاء الى الحق وترك الكذب ، والقتل والسرقة والزنا والبخل ، والسحر ، وعبادة الأوثان ، . . . واعتقاده فى الشرائع والأنبياء : أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ، ثم بعث شيثا بعده ثم نوحا بعده ، ثم ابراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة الى أرض الهند وزرادشت الى أرض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب ، وبولس بعد المسيح اليهم ثم يأتى خاتم النبيين الى أرض العرب ".(٢)

ومن بعد مانى ظهر " مزدك " فرأى أن سبب الكراهية بين الناس انما تقع بسبب المال والنساء فزعم انه ليس هناك وسيلة لازالة اسباب الشقاق والخلاف بين الناس الا بجعل الأموال والنساء مشاعا حرا يأخذ منه من يشاء ما يشاء . .

يقول الشهرستانى :(٣) " أحل ــ مزدك ــ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم فى الماء والنار والكلاء .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١/ ٢٣٧).
(٢) " " " (١/ ٢٤٨).
(٣) " " " (١/ ٢٤٩).

وتحت ظلام هذه العقائد المزيفة عاش الفرس يعانون قسوة الملوك وتجبر الحكام الذين انتهزوا هذا الجهل المطبق فادعوا أنهم من عناصر علوية مقدسة وبنوا ادعاءهم على مذهب " مترا " أحد مصلحيهم الذى رفع سلطان الملوك الى عرش السماء وقال : " ان الشمس تشع عليهم قبسا من نورها وهالة من بركتها فيرمزون بعروشهم على الأرض الى عرش الله فى عليين .. " (١)

" وكانت الاكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجرى فى عروقهم دم الهى ، وكان الفرس ينظرون اليهم كآلهة ، ويعتقدون أن فى طبيعتهم شيئا علويا مقدسا فكانوا يكفرون لهم ، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، لا يجرى اسمهم على لسانهم ، ولا يجلس أحد فى مجلسهم ، ويعتقدون أن لهم حقا على كل انسان ، وليس لانسان حق عليهم ، وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم انما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق ، وليس للناس قبلهم الا السمع والطاعة ". (٢)

٤ ـ بلاد الهند :

واذا تجاوزنا بلاد فارس الى ما وراءها من أرض المشرق فاننا نجد الهند وما فيها من ديانات باطلة وافكار ساذجة وأوضاع اجتماعية جائرة تقوم على التفرقة الانسانية بين الطبقات .

يقول الشهرستانى : (٣) " الهند أمة كبيرة ، وملة عظيمة ، وآراؤهم مختلفة ، منهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ، ومنهم من يميل الى الدهر

---

(١) الله للعقاد (ص ٩٨) .
(٢) انظر كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابى الحسن الندوى (ص٤٠)
(٣) الملل والنحل (٢/ ٢٥٠) .

ومنهم من يميل الى مذهب الثنوية ، ويقول بملة ابراهيم عليه السلام ، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ، ومن قائل بالهياكل ، ومن قائل بالأصنام ، الا أنهم مختلفون فى شكل الهياكل التى ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ، ومنهم حكماء على طريقة اليونانيين علما وعملا ".

ويقول ابو الحسن الندوى : (١) " اتفقت كلمة المؤرخين فى تاريخ الهند على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا كان ذلك العهد الذى يبتدىء من مستهل القرن السادس الميلادى .. فقد شاركت الهند جاراتها وشقيقاتها فى التدهور الخلقى والاجتماعى ، الذى شمل الكرة الارضية فى هذه الحقبة من الزمن .. وقد بلغت الوثنية أوجها ووصل عدد الآلهة الى ٣٣٠ مليونا وقد اصبح كل شىء رائعا وكل شىء جذابا وكل مرفق من مرافق الحياة الها يعبد .

وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة الحصر وأربت على العد فمنها اشخاص تاريخية ، وأبطال تمثل فيهم الله .. وجبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومعادن كالذهب والفضة تحمل سر الألوهية ، وأنهار وآلات حرب وآلات التناسل ، وحيوانات أعظمها البقرة والاجرام الفلكية وغير ذلك .

وأصبحت الديانة نسيجا من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يستسغها العقل السليم فى زمن من الأزمان

وقد ارتفعت صناعة نحت التماثيل فى هذا العهد ، حتى فاق هذا

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٤٦ - ٤٧) .

العصر فى ذلك العصور الماضية . وقد عكفت الطبقات كلها وعكف أهل البلاد من الملك الى الصعلوك على عبادة الأصنام .. "

والحق ان فطرة الهند تنادى بأن الله واحد ، ولكن جهلهم وضلالهم طمس هذه الفطرة فاشركوا بالله الواحد مخلوقاته المسخرة بأمره .

انظر الى قولهم فى بعض أناشيدهم الدينية :

" اننى أنا الله ، نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب وميض البرق وصوت الرياح وأنا الرائحة الطيبة التى تنبعث فى أنحاء الكون والأصل الأزلى لجميع الكائنات وأنا حياة كل موجود وصلاح الصالح أنا الأول والآخر والحياة والموت لكل كائن " (١)

أما الشهوة الجنسية فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم بشكل ليس له مثيل ، حتى عبدوا آلة التناسل لالههم الأكبر " مهاديو " وتصويرها فى صورة بشعة واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال .. زد على ذلك ان بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة .. (٢)

ويقرر دين البراهمة فى الهند التفرقة بين الناس من حيث العبادة والزلفى لبراهما الههم الأكبر ، وانقسم الناس من حيث مهنهم التى تتوارث وتصير المهنة عندهم أصلا نسبيا ينتقل من الاصول الى الفروع ومن الفروع الى فروعهم الى أربع طبقات :

١ ـ البراهمة ، طبقة : الكهنة ورجال الدين ، ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الههم "براهما" ولذلك كانوا أعلى الناس ، لأنهم خلقوا من أعلى الاله .

---

(١) ذيل الملل والنحل لمحمد سيد كيلانى (ص ١٠) .
(٢) انظر كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٤٨ ـ ٤٩) .

٢ ــ طبقة الجند ورجال الحرب ، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب الههم براهما ، ويديه ، ولهذا فهم الحماة والغزاة ومواطن القوة .

٣ ــ طبقة رجال الزراعة والتجارة ، وهم مخلوقون من ركبتى الههم .

٤ ــ طبقة الخدم والرقيق وهؤلاء خلقوا فيما يزعمون من قدمى الههم فهم أحط الطبقات وابعدها لبعدها عن رأس براهما .

وهناك فريق من الشعب الهندى لا يدخل فى هذه القسمة الجائرة وهم المنبوذون ، وهم الذين يتناولون الأعمال الحقيرة فى المدن ، وقد حال انحطاط شأنهم دون اعتبارهم حتى بين الطبقة الدنيا من الخدم والأجراء (١)

" وديانة المنبوذين تنحصر فى عبادة الأرواح ، وأعظم الآلهة عندهم يظهر فى شكل " كومة " من الآجر أو فى هيئة أخرى ساذجة ، وهذا الاله هو الذى يمنح الخصب للعواقر ويحمى المحاصيل من الآفات ويرعاهم برعايته وعنايته ولكل مدينة الهها " . (٢)

ومن هذه الاشارة العابرة عن الهند يتبين لنا ما وصل اليه الكفر الهندى من انحطاط كبير فى جميع نواحى الحياة الدينية والاخلاقية والاجتماعية وأصبح فى حاجة ماسة الى من ينير له الطريق ويرشده الى الهدى .

٥ ــ بلاد الصين :

أما الأمة الصينية فانها قد عاشت بلا دين صادق ، أو عقيدة ثابتة وانما توجهت الى طبيعة الحياة تستلم منها معنى الاله الحق ، فعبدت

---

(١) انظر خاتم النبيين لابى زهرة القسم الأول (ص ١٩ ــ ٢٠) وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٤٩) ذيل الملل والنحل (٢/ ١٣) .

(٢) ذيل الملل والنحل (٢/ ١٣) .

السماء وما فيها من كواكب ، وعبدت الأرض وما فيها من جبال وبحار وانهار وعبدت الأموات من ابطالها السالفين الذين بقيت ذكرياتهم حية فى قلوبهم فقدمت لهم ألوانا من العبادة والطاعة .

وبعد قرون طويلة استقر الصينيون على أديان ثلاثة وهى :-

١ ـ الكنفوشية　　٢ ـ البوذية　　٣ ـ الطاوية (١)

واشتهر حكيمهم ومعلمهم " كونفشيوس " بالاخلاص فى الدعوة الى اصلاح النفس الانسانية وتكوين مجتمع سليم قوامة المحبة والاخاء والعدل والطاعة والرضا .. يقدمها الولد لوالده والأخ الأصغر للأخ الأكبر والمحكوم لحاكمه .

كما اشتهر بجملة من الفضائل كالصدق والاخلاص والقناعة والصمت الا فيما يجب الكلام فيه ومعاملة الناس بالرفق والمودة وغير ذلك من الفضائل لكن " كونفشيوس " لم يهتد الى الحياة الأخرى فأنكر الجنة والنار والثواب والعقاب ، وقد سأله بعض تلاميذه مرة عن الموت فقال : اننا لم ندرس الحياة بعد فكيف ندرس الموت ؟؟

ومات " كونفشيوس " فتوجه الصينيون الى روحه بالعبادة والتقديس وأقاموا لها الهياكل وقدموا لها القرابين وانتقلت عبادة هذا الفيلسوف عبر الاجيال الى يومنا هذا . (٢)

---

(١) انظر ذيل الملل والنحل لمحمد سيد كيلانى (٢/١٩) .

(٢) انظر ذيل الملل والنحل (٢/٢٢ ـ ٢٦) بتصرف ، وموسوعة النظم والحضارة لأحمد شلبى (٣/٣١) والديانات القديمة لرشدى عليان وزميله (ص ١٠٧) وما بعدها .

وعلى مثال " كونفشيوس " كان الفيلسوف " لاوتسى " وهو أسن من صديقه وكلاهما دعا الى الخير والفضيلة الا انهما افترقا فى الخلق والمزاج وان اتفقا فى العقيدة والايمان " فلاوتسى " يقول : " من كان طيبا معى فأنا طيب معه ومن أساء الى فأنا طيب معه كذلك فلنجز السيئة بالحسنة ولنعمل الطيب على كل حال .. أما " كنفشيوس " فهو يوصى بأن تقابل السيئة بالعدل وان يقابل الاحسان بالاحسان ".(١)

واتباع " لاوتسي " يبنون منهجهم على التصوف ، واحتقار العادات القديمة والاعتقاد بأن الدرس والتحصيل والتفكير العقلى ليس وسيلة لاكتساب المعرفة انما سبيلها تطهير النفس والتدرج فى كمالاتها الى مرحلة الاتصال التام أو الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم ، كما دعا " لاوتسى " الى هجر العمل والاقتصار على التأمل والتجربة الصوفية وبعد وفاة " لاوتسى " أفسدت تعاليمه وتفشتها الاساطير وضمت اليها أشد الطقوس والفكرات الخرافية تعقيدا وخروجا عن المألوف .

وحدث فى الصين مثلما حدث فى الهند بالضبط أن نشطت فكرات السحر البدائية وتحركت الاساطير البشعة التى ظهرت فى الماضى تكافح ضد التفكير الجديد فى العالم ونجحت فى ان تسدل عليه ساترا سابلا من طقوس غريبة مضحكة وغير معقولة وعتيقة بالية .(٢)

وليس من الغريب ان تنتقل أكبر ديانات الهند الى الصين وتلك هى ـ البوذية ـ التى نشرها الهنود والصينيون الذين ذهبوا الى الهند وعادوا الى

---

(١) انظر كتاب الله للعقاد (ص ٨٤) .

(٢) انظر موجز تاريخ العالم (ص ١٣١) .

قومهم حاملين رسالة البوذية ، الا انهم حين نقلوها كانت قد فقدت بساطتها وتحولت الى عبادة تماثيل وصور ، يقول الاستاذ أيشوراتوبا :[١]

" لقد قامت فى ظل البوذية دولة تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل " .

نظرة عامة على الوضع العالمى

الجزيرة العربية انتشرت فيها العقائد الفاسدة ، وجرفتها تيارات العصبية الممقوته ، وسادت فيها الأوضاع الاجتماعية الجائرة .. وبنو اسرائيل حرفوا وغيروا كتب الله وشرائعه وكفروا بنعمة وركنوا الى المادة ، وأصبح بأسهم بينهم شديد .. والفرس والهند هذه البلاد ضلت طريقها وعاشت فى ظلام الشك والجهل ، والأوهام والبهتان ، .. وعلى هذة الشاكلة كان العالم يعيش بأسره فى الصين واسبانيا وفرنسا وانجلترا وافريقيا وغيرها ، فلم يبق موضع الا وا نسان يمرغ نفسه أمام صنم ويذل عزته وكرامته أمام الأرباب ، ونسي الانسان انسانيته أمام الشهوة والشيطان ، وضاع حقه بل كيانه لاطماع الملوك والمستبدين .

" ففى اسبانيا وفرنسا الجنوبية كان شعب " الويزيجو " الأوربيين يصاولون الملك " كلوفيس " وأولاد ، الكاثولوكيين وفى فرنسا نفسها كان أولاد " كلوفيس " هذا متقادرين متسافكين وكانت الحروب التى شبت نيرانها بين المملكة " الويزيجوتيه " و " برونهو " والمملكة الفرنكية فيريد يجوند " تهىء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للأسى والكمد .

---

(١) المجتمع الاسلامى لأحمد شلبى (ص ٣٣) .

أما فى انجلترا فكان " الانجلو " ينازعون " السكسونيين " الأرض التى احتلوها واستعبدوا فيها ذرية " لميريس " وهم أقدم المغيرين على تلك الجزيرة التى تتطلع اليوم للوقوف فى مقدمة الأمم علما وصناعة وقوة وهى التى كانت فى ذلك الوقت مجالا للقوة الوحشية السائدة فى تلك الغياهب الحالكة .

أما فى أفريقيا فكان اليونان الرومانيون أنفسهم — وهم اخلاط من عساكر وتجار وحكام مجموعين من آفاق مختلفة — دائبين على امتصاص دم القطر المصرى وعاملين على جعل مصر العلمية ذات المجد القديم كالجثة المصبرة عديمة الحس والحراك وكان هذا شأنهم أيضا فى الأقاليم الخصيبة وقتئذ الواقعة فى الجهات الشماليه من أفريقيا التى انتزعوها من أيدى الفندالين .

" والخلاصة أن جو العالم الأرضي كان متلبدا بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل جهة وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير وكان اجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى اصلاء نيران الحرب والمعارك ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ولا يؤثر عليها تأثيرا حادا وان كان وقتيا الا شرع واحد وهو الغنيمة وسلب الأمم والشعوب والمدائن والاعياد ورجال الحروب وفقراء الحراثين وسطاء المتسولين .. " (١)

" لقد كانت دولتا العالم ، دولة الفرس فى الشرق ودولة الرومان فى الغرب فى تنازع وتجالد مستمر .. دماء بين العالمين مسفوكة وقوى منهوكة وأموال هالكة وظلم من الاحن حالكة ... ومع ذلك فقد كان الزهو والترف

---

(١) انظر الاسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد فريد وجدى (ص ٢٠٧ — ٢٠٩) دار الكتاب العربى / بيروت .

والاسراف والفخفخة والتفنن فى الملاذ بالغة جدا مالا يوصف فى قصور السلاطين والافراد والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة ، وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد فزادوا فى الضرائب وبالغوا فى فرض الاتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأتوا على ما فى أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوى فى اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل فى الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر ، والذل والاستكانة ، والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الأرواح والأموال .. "[1]

يوضح هذه الصورة المحزنة لحال العالم قبيل البعثة الاستاذ ابو الحسن الندوى فى كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين فيقول :[2] " أصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين والمتلاعبين ، ولعبة المحرفين والمنافقين ، حتى فقدت روحها وشكلها ، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها ، وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام ، وعسف الحكام ، وشغلت بنفسها ، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة ، وأفلست فى معنوياتها ، ونضب معين حياتها ، لا تملك مشرعا صافيا من الدين السماوى ، ولا نظاما ثابتا من الحكم البشرى ".

ويقول الندوى تحت عنوان ظهر الفساد فى البر والبحر :[3] "وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أساس

---

(١) انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده (ص ١١٧)

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٢٨)

(٣) المرجع السابق (ص ٦٣) .

الاخلاق والفضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء " .

ثم يقول تحت عنوان العالم الذى واجهه محمد صلى الله عليه وسلم (١)

" بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزا عنيفا ، فاذا كل شىء فيه فى غير محله .. نظر الى العالم بعين الأنبياء فرأى انسانا قد هانت عليه انسانيته رآه يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل مالا يملك لنفسه النفع والضر . رأى انسانا معكوسا قد فسدت عقليته ، .. وفسد نظام فكره ، .. وفسد ذوقه .. رأى مجتمعا هو الصورة المصغرة للعالم ، وكل شىء فيه فى غير شكله أو فى غير محله .. فقد أصبح فيه الذئب راعيا ، والخصم الجائر قاضيا ، وأصبح المجرم فيه سعيدا حظيا ، والصالح محروما شقيا .. ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها الى هوة الهلاك .

ورأى معاقرة الخمر الى حد الادمان ، والخلاعة والفجور الى حد الاستهتار ، وتعاطى الربا الى حد الاغتصاب واستلاب الأموال ، ورأى الطمع وشهوة المال الى حد الجشع .. ، ورأى القسوة والظلم الى حد الوأد وقتل الأولاد .. رأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا ، وعباد الله خولا (٢) ، ورأى احبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله ، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٧٨ — ٧٩) .

(٢) خولا : أى عبيدا وخدما .

انظر لسان العرب (١١/ ٢٢٤) .

المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح ، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الانسانية فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية والجواد تبذيرا واسرافا ، والأنفة حمية جاهلية والذكاء شطارة وخديعة والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والابداع فى ارضاء الشهوات .

رأى الامم قطعانا من الغنم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه ، والسلطان كسيف فى يد سكران يجرح به نفسه ، ويجرح به أولاده واخوانه " اهـ

وخلاصة القول فى هذا ان جو العالم كله كان يموج بالاضطرابات الوحشية الى حد كبير وذلك على حد قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحدث الصحيح [1] " وان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب .. " الحديث .

وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير ، ونستطيع ان نقول ان الانسان فى تلك الفترة قد فقد عقيدته ونظام حياته ، حيث عم الفساد والانحطاط وأصبح التطلع الى المنقذ والى رسالة السماء والخروج من ذلك الكابوس أمرا ضروريا ، ولعل ظاهرة " التحنف " أصدق دليل على هذا التطلع والترقب .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن عياض المجاشعى (٤/٢١٩٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم (٦٣) وأحمد فى المسند (٤/١٦٢) .

البـــاب الثـــانى

معالم المنهج القرآنى فى دعـوة المشـــركين

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ثبوت وجود الله والدلائل على وحدانيته .

الفصل الثاني : اقامة الحجج والبراهين على المشركين .

الفصل الثالث : توجيهات وتحذيرات للمشركين .

* * * * * *

الفصـــل الأول

ثبوت وجود الله والدلائل على وحدانيته

ويشتمل على ما يلى :

تمهيد فى فطرية الايمان بالله فى النفوس البشرية ، وأسـباب تغـير الفطرة

١ ــ آيات الله فى خلق الانسان .

٢ ــ آيات الله فى الكون :

أ ــ آيات الله فى خلق السماء .

ب ــ آيات الله فى خلق الارض .

جـ ــ آيات الله فى خلق الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم .

د ــ آيات الله فى خلق الرياح والسحاب والمطر .

٣ ــ آيات الله فى خلق الحيوان .

٤ ــ آيات الله فى خلق النبات .

تمهيـــــد :

العالم التائية ، والأمة الحائرة ، والظلام المطبق فى كـــل ناحية ، والنفوس المترقبة ليوم جديد تشرق فيه شمس الأمان والعـــدل على جنبات هذا الكون الذى مزقته الاحقاد وانهكته الضغائن والعداوات .

يشرق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يحمل مشاعل الهداية والنور لهذا العالم المضطرب ، ومعه القرآن الكريم خطاب الله تعالى الـى جميع الناس على اختلاف مللهم ونحلهم واديانهم وفيهم المنكرون لوجود اللــه تعالى والمثبتون له الا أن الطريق قد اعوج والتوى بهم فعاشوا على الشرك والأوهام وعبدوا مع الله آلهة أخرى من الحجار أو الاشجار أو الانســان أو الحيوان وغيرها .

وأمام هذا الحشد الهائل من البشر الملئ بالمتناقضات وقف القرآن الكريم يخاطب كلا بالاسلوب الذى يناسبه ويضع بين يدى كل منكر حجتــــه ليقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

والقرآن الكريم فى منهجه فى دعوة الناس عموما والمشركين خصوصـــا الى الاسلام والى العقيدة الصحيحة وفى أخذه بأيدى الناس الى طريـــق الحق والصواب ، لم يرد أن يكون أسلوبه جدلا عقيما أو تفلسفا باطلا مذموما أو أدلة تستعصى على العقول مفاهيمها ومراميها ، ولكنه جاء سهلا واضحا يفهمه البدوى فى الأدوية والصحارى ، كما يفهمه أهل الحضارة والثقافة فـى أرجاء الأرض ، ويتذوقه من عاصر الوحى وشهد تنزلات القرآن ومن بعد بــه العهد أو المكان .

فطرية الايمان بالله في النفوس البشرية :

وعن معرفة وجود الله تعالى والايمان به فان القرآن الكريم يعتبر هذه القضية أمرا فطريا في النفوس البشرية السليمة وحقيقة بدهية لا تحتاج الى جدال أو نقاش ، فكل انسان عاقل يدرك بنفسه هذه الحقيقة بما أودعه الله تعالى فيه من ضرورة يحس بها دون الحاجة الى منهج يسلكه لمعرفة ربه خالقه ورازقه .

والدلائل التي تحرك هذه الفطرة وتشير الى وجود الله تعالى أكثر من أن تحصى ، انها تنبعث من كل شيء على وجه الارض بل ومن كل شيء في السماء ، أضف الى ذلك النظام البديع والدقة المتناهية في صنع هذه المخلوقات ، والترتيب في سيرها وحركتها ، فيدرك الانسان بعقله وبصيرته أن هذا النظام وذلك الابداع لا يمكن أن يحدث من غير محدث أو يوجد من غير موجد لأن تلك المخلوقات عاجزة عن ايجاد ذلك النظام الدقيق والترتيب المحكم من تلقائي نفسها .

لذلك فان منهج القرآن الكريم ومسلكه في هذه القضية البدء بالفطرة يوقظها ويذكرها بما هو مغروس في اعماقها ليجد أنها معترفة ومقرة بوجود الخالق العظيم وانها في ذلك لا تحتاج الى دليل .

قال تعالى : (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) .(١)

---

(١) الاعراف (١٧٢) .

فالفطرة السليمة التى أوجدها الله تعالى فى الناس كما قال تعالى :

(فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١) .

تعرف ربها حقيقة وتلوذ به وتلتجىء اليه اذا مسها الضر ولم تجد مغيثا يغيثها أو ناصرا ينصرها غير الله عز وجل . قال تعالى : (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) (٢)

وقال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) (٣) .

والمخاطبون حين نزول القرآن يعرفون ربهم الذى خلقهم ، وتنطق فطرهم بالحق عند ما تسئل كما قال تعالى : (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون) (٤)

ويقول تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (٥)

وقد أدرك الأعرابى بفطرته السليمة أن هذه المخلوقات العظيمة

---

(١) الروم (٣٠)
(٢) الاسراء (٦٧)
(٣) النحل (٥٣ — ٥٤)
(٤) المؤمنون (٨٤ — ٨٩)
(٥) العنكبوت (٦١)

من أرض وسماء ، وليل ونهار ، وشمس وقمر ، وانسان وحيوان ، ونبات وكواكب ، ورياح وسحاب وغيرها تدل على صنع الخالق تبارك وتعالى حيث قال : (البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات ابراج ، أفلا تدل على الصانع الخبير)[١]

وهذه الغريزة الفطرية لم تكن مقتصرة على النفوس البشرية وحدها بل حتى الطير والجمادات وغيرها قد فطرها ربها وخالقها على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقا لا يفهمه الا الذى انطقها . قال تعالى : (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)[٢]

وقال تعالى : (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)[٣]

وقال تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ...)[٤] الى غير ذلك من الآيات التى تدل على معرفة الجمادات بربها وتسبيحها له .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :[٥] " والمقصود اذا كانت الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والانسان أشرف منها

---

(١) من خطبة لقيس بن ساعده ، جواهر الأدب لأحمد الهاشمى (٢/ ١٩)
وانظر البيان والتبيين للجاحظ (ص ١٦٣) .
(٢) الاسراء (٤٤)
(٣) النور (٤١)
(٤) الحج (١٨)
(٥) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ٣٤٠ – ٣٤٤) .

فالان يفطر على معرفته بربه طريق الأولى والاحرى لما ركب فيه من العقل والتميز والفطنة " الى ان يقول : " وهذا الهدهد طير من الطيور فى نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور ، قد خاطب سليمان باعظم التوحيد ، واعلمه بغير ذلك فقال تعالى : (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الى قوله : (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم)[1] هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون " اهـ

ومن هذا يتبين لنا أن وجود الله تعالى أمر فطر فى النفوس البشرية وان الميل والانحراف انما يكون عند تغير الفطرة وفسادها كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله[2] : " الاقرار بالخالق وكماله يكون فطريا فى حق من سلمت فطرته ، وان كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج الى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها "

اسباب تغير الفطره :

وقد يقال هنا لو كان التوجه الى الله تعالى أمرا فطريا فى النفوس البشرية لما عبد الناس فى مختلف العصور آلهة شتى ؟

والجواب : أن الفطرة تدعو المرء الى الاتجاه الى الخالق جل وعلا ،

---

(١) النمل (٢٢ — ٢٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٧٣) وما تقرر هنا من أن وجود الخالق امر فطرى فى النفوس البشرية ، وان الانحراف أمر طارىء عليها .. هو ما قرره الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين (١ / ١٤٤) وشيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة (٢ / ٢٠٢) وعزاه الى الجمهور ، وابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان (٢ / ١٥٧ — ١٥٨) وانظر منهج القرآن فى الدعوة الى الايمان للدكتور على ناصر فقيهى (ص ٤٠) الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ

لكن الانسان فى هذه الدنيا تحيط به مؤثرات كثيرة تجعله ينحرف ومن أسباب انحرافه تقليد الأبناء لضلال الآباء ، وما قد يلقيه المنحرفون من الكتاب والمعلمين والباحثين فى أفكار الناشئة بما يبدل هذه الفطرة ويكدرها ويلقى عليها غشاوة فلا تتجه الى الحقيقة .

يصدق ما ذكرنا ما ثبت فى الصحيحين (١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ولم يقل يسلمانه لأن الاسلام موافق للفطرة .

وقد يقال اذا تركنا الطفل من غير أن نؤثر على فطرته هل يخرج موحدا عارفا بربه ؟

فنقول : اذا ترك شياطين الانس البشر ولم يدنسوا فطرهم فان شياطين الجن لن يتركوهم ، فقد أخذ الشيطان على نفسه العهد باضلال بنى آدم : (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (٢)

وأعطى الشيطان القدرة على أن يصل الى قلب الانسان ، كما فى الحديث الصحيح : (٣) " ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .. "

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣/٢١٩) كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبى هل يصلى عليه ؟ ومسلم (٤/٢٠٤٧) كتاب القدر حديث ٢٢ و ٢٤ وتقدم .

(٢) سورة ص (٨٢ – ٨٣)

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤/٢٧٨) كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه الى باب المسجد ؟ وصحيح مسلم (٤/١٧١٢) كتاب السلام حديث رقم ٢٤ ، سنن أبى داود (٢/٨٣٥) كتاب الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته ، ===

وبين القرآن أن لكل انسان قرينا من الجن يأمره بالشر ويحثه عليه

قال تعالى : (قال قرينة ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) (١) .

ولا يتخلص الانسان من هذا الا بالالتجاء الى الله تعالى والعمل بطاعته والتعوذ

من شر الشياطين (٢) قال تعالى : (قل أعوذ برب الناس . ملك الناس

اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس .

من الجنة والناس) (٣)

ماذا عن الدهريين والشيوعيين فى العصر الحاضر ؟

أما عن الدهريين والشيوعيين الملحدين فى العصر الحاضر فيقول

محمد قطب (٤) رحمه الله : " ولقد يخيل الينا أحيانا أن الجاهلية

المعاصرة استثناء من هذه القاعدة ، لأن فيها شعوبا بأسرها لا تعرف الله

البتة ، ولا تعبده البتة ، بل تدرس الالحاد فى المدارس ، وتخرج

ملحدين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بوجوده .

كما أن بعض المفسرين قالوا عن " الدهريين " الذين يحكى القرآن

قولهم : (وما يهلكنا الا الدهر) (٥) ان هؤلاء القوم ينكرون وجود الله

ويؤمنون بدلا منه بالدهر .

=== وسنن ابن ماجه (١/٥٦٦) كتاب الصيام ، باب فى المعتكف يزور أهله فى المسجد .

(١) سورة ق (٢٧) .
(٢) انظر فى هذا العقيدة فى الله للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص٦٥-٦٦)
(٣) سورة الناس بتمامها .
(٤) دراسات قرآنية (ص ٢٦ — ٢٨) .
(٥) الجاثية (٢٤)

فأما بالنسبة لهذه الآية فليس فيها ما يقطع بأنهم حتما ينكرون وجود الله ان الآية تقرر فقط أنهم ينسبون الاماته الى الدهر بدلا من الله وأنهم ينكرون البعث ، وليس هناك على الاطلاق ما يمنع من أن يكونوا مؤمنين بوجود الله . ولكنهم ينفون صلته سبحانه بما يحدث لهم من حياة وموت ،كما ينفون قدرته على البعث ...

أما الشيوعيون فليسوا — برغم الحادهم — استثناء من القاعدة انما الألحاد مفروض عليهم فرضا بالحديد والنار كالنظام الشيوعى ذاته ، ولو خلى بينهم وبين أنفسهم لكان ضلالهم فى أمر العقيدة كضلال بقية الضالين من البشرية .

ويدلل محمد قطب على ما يذكر ليثبت أن الشيوعيين فى الأصل على الفطرة وأنهم ليسوا خارجين عنها فيقول : " فجاجارين " رائد الفضاء الأول شاب ربى نفسه فى الشيوعية والألحاد منذ مولده ، الى يوم انطلاقه الى الفضاء فى داخل الصاروخ . ومع ذلك فقد اهتزت فطرته حين نظر الى الكون من خلال الصاروخ ، لأنه رأى صورة لم يشهدها من قبل ، وكان أول تصريح له حين هبط الى الأرض : " حين صعدت الى الفضاء أخذتنى روعة الكون فمضيت أبحث عن الله " .

ويبين الاستاذ محمد قطب بأن استجابة الفطرة التلقائية ازاء الكون الهائل الذى خلقه الله عز وجل لم تستطع كل الشيوعية التى تفرضها الدولة وكل الالحاد الذى تنبشه فى الدروس أن تحول دون انطلاقها حين هزتها روعة الكون .

ثم يقول : " ومن الطريف أن الدولة غضبت من هذا التصريح لأنه

سيهدم كل ما انشأته خلال خمسين عاما من الالحاد لذلك أمرت " جاجارين" بتقييم ذلك التصريح الخطير فأضاف اليه فى القراءة الثانية : " ... أخذتنى روعة الكون فمضيت أبحث عن الله فلم أجده " .

ونشرت وكالات الأنباء هاتين القراءتين المختلفتين للتصريح الواحد بغير تعليق .. انتهى .

وهذا يدلنا على ان انكار الاله الحق عند الشعوب الشيوعية انما هو نتيجة لتدريس الالحاد فى تلك البلدان وفرضه على الناس بالحديد والنار .

وأما ما وجد وقت نزول القرآن الكريم من بعض من فسدت فطرتهم وانحرفوا عن الحق فظنوا أو توهموا أن المؤثر فى الحياة والاماته انما هو الدهر كما جاء ذلك عنهم فى قوله تعالى : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) .(١)

قال ابن كثير رحمه الله فى معنى الآية (٢) : " هذا قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى انكار المعاد ، ومرادهم ما ثم الا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس هناك معاد ولا قيامة وهذا قول الفلاسفة الدهريين ، المنكرين للصانع المعتقدين أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شئ الى ما كان عليه " اهـ

فان الله تعالى رد عليهم بقوله : " وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) (٣) أى ليس لهم مستند فى ذلك من عقل أو نقل وانما هم قوم يتوهمون ويتخيلون بالظن من غير يقين والظن لا يغنى من الحق شيئا .

---

(١) الجاثية (٢٤) .
(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٦٢) بتصرف .
(٣) الجاثية (٢٤) .

كما طالبهم بالدليل على هذا المعتقد الفاسد والدعوى الباطلة وهى قولهم انهم خلقوا من غير خالق فقال تعالى : (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) (١).

قال الخازن : (٢) " ومعنى الآية هل خلقوا من غير شىء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون ، لأن تعلق الخلق بالخالق ضرورى ، فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ، أم هم الخالقون لأنفسهم ؟ وذلك فى البطلان أشد ، لأن مالا وجود له كيف يخلق ؟ فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ، وليوحدوه وليعبدوه ، وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم " اهـ

هذا وسيأتى بيان شبهة منكرى البعث وأدلة القرآن فى اثباته فى موضعه .

ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية والرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب هو خاتم الأنبياء والرسل ، والدين الاسلامى خاتم الأديان كلها على الاطلاق وأن الله تعالى لا يقبل من أحد دينا غيره لا يهودية ولا نصرانية ولا غيرهما كما قال تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) (٣) وقوله : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (٤).

جاء هذا الكتاب شاملا وافيا لكل حاجات البشر كما قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (٥)

---

(١) الطور (٣٥) .
(٢) تفسير الخازن (٤/ ٢١٠) .
(٣) آل عمران (١٩) .
(٤) " " (٨٥) .
(٥) الانعام (٣٨) .

ومن كماله ووفائه اشتماله على جميع الحجج والبراهين القاطعة التى تقمع شبهات المنحرفين والمعاندين متى ظهروا وفى أى مكان ظهروا .

واليك دلائل وجود الله ووحدانيته من كتاب الله العزيز ترشد كلا من الملحدين والمشركين ، وتدحض كل شبهة وتبطل كل فريه وتدل على الطريق الواضح المستقيم .

تفصيل القول فى الدلائل على وحدانية الله

١ ــ آيات الله فى خلق الانسان :

ان كل ما فى الكون من الذره الى المجرة آيات عظيمة تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته ، والقرآن الكريم ملىء بالآيات التى تحث الانسان على التدبر والتأمل فى مخلوقات الله الكثيرة ليزداد ايمانا ويقينا بمعرفة خالقه وبارئه ومصوره ان كان مؤمنا ، وتدعوه الى الايمان عن حقيقة واقتناع ان كان مشركا أو ملحدا .

ولما كان اقرب شىء الى الانسان نفسه فاننا نبدأ به قبل غيره ، ففى النفس الانسانية من الآيات والدلائل الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته مالا يحصى الا بكلفة ومشقة . قال تعالى : (وفى انفسكم أفلا تبصرون)(١)

قال ابن جرير الطبرى(٢) : " معنى ذلك وفى أنفسكم أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لا اله لكم سواه اذ كان لا شىء يقدر على أن يخلق مثل خلقه اياكم (أفلا تبصرون) يقول : أفلا تنظرون فى ذلك فتتفكروا فيه ، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم " .

وقال تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد)(٣)

وعن بيان أن نفخة من روح الله تعالى فى قبضة من التراب تصنع هذا الكائن العجيب لهى دليل قوى وشاهد عظيم على ربوبية الله تعالى ووحدانيته

---

(١) الذاريات (٢١)
(٢) تفسير ابن جرير (٢٠٥/٢٦)
(٣) فصلت (٥٣)

قال تعالى : (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) (١)

وعن أصل خلق الانسان قال تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) (٢)

وقال تعالى : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) (٣)

وعن أصل خلقه وتكوينه ومراحل نموه وتطوره ثم اماتته وبعثه يقول تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (٤)

وقال تعالى : (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) (٥)

وقال تعالى : (قتل الانسان ما اكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) . (٦)

---

(١) السجدة (٧ — ٩)
(٢) الطارق (٥ — ٧)
(٣) الدهر (١ — ٢)
(٤) المؤمنون (١٢ — ١٦)
(٥) غافر (٦٧)
(٦) عبس (١٧ — ٢٢)

وعن أغشية الجنين والتى عبر عنها القرآن الكريم بالظلمات الثلاث

قال تعالى : (يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) .(١)

وهذه الظلمات هى ظلمة الرحم — وظلمة المشيمة — التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد ، وظلمة البطن .(٢)

وكل عالم ومفكر ، وأديب وطبيب ، وباحث وصانع ، وفيلسوف وشاعر يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئا كبيرا أو صغيرا وما اكتسبه من علم ومهارات فانما هو من فضل الله تعالى عليه . قال تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)(٣)

ويبين لنا القرآن الكريم تلك المفارقة الضخمة بين التراب والنطفة القذرة وبين ذلك الانسان المستوى المعتدل الخلقة ثم لم يلبث أن يكابر ويتكبر ويعاند ويجحد قال تعالى : (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين)(٤)

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم)(٥)

ومن خلال الآيات السابقة يتبين لنا أن الانسان لو نظر وفكر وتأمل فى مبدأ خلقه وفى كيفية تكوينه وتركيبه لوجد الشىء الكثير الهائل الذى يعجز عن وصفه فضلا عن ادراكه وكنهه وكلما أتسع نطاق العلم تضافرت الأدلة على أن لهذا الانسان البديع الصنع الها حكيما . انه لا يوجد ناحية من نواحى

---

(١) الزمر (٦)
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٥٠) وايثار الحق على الخلق (ص ٤٥) .
(٣) النحل (٧٨)
(٤) النحل (٤)
(٥) يس (٧٨)

الانسان ليست مثار دهشة وعجب . ان اطواره فى الرحم آية من آيات الله تعالى الدالة على وجوده ووحدانيته ، ونظام طعامه وشرابه وتحليل الطعام الى عناصر مختلفة بموازين دقيقة يذهب كل عنصر الى حيث يؤدى وظيفته عدا العنصر الذى لا يفيد فيطرد الى الخارج كل ذلك آية من آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته .

ونظام توزيع الدم من مكانه الرئيسى وهو القلب الى جميع انحاء الجسم بواسطة الشرايين التى لا يحصى عددها الا الله ، ثم عودته الى القلب بواسطة الأوردة ، ومرور الهواء الجديد الذى جلبه التنفس ليصلح الدم بعد الفساد فيفيد منه الجسم ، آية من آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته ، دع السمع والبصر والنطق والاحساس ، بل دع ما يعرض للانسان من تذكر ونسيان وحزن وسرور ، وعلم وجهل ومحبة وبغض وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على قدرة الله وعظمته وبالتالى على وجوده ووحدانيته .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (١) " واقرب شىء الى الانسان نفسه وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار فى الوقوف على بعضه وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه ولو فكر فى نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ".

---

(١) مفتاح دار السعاده (١/ ١٨٨) .

٢ ـ آيات الله فى الكون :

أ ـ آيات الله فى خلق السماء :

ومن أعظم الآيات الدالة على عظمة خالقها ومبدعها خلق السماء التى فوق رؤوسنا ، انظر الى خلقها المحكم مرة بعد مرة ثم كرر النظر اليها مرة بعد أخرى فانك لا تجد فيها لا صدع ولا فطر ، ولا شق ولا عيب ، ولا أمت ولا عوج ، بل ستجد أن النظر يعود اليك خاشعا ذليلا أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

قال تبارك وتعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) (١)

قال القرطبى (٢) رحمه الله : (أى ردد طرفك وقلب البصر فى السماء كرتين أى مرة بعد أخرى يرجع اليك البصر خاشعا صاغرا ، متباعدا عن أن يرى شيئا من ذلك العيب والخلل ، وانما أمر بالنظر كرتين ، لأن الانسان اذا نظر فى الشىء مرة لا يرى عيبه ، مالم ينظر اليه مرة أخرى ، والمراد بالكرتين التكثير بدليل قوله : (ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وهو دليل على كثرة النظر . وقال تعالى : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) (٣)

فياسبحان الله انها لمثار الدهشة والاعجاب ، ربنا ماخلقت هذا باطلا .

---

(١) الملك (٣ ـ ٤)
(٢) الجامع لاحكام القرآن (١٨/٢٠٩)
(٣) ق (٦)

ولعظم خلق السماء فقد اكثر الله تبارك وتعالى من الاقسام بهـــا كقوله : والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق ، والسماء وما بناها ، والسماء ذات الرجع .

قال ابن القيم رحمه الله : [(١)] " ولم يقسم فى كتابه بشىء مـــن مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والقمر وهو سبحانه يقسم بما يقسم به مـــن مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه وكلما كان أعظم آية وأبلغ فـــى الدلالة كان اقسامه به أكثر من غيره ، ولهذا يعظم هذا القسم كقوله :

(فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) [(٢)] ثم قال :

والمقصود انه سبحانه انما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة عـــلى ربوبيته ووحدانيته " اهـ

ومن كمال قدره الله تعالى وعظيم سلطانه أنه رفع السموات بغـــير قواعد ترتكز عليها قال تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمـــر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) [(٣)] .

وقال تعالى : (... ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) [(٤)]

فأى قوة تمسك بمقاليد هذه السماء فتجعل عملها يستمر ووظائفهـــا تتأدى وفق نظام شامل بديع ؟؟

والجواب : انه لا يوجد غير الله العزيز الحكيم ، الخالق الرؤوف

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٧) وانظر التبيان فى أقسام القرآن للمؤلف (ص ٥٧) وما بعدها .
(٢) الواقعة (٧٥ ــ ٧٦)
(٣) الرعـــد (٢)
(٤) الحـــج (٦٥)

الرحيم بخلقه الذى يمسك الزمام بقوة واحكام .

وقال تعالى : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا)[(١)]

قال القرطبى[(٢)] : " لما بين أن آلهتهم لا تقدر على شىء من السموات والأرض بين أن خالقها وممسكها هو الله ، فلا يوجد حادث الا بايجاده ، ولا يبقى الا ببقائه ".

وقد بين نديم الجسر فى كتابه قصة الايمان[(٣)] بأن العلم يرجع ذلك الامساك الى قوة الجاذبية التى شاهد العلماء آثارها ، وأحصوا أطوارها ، ومسوا سطوحها ولم يسبروا اغوارها ، وعرفوا قوانينها ونواميسها ولم يعرفوا بعد اسرارها .. ثم يعلق نديم الجسر على ذلك بقوله : " والحق ماقالوا ، فالجاذبية حق وقوانيها المحسوسة المتزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق ، ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم أثر من آثار المصادفة العمياء ؟

قال تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)[(٤)]

وقد امتدح الله تعالى المتفكرين والمتأملين ملكوت السموت والأرض فقال تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[(٥)]

ان السموات والأرض كون هائل يزخر بالنفائس ويمتلىء بالمعجزات

---

(١) فاطر (٤١)
(٢) الجامع لاحكام القرآن (١٤/٣٥٦)
(٣) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والايمان (ص ٣١١)
(٤) الزمر (٦٧)
(٥) آل عمران (١٩٠ — ١٩١)

لا يستطيع أحد سوى الله تعالى أن يخلق شيئا فيه كبيرا أو صغيرا ، وفى تعاقب الليل والنهار آيات ضخمة كذلك ، تشارك فى ذلك الشمس بالمقدار المعلوم المنضبط من الضوء والحرارة ، ويشارك فيه القمر بضوءه واشراقه .

كما ذم المعرضين عن التفكر فى ذلك الخلق العجيب والتنظيم الفريد الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة .

فقال تعالى : (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (٢)

قال القرطبى : (٣) " بين تعالى أن المشركين غفلوا عن النظر فى السموات وآياتها من ليلها ونهارها ، وشمسها وقمرها ، وأفلاكها ورياحها وسحابها ، وما فيها من قدرة الله تعالى اذا نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا واحدا يستحيل أن يكون له شريك " .

هذا وقد تحدث الامام ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة عن عظمة خلق السموات وما فيها من الأدلة والعجائب الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته فقال : (١) " فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر ولهذا قل أن تجىء سورة فى القرآن الا وفيها ذكرها اما اخبارا عن عظمتها وسعتها ، واما اقساما بها ، واما دعاء الى النظر فيها ، واما ارشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها ، واما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة ، واما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذى لا اله الا هو

---

(١) آل عمران (١٩٠ — ١٩١)
(٢) الأنبياء (٣٢)
(٣) الجامع لاحكام القرآن (١١/ ٢٨٥)
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٦ — ١٩٧) .

واما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته ، وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التى تتقاصر عقول البشر عن قليلها ... "

ب ـ آيات الله فى خلق الأرض :

وفى حديث القرآن الكريم عن الأرض التى نعيش فوقها ونكد ونكدح على ظهرها نجد الآيات العظيمة التى تدعو الانسان العاقل الى النظر والتأمل فى عظمة الخالق وكمال قدرته وانه ليس له شريك فى ملكه تبارك وتعالى قال تعالى : (وفى الأرض آيات للموقنين) (١)

قال الامام ابن كثير (٢) فى معنى الآية الكريمة : " أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة ، وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج اليه فيه .

ويقول ابن القيم (٣) : "واذا نظرت الى الارض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها خلقها سبحانه فراشا ومهدا وذللها لعباده وجعل فيها ارزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل ليتنقلوا فيها فى حوائجهم وتصرفاتهم وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد

---

(١) الذاريات (٢٠)
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥١)
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)

بهم ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبهـا

وجعلها كفاتا للاحياء تضمهم على ظهرها ماداموا أحياء وكفاتا للأموات تضمهم

فى بطنها اذا ماتو ".

وعن بسط الأرض واستقرارها ومهدها لتكون صالحة للحياة والمعاش

قال تعالى : (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لهـا

رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أ اله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون)(١)

وقال تعالى : (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء

وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين)(٢)

وعن عظمة خلق السماوات المرفوعة بغير عمد ترتكز عليها وتثبيـت

الأرض بالجبال لئلا تتحرك وتضطرب فتهلك من عليها أو تهدم بيوتهـم ،

وما خلق فى ارجائها من أنواع الحيوانات والدواب المأكولة منها والمركوبة وما

أنزل من السماء من الأمطار لشربهم وشرب دوابهم وانبات النبات من جميـع

الاصناف يقول تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض

رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنـا

فيها من كل زوج كريم) ثم يوجه الخطاب الى المشركين قائلا لهم : (هذا

خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين)(٣)

أى هذا الذى ترونه وتشاهدونه انما هو خلق الله وحده أما آلهتكم

المزعومة من الأوثان والأصنام فماذا خلقت ؟

---

(١) النمل (٦١)

(٢) غافر (٦٤)

(٣) لقمان (١٠ — ١١)

انه سؤال على جهة التهكم والسخرية بعقول أولئك المشركين ومعبوداتهم التى لا تجلب نفعا ولا ترفع ضرا .

وقال تعالى : (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (١)

ومع مهد الأرض واستقرارها جعلها ذات سبل وطرق كثيرة من أجل سلوك الناس معها لقضاء حوائجهم ومصالحهم قال تعالى : (الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) (٢)

وقال تعالى : (الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) (٣)

وقال تعالى : (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون . وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (٤)

وعن سعة الأرض وامتدادها وما أودعه الله فيها من جميع الزروع والنبات وصنوف الخيرات قال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) (٥) وقال تعالى : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (٦)

---

(١) البقرة (٢٢)
(٢) طه (٥٣ — ٥٤)
(٣) الزخرف (١٠)
(٤) الانبياء (٣٠ — ٣٢)
(٥) الحجر (١٩)
(٦) ق (٧ — ٨)

الى غير ذلك من الآيات التى تدعو الانسان الى النظر والتفكر فى صنع هذه الأرض وما أودعه الله فيها من الخيرات والنعم الدالة على وجود الله تعالى ووحدانية خالقها ومبدعها .

جـ ــ آيات الله فى خلق الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم :

ومن آيات الله العظيمة الدالة على وجوده ووحدانيته تعاقب الليل والنهار ، وما أودعه الله فى الشمس والقمر من النور والاضاءة .

قال تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١)

وقال تعالى : (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٢)

وقال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) (٣)

وقال تعالى : (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) (٤)

---

(١) البقرة (١٦٤)
(٢) الاعراف (٥٤)
(٣) يونس (٥ ــ ٦)
(٤) « (٦٧)

وقال تعالى : (وهو الذى يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون)[١]

وقال تعالى : (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)[٢]

فهذه الآيات تخاطب العقول البشرية لتنظر وتفكر وتتأمل عظمة الخالق تبارك وتعالى لتؤمن به ربا خالقا قادرا حكيما عظيما واحدا لا شريك له فى ملكه .

وقال تعالى : (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون)[٣]

والآية خطاب من الله عز وجل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين أخبرونى لو جعل الله عليكم الليل دائما مستمرا بلا انقطاع الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بالنور الذى تستضيئون به فى حياتكم ؟ وأخبرونى لو جعل الله تعالى عليكم النهار دائما مستمرا بلا انقطاع من الاله القادر على أن يأتيكم بليل تستريحون فيه من العناء والتعب غير الله تعالى ؟

فلو أن المشركين سمعوا سماع فهم وقبول للحق ونظروا بعين الانصاف والعدل لاستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى ولعرفوا ماهم عليه من الخطأ والضلال .

---

(١) المؤمنون (٨٠)
(٢) النمل (٨٦)
(٣) القصص (٧١ – ٧٢)

وقال تعالى : (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو فأنى تؤفكون) (١)

واذا تأمل الانسان حال الشمس والقمر وما أودعهما الله من النور والاضاءة وكيف أنه جعل لهما بروجا ومنازل ينزلانها من مرحلة الى مرحلة لعلم أن ذلك من أجل مصالح البشر الذى لا غنى لهم عنه فى مصالحهم حيث يعلم حساب الأعمار والآجال المؤجلة للديون والاجارات والمعاملات وكذلك يعلم مواقيت العبادات كالصلاة ، والصيام والحج وعدة النساء وغيرها .

قال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢)

وقال تعالى : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصره لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا) (٣)

ولما كانت الشمس والقمر من أعظم الاجرام المشاهده فى العالم العلوى والسفلى نبه تعالى على انهما من مخلوقات الله تعالى وأنهما من عبيده وتحت قهره وتسخيره ونهى عن السجود لهما لأن ذلك لا يجدى شيئا وانما يجب السجود لله تعالى الذى خلقهما وسائر خلقه . قال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) (٤)

---

(١) غافر (٦١ — ٦٢)
(٢) يونس (٥)
(٣) الاسراء (١٢)
(٤) فصلت (٣٧)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تبين أن الليل والنهار والشمس والقمر من الآيات العظيمة الدالة على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وحكمته فى جعل الليل وقتا للسكن والراحة من كد السعى والتعب اثناء النهار حتى اذا أخذت النفوس راحتها وأخذت تتطلع الى معاشها وعملها جاء الحق الاصباح سبحانه وتعالى بالنهار فيبدد تلك الظلمة فيكشفها عن العالم فاذا هم مبصرون فيهرع الناس الى اعمالهم ومصالحهم ، وكذلك تخرج الحيوانات والطيور وغيرها الى معاشها ومصالحها فسبحانه من اله حكيم لا اله غيره ولا معبود بحق سواه .

قال ابن القيم : (١) " ثم تأمل الحكمة فى طلوع الشمس على العالم كيف قدره العزيز العليم سبحانه فانها لو كانت تطلع فى موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لأن ظل أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر وكان يكون الليل دائما سرمدا على من لم تطلع عليهم والنهار سرمدا على من هى طالعة عليهم فيفسد هؤلاء وهؤلاء فاقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن قدر طلوعها من أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربى ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها فى أول النهار فيختلف عندهم الليل والنهار فتنتظم مصالحهم " .

كما تحدث نديم الجسر عن حركات القمر ومنازله وأنواره واحكام نظامه وما فى ذلك من الدلالة على عظمة الخالق ثم عقب على ذلك بأن تلك الآثار لا تكون عن طريق المصادفة العمياء فيقول : (٢)

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٩)
(٢) قصة الايمان لنديم الجسر (ص ٣٢٩)

" فهل كل هذا النظام والاحكام الذى خص الله به القمر فى حركاته المحسوسة ودوراته المكتوبة ، ومنازله المقدرة واقداره السخرة ، وأنواره المكتسبة ، وأطواره المرتقبة ، أثر من آثار المصادفة العمياء ... ؟

سبحان الخلاق العظيم والله ان هذا كله لا يجتمع بالمصادفة .

ومن آيات الله العظيمة الدالة على وحدانيته خلق النجوم وكثرتها ، وعجيب صنعها ، وأنها زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات الليل فى البر والبحر ، وما جعل فيها من الضوء والنور ، وما فى تسخيرها منقادة بأمر ربها تبارك وتعالى جارية وفق سنن ثابتة ، ونظام دقيق ، وكيف أن الله تعالى جعل منها البروج والمنازل والثوابت والسيارة والكبار والصغار والمتوسطة ومافيها من اختلاف فى الألوان واختلاف فى الدنو والعلو وأشياء أخرى كلها تدعو الى التأمل والتدبر قال تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) (١)

وقال عز وجل : (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٢)

وقال تعالى : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) (٣)

وقد أقسم الله تعالى قسما عظيما بمنازل النجوم وأماكن دورانها فى أفلاكها وبروجها وذلك لما فى المقسم به من الدلالة على عظيم قدرة خالقها ومبدعها وكمال حكمته ورحمته فقال تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (٤) وقال تعالى : (والسماء والطارق وماأدراك ماالطارق النجم الثاقب) (٥)

---

(١) الانعام (٩٧)
(٢) النحل (١٢)
(٣) (١٦)
(٤) الواقعة (٧٥ ـ ٧٦)
(٥) الطارق (١ ـ ٣)

د ـ آيات الله فى خلق الرياح والسحاب والمطر :

وهبوب الرياح وركودها واختلاف مهابها لا يستغنى عنها انسان أو حيوان أو نبات فالجميع فى حاجة ماسة اليها باردة مرة وحارة أخرى أو رطبة مرة وجافة أخرى أو معتدلة هذه الرياح قد أحكم الله سيرها وقدر قواها ، ووزعها على هذه الأرض توزيعا دقيقا ، رصده العلماء وقسموا على اساسه العالم الى مناطق حارة ومناطق باردة وأخرى معتدلة كما عرفوا سير هذه الرياح واتجاهها فنظموا حركات السفن فى البحر كالاعلام .

يقول ابن القيم : (١) " ومن آياته الباهره هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض يدرك بحس اللمس عند هبوبه يدرك جسمه ولا يرى شخصه فهو يجرى بين السماء والأرض والطير محلقة فيه سابحة بأجنحتها فى أمواجه كما تسبح حيوانات البحر فى الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هيجانه كما تضطرب أمواج البحر فاذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمه فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدى رحمته ولاقحا للسحاب كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل ... وان شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيما وأودعه عذابا أليما وجعله نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصرا ونحسا وعاتيا ومفسدا لما يمر عليه) .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

وهذه الرياح والسحاب الذى تحمله وما يتبع ذلك من مطر ورعد وبرق آيات عظيمة ، وقد وقف عندها القرآن الكريم مرشدا ومبصرا وواعظا للخلق طالبا منهم التفكر والتأمل فى عظمة الخالق وقدرته الباهرة ليعبدوه وحده ويطيعوا امره .

قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمه حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (١)

وقال تعالى : (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) (٢)

وقال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) (٣)

وقال تعالى : (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أ اله مع الله تعالى الله عما يشركون) (٤)

وقال تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٥)

وقال تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون . وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير) . (٦)

---

(١) الاعراف (٥٧) (٢) الرعد (١٢ — ١٤)
(٣) الحجر (٢٢) (٤) النمل (٦٣)
(٥) الروم (٤٦) (٦) الروم (٤٨ — ٥٠)

وقال تعالى : (ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام . ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ، ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) (١)

قال القرطبى عند الآية الاخيرة (٢) " ليعلم الكفار اذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أنه لا ملجأ لهم سوى الله ، ولا دافع لهم ان أراد الله اهلاكهم فيخلصون له العبادة "

فكل هذه الآيات والبراهين العظيمة الدالة على القدرة الالهية انما ضربها الله تعالى لمن كان له عقل يعى ويدرك ويتدبر ليعلم عن حقيقة واقتناع بأن هذه الآيات من صنع الله وحده قال تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (٣)

وقال تعالى : (ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار . يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) (٤)

---

(١) الشورى (٣٢ — ٣٥)
(٢) الجامع لاحكام القرآن (١٦ — ٣٣)
(٣) البقرة (١٦٤)
(٤) النور (٤٣ — ٤٤)

وقال تعالى : (وهو الذى يوسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا) (١)

وقال تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٢)

٣ ـ آيات الله فى خلق الحيوان :

واذا ذهبنا الى عالم الحيوان لوجدنا فيه من العجائب الالهية ما يستحق الوقوف والتأمل طويلا وطويلا جدا ، وذلك انه عالم مستقل بل هو عوالم تحار فيها العقول والأفكار .

هذا التنوع فى الخلق من حيوانات برية ، وبحرية ، وطائره ، وحيوانات حشرية لا ترى بالعين المجردة ، وأخرى كبيرة فقرية وثديية ومنها ما يمشى على رجلين ومنها ما يمشى على أربع وأخرى زواحف لا أرجل لها ، وحيوانات طويلة العمر ، وأخرى قصيرة الأجل ، وحيوانات تبيض وأخرى تلد ، وحيوانات للأكل والحمل والألبان ومنافع أخرى كثيرة ، وحيوانات أخرى لا ينتفع بها الانسان .. وحيوانات ملساء الجلد لا شيء عليها ، وحيوانات اخرى مكسوة الجلد بالصوف أو بالشعر أو بالوبر أو الريش .

وهناك اختلاف فى الاشكال والألوان ، وفى الاصوات وفى طريقة الحياة وتناول الطعام ، وفى الاسماع والابصار وآلات البطش وأشياء واشياء يعجز القلم عن تسطيرها .

(١) الفرقان (٤٨ ـ ٥٠)
(٢) الروم (٢٤)

أما اذا ذهبت تفتش عن الحكم والاسرار فى خلق تلك الحيوانات لوجدت نفسك أمام خضم واسع منها .

يقول ابن القيم [١] بعد ذكر الكثير من الحكم فى خلق هذه الحيوانات : " فما اغزر الحكم وأكثرها فى هذه الحيوانات التى تزدريها وتحتقرها وكم من دلالة فيها على الخالق ولطفه ورحمته " .

وعن عوالم تلك الحيوانات والطيور يتحدث القرآن الكريم فيقول تبارك وتعالى : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) [٢]

ويقول تعالى : (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) [٣]

ويلفت القرآن الكريم الابصار ويفتح العقول ويثير العواطف ويمسك بالأيدى الى الدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى فيقول عن الطير :

(ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) [٤]

ويقول تعالى : (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير) [٥]

وعن اخراج العسل الذى فيه شفاء للناس من النحل تلك الحشرة الضعيفة يقول تعالى :

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٤)
(٢) الانعام (٣٨)
(٣) هـود (٦)
(٤) النحل (٧٩)
(٥) الملك (١٩)

(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (١)

وعن فطانة النملة حكى الله تعالى قولها وقد رأت سليمان عليه السلام وجنوده : (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (٢)

وقد قال بعض العلماء : (٣) " ان هذه الآية من عجائب القرآن ، لأنها بلفظت " يا " نادت " أيها " نبهت " النمل " عينت " ادخلوا " أمرت " مساكنكم " نصت " لا يحطمنكم " حذرت " سليمان " خصت " وجنوده " عمت " وهم لا يشعرون " عذرت .

وعن قدرة الله العظيمة فى خلقه لأنواع المخلوقات على اختلاف اشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها يقول تعالى : (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير) (٤)

ويمتن الله تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع الكثيرة فيقول تعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) . (٥)

---

(١) النحل (٦٨ — ٦٩)
(٢) النمل (١٨)
(٣) انظر تفسير ابن الجوزى (٦/ ١٦٢)
(٤) النور (٤٥)
(٥) النحل (٥ — ٨)

ويقول تعالى : (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين)[1]

قال صاحب الكشاف :[2] " والآية للعبرة فان الله سبحانه يخلق اللبن وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليه بلون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، فسبحان الله ما اعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل " .

فهذا التنوع والتمايز فى عالم الحيوان الملىء بالعبر والاسرار لم يكن عبثا أو مصادفة عمياء .

كما لم يبق مجال لأحد أن يدع أو يظن بأن لله شريكا فى ملكه .

٤ ـ آيات الله فى خلق النبات :

واذا انتقلنا الى عالم النبات نجد أنه لا يقل عجبا عن عالم الحيوان انظر الى الحبة تكون فى باطن الأرض فلا تتأثر برطوبة ما ينزل عليها من الماء وانما تربو وتنشق من أسفل عن جذورها ومن أعلى يخرج ساقها شاقا لنفسه طريقا بين التراب وينمو شيئا فشيئا حتى يخرج الثمر ويؤتى أكله فى حينه بأذن ربه .. وانظر الى النواة على ضعفها تكون نخلة باسقة تمسك بها الجذور ولا تتأثر لهبوب الرياح وتؤتى أشهى الثمار وأنفعها .. وأنظر الى التنوع والتمايز فى الثمرة الواحدة حجما ولونا ومذاقا على الرغم من كونها من نوع واحد وفى أرض واحدة وتسقى بماء واحد وترى بعضها يؤكل باطنه ويرمى ظاهره وبعضها الآخر يؤكل ظاهره ويرمى باطنه .. ولو نظرت الى بساتين

---

(١) النحل (٦٦)
(٢) تفسير الكشاف (٤١٦/٢)

الأعناب والنخيل وسائر الاشجار لرأيت العجب العجاب فى صنع الله تعالى اذ كيف نمت تلك الأغصان وتفرعت هذه الفروع وتفايرت تلك الثمار وتشكلت هذه الالوان وتنوعت هذه المذاقات .. ؟

لا ريب انها الآيات الباهرة والدلائل الملموسة التى خاطب بها القرآن الكريم الفطر السليمة ، فهل من متدبر وهل من مجيب ؟

ولقد نبه الله تعالى أن المقصود الأول من هذه النباتات انما هو للدلالة على معرفة وجوده ووحدانيته وكمال علمه وقدرته يقول تعالى : (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون) (١)

ويقول تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (٢)

وعن الزوجية فى النبات قال تعالى : (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٣)

قال ابن الجوزى (٤) : (وجعل فيها زوجين) أى نوعين ، والزوج الواحد الذى له قرين من جنسه ، قال المفسرون : ويعنى بالزوجين : الحلو والحامض ، والعذب والملح ، والابيض والاسود .

---

(١) الانعام (٩٥)
(٢) " (٩٩)
(٣) الرعد (٣)
(٤) زاد المسير (٤/٣٠٢)

أقول وهذا لا يمنع من أن يكون ذكراً وانثى طبق سنته الحكيمة .

قال المراغى : [١] " أى وجعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرا وأنثى حين تكونها ، فقد أثبت العلم حديثا أن الشجر والزرع لا يولدان التمر والحب الا من اثنين ذكر وانثى ، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث فى شجرة واحدة كأغلب الأشجار ، وقد يكون عضو التذكير فى شجرة وعضو التأنيث فى شجرة أخرى كالنخل ، وما كان العضوان فيه فى شجرة واحدة اما أن يكون معا فى زهرة واحدة كالقطن ، واما أن يكون كل منهما فى زهرة كالقرع مثلا " .

وأما ما جاء فى ظلال القرآن لسيد قطب [٢] بأن هذه " حقيقة لم تعرف للبشر من طريق علمهم وبحثهم الا قريبا وهى أن كل الاحياء تتألف من ذكر وأنثى ، حتى النباتات التى كان مظنونا أن ليس لها من جنسها ذكور تبين أنها تحمل فى ذاتها الزوج الآخر ، فتضم أعضاء التأنيث مجتمعة فى زهرة أو متفرقة فى العود .

فلعل مراده من اكتشاف التذكير والتأنيث فى عموم النباتات والا فان الأصل معروف قديما كما فى عملية تأبير النخل .

وقد اشار الى هذه الملاحظة الدكتور على ناصر فقيهى فى كتابه مناهج القرآن فى الدعوة الى الايمان [٣] وجاء فى قصة الايمان لنديم الجسر : [٤]

" يقول العلماء والعجب يأخذ منهم مأخذه ، ان نظام الزوجية مطرد وشامل

---

(١) تفسير المراغى (١٣/٦٦)

(٢) فى ظلال القرآن (٥/ ٧١ — ٧٢)

(٣) مناهج القرآن فى الدعوة الى الايمان (ص ٦٠) الطبعة الأولى .

(٤) قصة الايمان (ص ٣٧٧)

لجميع الاحياء من الحيوانات ، والنباتات كلها بطريقة واحدة ونسق واحد " .

ثم ينقل الجسر تقريبا عن " هنرى برغسون " فى نفى المصادفة فى ذلك التماثل والاطراد الشامل فى نظام الزوجيه لجميع الاحياء من الحيوانات والنباتات ، اذ كيف اتفق ان اخترع الحيوان الذكورة والأنوثة ووفق النبات الى الطريقة نفسها وبالمصادفة نفسها ؟

(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) (١) .

وبين القرآن الكريم ان اختلاف النباتات فى الطعم رغم الاتحاد فى التربة والماء من العلامات الباهرة لمن عقل وتدبر قال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٢)

وفى معنى ذلك قال الطبرى : (٣) " الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، بعضها حلو ، وبعضها حامض ، وبعضها أفضل من بعض مع اجتماعها على شراب واحد " .

وقال تعالى : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٤)

---

(١) يس (٣٦)
(٢) الرعد (٤)
(٣) تفسير الطبرى (١٣/ ٩٨)
(٤) النحل (١٠ — ١١)

قال أبو حيان : (١) " ختم الآية بقوله (يتفكرون) لأن النظر فى ذلك يحتاج الى فضل تأمل ، واستعمال فكر ، ألا ترى أن الجنة الواحدة اذا وضعت فى الأرض ومر عليها زمن معين لحقها من نداوة الأرض ما تنتفخ به فيشق أعلاها فتصعد منه شجرة الى الهواء ، وأسفلها يغوص منه فى عمق الأرض شجرة أخرى وهى العروق ، ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج الأوراق والأزهار ، والأكمام والثمار ، المشتملة على أجسام مختلفة الطبائع والألوان والأشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى " .

وقال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) . (٢)

---

(١) البحر المحيط (٥/٤٧٩)

(٢) الزمر (٢١)

الفصـــل الثـــــانى

اقامة الحجج والبراهين على المشركين

ويشتمل على ما يلى :

١ ـ الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ اسئلة فى افحامهم .

٣ ـ الاحتجاج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية واقرارهم بتوحيد الالهية عند الشدائد .

٤ ـ الدعوة عن طريق السؤال والجواب .

٥ ـ امثلة من البراهين العقلية على وحدانية الله .

٦ ـ الاستدلال بالمتقابلات .

٧ ـ ضرب الامثال .

٨ ـ الجدل .

٩ ـ تعجيزهم عن الأتيان بدليل عقلى أو نقلى يقر عبادتهم .

١ - الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم :-

ومن أقوى الأدلة التى أقامها القرآن الكريم على الناس عموما والمشركين خصوصا ثبوت صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه مرسل من ربه تبارك وتعالى ثبوتا لا يحتمل الشك والمراء من وجوه عديدة منها :

أ - شهادة الله له :-

قال تعالى : (قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون) .(١)

ومعنى الآية الكريمة أن الله تعالى يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين أى شىء أعظم شهادة حتى يشهد لى بأنى صادق فى دعوتى لكم للايمان بنبوتى ؟ فان أجابوك والا فقل لهم الله يشهد لى بصدق ما ادعو اليه وكفى بشهادة الله لى .

ب - وجود صفته فى كتب أهل الكتاب :-

ان أهل الكتاب كانوا يجدونه موصوفا عندهم فى التوراة والانجيل بصفاته الكاملة قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .(٢)

وقال تعالى : (... ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى

---

(١) الأنعام / ١٩ .

(٢) البقرة / ١٤٦ .

الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ...) .[1]
وقال تعالى : (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) .[2]
وصفات الرسول صلى الله عليه وسلم لا تزال توجد فى كتب أهل الكتاب - العهد القديم والعهد الجديد - رغم دخول التحريف والتبديل على هذه الكتب .[3]

ج - شهادة اليهود له :-

وقد كان اليهود يستفتحون بالرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين من العرب قبل البعثة قال تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .[4]

ذكر ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور .. يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : (ولما جاءهم كتاب من عند الله

---

(١) الأعراف / ١٥٦ - ١٥٧ .
(٢) الشعراء / ١٩٧ .
(٣) انظر فى هذا اظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك زاده ، الأجوبة الفاخرة لشهاب الدين القرافى وغيرها .
(٤) البقرة / ٨٩ .

مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . .)الاية. [1]

وروى الامام أحمد في مسنده [2] عن سلمة بن سلامة رضى الله عنه - وكان من أصحاب بدر - قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل ، قال فخرج علينا من بيته قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ - أحدث من فيه سنا - على بردة مضطجعا بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له : ويحك يافلان ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال نعم ، والذى يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غدا ، قالوا : له ويحك وما آية ذلك ؟ قال : نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا ، فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه ، قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا ، فقلنا ويلك يا فلان ألست بالذى قلت لنا ما قلت ؟ قال : بلى وليس به " .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٥٤٧/١ ، تفسير الطبرى ٤١٠/١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٨٣/٣ ، أسباب النزول للسيوطى ص ٢١ .

(٢) مسند أحمد ٤٦٧/٣ ، قال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع ، انظر مجمع الزوائد ٢٣٠/٨ وصححه ابن حبان .

د - شهادة النصارى له :-

وكذلك كان النصارى يترقبون مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر الله عز وجل أن المسيح بن مريم عليه السلام قد بشر بنى اسرائيل ببعثه صلى الله عليه وسماه لهم فى قوله تعالى : (واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) . (١)

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن أحمد من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ما رواه البخارى ومسلم(٢) عن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ان لى أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب " .

ومن ذلك ما ثبت فى الصحيحين (٣) من حديث ورقة بن نوفل الذى ترويه عائشة رضى الله عنها فى بدء الوحى : (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو

---

(١) الصف / ٦ .

(٢) أخرجه البخارى بشرح الفتح ٦/٥٥٤ ، كتاب المناقب ، باب ما جاء فى اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ٨/٦٤٠ كتاب التفسير باب قوله تعالى : (يأتى من بعدى اسمه أحمد) ، وصحيح مسلم ٤/١٨٢٨ كتاب الفضائل باب فى اسمائه صلى الله عليه وسلم.

(٣) صحيح البخارى ١/٣ - ٤ كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم ١/١٣٩ ومابعدها كتاب الايمان ، باب بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث ٢٥٢ .

بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ... الى أن قالت : " فأتت به خديجة ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الانجيل ما شاء الله أن يكتب ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة : " هذا هو الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا " ثم لم ينشب (١) ورقة أن توفى .

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين (٢) أيضا من حديث أبي سفيان عند ما استدعاه هرقل في بلاد الشام قال في آخر حديثه : " وقد كنت أعلم أنه خارج (نبي) ولم أكن أظنه منكم ولو أعلم أني أخلص اليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي " .

ومن ذلك ما رواه أبو داود (٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق الى أرض النجاشي فذكر حديثه ، قال النجاشي : " اشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال ابن الاثير :
لم ينشب : أى لم يلبث : وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره ولا اشتغل بسواه " النهاية ٥/٥٢ .

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح ١/٣٢ ، كتاب الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم ٣/١٣٩٣ كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل .. .

(٣) سنن أبي داود ٣/٥٤٣ كتاب الجنائز ، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك ، تعليق الدعاس ، وعادل السيد .

وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى احمل نعليه " .

ومن ذلك حديث سلمان الفارسى [1] رضى الله عنه قال : " كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية منها يقال لها جبى ، وذكر الحديث الى أن قال فى قصته مع الرهبان النصارى فالى من توصى بى وماتأمرنى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه أصبح على ماكنا عليه أحد من الناس آمرك أن تتبعه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ...".

هـ - شهادة مشركى العرب له بالصدق والامانة :-

لقد حفظ لنا التاريخ صحيفة بيضاء لحياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، ومما حفظ لنا التاريخ أنه صلى الله عليه وسلم اشتهر بالصدق والأمانة ، وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين [2]

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٥/٤٤١ ومابعدها ، وانظر دلائل النبوية للبيهقى ١/٣٤٨ .
قال ابن حجر : " ورويت قصته من طرق كثيرة من أصحها ما أخرجه أحمد من حديثه نفسه ، وأخرجها الحاكم من وجه آخر عنه أيضا ، وأخرجه الحاكم من حديث بريدة وعلق البخارى طرفا منها " الاصابة ٢/٦٢ .

(٢) انظر قصة الحجر الأسود فى سيرة ابن هشام ١/١٩٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٣٠٣ ، وقصة المغيرة والمقوقس فى دلائل النبوة لأبى نعيم الاصبهانى ص ٤٩ والجواب الصحيح لمن بدل ==

وكانوا يضعون عنده أماناتهم لما يعلمونه من صدقه وأمانته .[١]

وكان رأيهم هذا يعد اجماعا منهم فيه صلى الله عليه وسلم ، يؤيد ذلك ما رواه البخاري ومسلم[٢] في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت "(وانذر عشيرتك الأقربين)[٣] صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي " يابني فهر يابني عدي " لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟" قالوا : نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال : " اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) فتأمل قولهم : " ما جربنا عليك الا صدقا " معنى ذلك انهم لم يحفظوا عنه كذبة واحدة قبل أن يقول لهم ذلك القول والا لذكروها له ، وشهد أبو سفيان - قبل أن يسلم - أمام هرقل بصدقه صلى الله عليه وسلم " قال هرقل : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال ابو سفيان : لا ...".[٤]

== دين المسيح لابن تيمية ٩٩/١ ، واسمائه صلى الله عليه وسلم في الخصائص الكبرى للسيوطي ١٩٣/١ .

(١) انظر قصة تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الهجرة في مكة من أجل تأدية الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في تاريخ الطبري ٣٧٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح ٧٣٧/٨ ، كتاب التفسير ، سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٨٣/٣ .

(٣) سورة الشعراء/ ٢١٤ .

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح ٣٢/١ ، كتاب بدء الوحي ، ==

كما شهد أمية بن خلف وزوجته قائلا كل منهما : " فوالله ما يكذب محمد اذا حدث ". (١)

لقد قالوا ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم فيالها من شهادة .

و - اخبار الجن عنه صلى الله عليه وسلم : -

روى البخاري في صحيحه (٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ما سمعت عمر لشيء قط يقول انى لأظنه كذا الا كان كما يظن ، بينما عمر جالس اذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظني ، أو ان هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى له فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم ، قال : فاني أعزم عليك الا ما أخبرتني قال : كنت كاهنهم في الجاهلية ، قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟ قال : بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت : ألم تر الجن وابلاسها (٣) ويأسها (٤)

== ومسلم ٣/١٣٩٣ ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل .

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح ٦/٦٢٩ كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، وأحمد في المسند ١/٤٠٠ .

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح ٧/١٧٧ ، كتاب مناقب الانصار ، باب اسلام عمر .

(٣) ابلاسها وفي رواية " تجساسها " أي أنها فقدت أمرا فشرعت تفتش عليه . الفتح ٧/١٨٠ .

(٤) المراد به اليأس ضد الرجاء . الفتح ٧/١٨٠ .

من بعد انكاسها [1] ولحوقها بالقلاص [2] واحلاسها [3] ؟ قال عمر : صدق بينما أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا أشد منه يقول : يا جليح [4] ، أمر نجيح [5] ، رجل فصيح يقول : لا اله الا أنت فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح ، أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا اله الا الله ، فقمت ، فما نشبنا أن قيل هذا نبى " .

ز - معجزاته :-

" ومعنى الاعجاز فى اللغة الفوت والسبق ، يقال : أعجزنى فلان ، أى فاتني .. قال الليث : " أعجزنى فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه " [6] " والعجز فى التعارف : اسم للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة " [7] قال تعالى : (.. أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) . [8]

---

(١) الانكاس : الانقلاب . الفتح ٧/١٨٠ .
(٢) القلاص : الفتية من النياق . الفتح ٧/١٨٠ .
(٣) الاحلاس : ما يوضع على ظهور الابل تحت الرحل .
الفتح ٧/١٨٠ .
(٤) الجليح : معناه الوقح المكافح بالعداوة . الفتح ٧/١٨١ .
(٥) يقال : نجح فلان ، وأنجح ، اذا أصاب طلبته .
النهاية لابن الاثير ٥/١٨ .
(٦) لسان العرب ٥/٣٧٠ .
(٧) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٢٢ .
(٨) المائدة /٣١ .

والمعجزة في الاصطلاح : هي الأمر الخارق للعادة المقـــرون بالتحدى السالم عن المعارضة .(١)

والمراد بالاعجاز هنا : هو اظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة باظهار عجز العرب بل الناس جميعا عن معارضته في معجزته الخالدة - وهي القرآن الكريم - وعجز الاجيال من بعدهـــم الى قيام الساعة .

فالقرآن الكريم قد جاء يحاج العقل البشرى ويتحداه الى الأبد ، بعلومه ومعارفه ، واسلوبه ، وبلاغته ، واخباره الماضية والمستقبلة ، وهـذا بخلاف معجزات الأنبياء السابقين ، وعلامات صدقهم ، فانها كانـــت محسوسة شاهدة ، وكانت من جنس ما اشتهر به أقوامهم ، وهــذا ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :(٢)

" ما من الأنبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الـــذى أوتيت وحيا أوحاه الله الى فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ".

وبيان ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث في قوم بلغ فيهم البيان العربي أوج عزته ، وتفننت لديهم ضروب الفصاحة والبلاغة الـــى أرقى الأساليب وأوضح بيان عرفته الدنيا ، فجاء القرآن الكريم كلامـــا معجزا وأفكارا حية نابضة خالدة بخلود الزمن ، في المبـــادئ ، والأخلاق ، والعقائد ، ومناقشة المبطلين والرد عليهم ، واقامة الحجج والبراهين على أن مادعوا اليه صدق وعدل ، والرسول صلى الله عليـــه وسلم مع ذلك رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة ولم يدرس في مدرسة

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/١٤٨ .

(٢) صحيح البخاري ٦/٩٧ كتاب الفضائل ، باب كيف نزول الوحـــى وأول ما نزل - المكتبة الاسلامية ، استانبول .

أو يتعلم علومه فى جامعة .. ولم يثبت عنه أنه تلق شيئا من العلوم والمعارف من بعض العلماء أو المبرزين فى صنوف الثقافة والمعرفة ، ولم يتصل بأحد من علماء أهل الكتاب حتى يطلع على أخبار الأنبياء السابقين .

ومع ذلك فقد تحدى النبى صلى الله عليه وسلم العرب خاصة والناس عامة بالقرآن الكريم على ثلاث مراحل :

١ - تحداهم على أن يأتوا بمثله وامهلهم سنين طويلة فلم يقدروا كما قال تعالى : (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) . (١)

كما ورد التحدى بالقرآن الكريم كله ، قال تعالى : (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين) .(٢)

لقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم ، فاذا لم يستجيبوا لدعوته ، فانما هم أناس متعنتون ، يعبدون الهوى ويسيرون على غير هدى .

٢ - فلما عجزوا عن ذلك تحداهم بعشر سور من مثله مفتريات قال تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) . (٣)

٣ - وبعد عجزهم عن ذلك تحداهم بالاتيان بسورة واحدة مثله فى قوله تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله

---

(١) الطور / ٣٤ .
(٢) القصص / ٤٩ .
(٣) هود / ١٣ - ١٤ .

وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) .[1]

وكرر هذا التحدى فى قوله تعالى : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) .[2]

ولهذا النزول فى التحدى الى الاتيان بسورة واحدة ولو بأقصر السور ، ولم يتقدم واحد منهم الى حلبة الميدان رغم أنهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة ، ثبت عجزهم ، وظهر اعجاز القرآن الكريم ، وصدق النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الجن والأنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .[3]

وقد ظل القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، وسيظل بأذن الله ما بقى الدهر يتحدى سائر الأمم عن الاتيان بمثل سورة واحدة من سوره ، وما ذلك الا لأنه كلام رب العالمين .

وهناك معجزات أخرى كثيرة كانشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ومعراجه الى السماء ، الى سدرة المنتهى ، وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس ، واجابة دعائه ونبع الماء من بين أصابعه وأخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلة التى لا يعلمها أحد الا بتعليم من الله تعالى .. هذا وقد ذكر الامام النووى فى مقدمة شرح مسلم ان معجزات

---

(١) يونس / ٣٨ .

(٢) البقرة / ٢٣ - ٢٤ .

(٣) الاسراء / ٨٨ .

النبى صلى الله عليه وسلم تزيد على الألف والمائتين . (١)

والاسترسال فى هذا الموضوع يخرجنا عن المقصود ومن أراد التوسع فعليه بكتب دلائل النبوة . (٢)

* * *

---

(١) انظر مقدمة شرح النووى على مسلم ١ / ٢ .

(٢) من هذه الكتب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للحافظ ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، القسم الأول طبع بمطبعة دار النصر للطباعة ، القاهرة ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، والقسم الثانى مخطوط بالجامعة الاسلامية تحت رقم (٢٥٩٣) .

وهناك دلائل النبوة لأبى نعيم الاصبهانى واعلام النبوة للماوردى الشافعى وكلاهما مطبوع .

٢ - اسئلة تفحم المشركين :-

ومن الحجج التى أقامها القرآن الكريم على المشركين استجوابهم عن أمور لا يمكنهم انكارها كالرزق والحواس وأحوال الموت والحياة وشئون التدبير .

قال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ، كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، قل هل من شركائكم من يبدوأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ، قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ، وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) .(١)

فهذه الآيات الكريمة قد اشتملت على استجواب المشركين عن أربعة أمور لا يمكنهم انكارها ، وذلك ان الكلام اذا كان واضحا جليا ، ثم ذكر على سبيل السؤال والاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل كان ذلك أبلغ وأوقع فى قلب السامع .

وهذه الأمور هى : أحوال الرزق ، وأحوال الحواس ، وأحوال الموت والحياة ، وتدبير الأمر .(٢)

---

(١) سورة يونس / ٣١ - ٣٦ .

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٧/٧٦ .

فأما الأمر الأول : فهو السؤال عن مسبب الارزاق ، وذلك أن الرزق انما يحصل من السماء والأرض ، أما من السماء فبنزول الأمطار كما قال تعالى : (... واختلاف الليل والنهار وما أنزل من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) .(١)

وقال تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) .(٢)

وأما الرزق من الأرض فلأن الغذاء اما أن يكون نباتا أوحيوانا ، أما النبات فلا ينبت الا من الأرض ، وأما الحيوان فهو محتاج الى الغذاء فلزم القطع بأن الارزاق لا تحصل الا من السماء والأرض ، ومعلوم أن مدبر السموات والأرض ليس الا الله سبحانه وتعالى ، فثبت ان الرزق ليس الا من الله تعالى .(٣)

وأما الأمر الثانى : فهو أحوال الحواس ومن أهمها واشرفها السمع والبصر كما قال تعالى : (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) .(٤)

وقال تعالى : (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) .(٥)

---

(١) الجاثية /٥ .

(٢) عبس /٢٤ - ٣٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٧/ ٨٦ بشئ من التصرف .

(٤) الأنعام /٤٦ .

(٥) الملك /٢٣ .

وكان على رضى الله عنه يقول : " سبحان من بصر بشحم ،وأسمع بعظم ، وأنطق بلحم ". (١)

وأما الأمر الثالث : فهو أحوال الموت والحياة فى قوله تعالى : (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) .

قال الامام القرطبى (٢): " أى النبات من الأرض ، والانسان من النطفة ، والسنبلة من الحبة ، والطير من البيضة ، والمؤمن من الكافر " .

وقال الامام ابن كثير عند قوله تعالى :" تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) (٣) أى تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع ، والنخلة من النواة والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وماجرى هذا المجرى من جميع الأشياء ". (٤)

أما الأمر الرابع:فهو قوله (ومن يدبر الأمر) وذلك لأن أقسام تدبير الله تعالى فى العالم العلوى وفى العالم السفلى ، وفى عالم الأرواح والأجساد أمور لا نهاية لها ، وذكر كلها كالمتعذر فلما ذكر تعالى بعض تلك التفاصيل ، لاجرم عقبها بالكلام الكلى ليدل على الباقى.(٥)

---

(١) التفسير الكبير للخر الرازى ٨٦/١٧ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٣٣٥/٨ .

(٣) آل عمران/٢٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧١/١ .

(٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٧/ ٨٧ .

فهذه الآيات الكريمة تبين لنا أن استجواب المشركين عن هذه الأمور الأربعة يهدف الى الزامهم بما يعترفون به حقيقة ، وبما فطرت عليه نفوسهم من الايمان بما تحس وما يحصل عندها من بداهة الى حد الضرورة ، ولهذا عندما سئل المشركون هذا السؤال لم يكن بد من الاعتراف بما يعتقدونه من وجود الله تعالى وتدبيره لشئون خلقه ، اذ لا مجال للعناد والمكابرة في شيء من ذلك لغاية وضوحه .

ومما يؤيد اعترافهم واقرارهم بربهم الأعلى الذى يلجأون اليه في الرغبة والرهبة ما رواه الترمذى عن عمران أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحصين (1) : " كم الها تعبد قال سبعة ، ستة في الأرض ، وواحد في السماء ، قال من لرهبتك ورغبتك قال الذى في السماء ، قال فاترك الستة واعبد الذى في السماء ، وأنا أعلمك دعوتين " فأسلم ، وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول : اللهم الهمنى رشدى وقنى شر نفسى " .

ومن تقرير وحدانية الله تعالى واستقلاله بالملك والتصرف عن طريق السؤال الذى لا محيد لهم فيه عن الجواب الصحيح .

قوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ،سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) . (2)

---

(1) الجامع الصحيح للترمذى ٥/٥١٩ - ٥٢٠ كتاب الدعوات ، باب جامع الدعوات .

(2) سورة المؤمنون / ٨٥ - ٩٠ .

ففي هذه الآيات الكريمة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين لمن الأرض وما فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات ؟ ومن المالك لها والمتصرف فيها بالايجاد والافناء ؟

فان كان لديكم علم بذلك فاخبروني به .

ستجد أنهم عند ذلك ينطقون بالحق وهو أن ذلك لله وحده، فاذا كان ذلك فقل لهم (أفلا تذكرون) أى أفلا تعتبرون أنه لا تنبغي العبادة الا للخالق الرازق المحي المميت .

وقل لهم : (من رب السموات ورب العرش العظيم) أى من هو خالق السموات الطباق بما في ذلك الشموس والكواكب والأقمار ومن هو خالق العرش الكبير الذى تحمله الملائكة الاطهار ؟

ستجد أنهم يقولون الله وحده ، فقل لهم يا محمد (أفلا تتقون) أى أفلا تخافون من عذابه فتوحدونه وتتركون عبادة غيره .

ثم قل لهم (من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أى من بيده الملك الواسع ؟ ومن بيده خزائن كل شيء ؟ ومن هو المتصرف في هذه الأكوان بالخلق والايجاد والتدبير ؟ وهو مع ذلك يحمي من استجار به والتجأ اليه .

" وكانت العرب اذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لئلا يفتات عليه " . (١)

ان المشركين عند ذلك "(سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون) أى اذا كنتم تقرون بأن الملك والتدبير كله لله جل وعلا فكيف تخدعون وتعرضون عن طاعته وتوحيده .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٦٦ .

قال أبو حيان [1] : " والسحر هنا مستعار وهو تشبيه لما يقع منهم من التخليط ، ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها بما يقع للمسحور من التخبط والتخليط " .

وقال صاحب كتاب التسهيل [2] : " ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولا أفلا تذكرون ،ثم قال ثانيا أفلا تتقون ، وذلك أبلغ لأن فيه زيادة تخويف ، ثم قال ثالثا فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره " .

وقال القرطبي [3] : " ودلت هذه الآيات على جواز جدال الكفار واقامة الحجة عليهم ،ونبهت على أن من ابتدأ بالخلق والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق للألوهية والعبادة " .

ثم قال تعالى : (بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) وهو اعلام من الله تعالى بأنه لا اله غيره ، وقد قامت الأدلة الصحيحة الواضحة على ذلك ، وان المشركين لا يفعلون ذلك عن دليل ، وانما يتبعون الافك والضلال طريق آبائهم واسلافهم في الجهل والتقليد .

* * *

---

(١) البحر المحيط ٤١٨/٦ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ١١٩/٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/١٢ .

٣ - الاحتجاج على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية واقرارهم بتوحيد الالهية عند الشدائد :-

أ - اقرارهم بتوحيد الربوبية :-

من أقوى الأدلة التى أقامها القرآن الكريم على المشركين فى تقرير وحدانية الله تعالى اعتراف المشركين بأن الله تعالى هو المستقل بخلق وتدبير ما فى الكون من سماء وأرض ، وشمس وقمر ، وليل ونهار ، وسحاب وأنهار ، وأنعام وحيوان ، ونبات وازهار . . . وأنه الخالق الرازق المالك لعباده ومقدر ارزاقهم وآجالهم .

جاء هذا الاعتراف والاقرار فى آيات كثيرة منها : قوله تعالى : "(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) . (١)

وقوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون) . (٢)

ويقول سبحانه : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) . (٣)

ويقول تعالى : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد

---

(١) يونس / ٣١ .

(٢) المؤمنون / ٨٤ - ٨٩ .

(٣) العنكبوت / ٦١ .

موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلـــون) . [١]

يقول سيد قطب رحمه الله عند تعرضه للآيات المتقدمة من ســورة العنكبوت [٢] : " هذه الآيات ترسم صورة لعقيدة العرب فيما قبـــل الاسلام ، وتوحى بأنه كان لها أصل من التوحيد ، ثم وقع فيهـــا الانحراف ، ولا عجب فى هذا فهم من أبناء اسماعيل بن ابراهـــيم عليهما السلام ، وقد كانوا بالفعل يعتقدون أنهم على دين ابراهـــيم وكانوا يعتزون بعقيدتهم على هذا الأساس ، ولم يكونوا يحفلون كثيرا بالديانة الموسوية أو المسيحية وهما معهم فى الجزيرة العربية اعـــتزازا منهم بأنهم على دين ابراهيم ، غير منتبهين الى ما صارت اليه عقيدتهم من التناقض والانحراف ، وكانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ، ومنزل الماء من السماء ، ومحى الأرض بعد موتها بهذا الماء .. يقرون أن صانع هذا كله هو الله ، ولكنهم مع هـــذا يعبدون أصنامهم ، أو يعبدون الجن ، أو يعبدون الملائكة ، ويجعلونهم شركاء لله فى العبادة ، وان لم يجعلوهم شركاء له فى الخلق .. وهـــو تناقض عجيب ... " .

والحق أن المتأمل فى القرآن العظيم يجد أن أكثر ما دار الحـوار بين الأنبياء وأممهم انما هو فى اثبات الوحدانية لله تعالى ، والا فان الاقرار بوجود الله تعالى والاعتراف به خالقا رازقا مدبرا أمر فطـــرى فى النفوس البشرية ، الا اذا انتكست تماما ، ولهذا قالت الرســـل لأقوامهم المكذبة بأرسالهم اليهم : (أفى الله شك فاطر الســماوات

---

(١) العنكبوت / ٦٣ .

(٢) فى ظلال القرآن ٦/ ٤٢٨ .

والأرض ...) (١) وقد قالوا لهم ذلك على وجه الاستفهام الانكـــارى والتوبيخ لأن وجود الله ووحدانيته أمر لا يحتمل الشك لظهور الأدلة القاطعة والبراهيـن الساطعة على ذلك .

وفى كل شىء له آية تدل على انه الواحد . (٢)

أما قول ذلك المارد (النمرود بن كنعان) الذى جادل ابراهيم عليه السلام فى ربه كما ذكر الله تعالى قصته فى قوله تعالـــــى : (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحى وأميت قال ابراهيم فــان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الـــــذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) . (٣)

فقد حمله بطره وطغيانه وكفره بنعم الله عليه بأن ادعى لنفسه مماثلــة اله ابراهيم فى الاحياء والاماتة ، حيث فسر الاحياء بالعفو عمـــــن يستطع قتله ،والاماته بمن يستطع اعدامه ، ومن هنا فان ابراهيم عليه السلام قطع حجته الواهية بأن الله تعالى يأتى بالشمس من المشرق ، فعليه هو أن كان ربا صادقا مثل اله ابراهيم أن يأتى بالشمس من المغرب ولو مرة واحدة ؟ فعند ذلك أخرس ذلك الفاجر بالحجــــــة القاطعة وأصبح مبهوتا لا يستطيع أن ينطق بكلمة .

وكذلك ما ادعاه فرعون من الربوبية والالهية كما حكى الله تعالــى ذلك عنه فى قوله : (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) (٤)

---

(١) ابراهيم / ١٠ .

(٢) احياء علوم الدين للغزالى ١/ ١٤١ .

(٣) البقرة / ٢٥٨ .

(٤) القصص / ٣٨ .

وقوله : (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) (١) فقد وضح القرآن الكريم أن فرعون وملأه قد عرفوا الحق فى أنفسهم ولكن منعهم الكبر والطغيان عن اتباعه قال تعالى : (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا).(٢)

وأما ما حكاه الله تعالى عن الدهريين فى قوله تعالى : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون). (٣)
فهم قلة ممن فسدت فطرتهم فانحرفوا عن اتباع الحق ومسلك العقلاء، وليس عندهم دليل على دعواهم سوى الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا ، ومن هذا يتبين لنا أن الاقرار بتوحيد الربوبية هو حجة ملزمة على المشركين ، لأنه اذا كان الله تعالى هو رب كل شىء ومليكه ، وهو الخالق الرازق وحده ، فلماذا يعبدون غيره معه ؟ وهم مع ذلك يعترفون أن تلك المعبودات لا تملك لهم منعا ولاعطاء، ولا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فكيف تملك ذلك لغيرها ؟!

ب - اقرارهم بتوحيد الالهية عند الشدائد :-

وأما اقرار المشركين بتوحيد الالهية والتجاؤهم الى الله تعالى وحده عند الشدة والكرب وتركهم كل ما كانوا يدعونه من دون الله من الأصنام والأنداد وغيرها ، فقد ثبت ذلك عنهم فى آيات كثيرة منها :

---

(١) النازعات / ٢٣ - ٢٤ .
(٢) النمل / ١٣ - ١٤ .
(٣) الجاثية / ٢٤ .

.. قوله تعالى : (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) .(١)

ونذكر فى هذا الصدد ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا (٢) فى تفسير هذه الآيات :

" والمعنى قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المكذبين . . .

أخبرونى عن رأيكم أو عن مبلغ علمكم فى ذلك ان أتاكم عذاب الله الذى نزل بمن كان من أقوام الرسل قبلكم ، كالريح الصرصر العاتية ، والصاعقة أو الرجفة القاضية ، ومياه الطوفان المغرقة ، وحرارة الظلمة المحرقة ، أو أتتكم الساعه بمقدمات أهوالها ، أو ما يلى البعث من خزيها ونكالها ، أغير الله فى هذه الحالة تدعون ؟ أم الى غيره فيها تجأرون ؟ ان كنتم صادقين فى دعواكم ألوهية هؤلاء الشركاء ، الذين اتخذتموهم أولياء ، وزعمتم انهم فيكم شفعاء ، أو ان كان من شأنكم الصدق فأخبرونى أغير الله تدعون اذا أتاكم أحد هذين الأمرين ؟ اللذين يحلو دونهما طعم الأمرين ؟

. . . ثم أجاب تعالى مخبرا اياهم عما تقتضيه فطرتهم فقال : (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) أى لا تدعون غيره لا وحده ولا معه ، بل تخصونه وحده بالدعاء ، فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء وتنسون ما تشركون الآن من الشفعاء والأنداد ، لأن الفزع اليه سبحانه عند شدة الضيق واليأس من الأسباب مركوز فى فطرة البشر

---

(١) الأنعام / ٤٠ - ٤١ .

(٢) تفسير المنار ٧ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .

تنبعث اليه بذاتها كما تنبعث الى طلب الغذاء عند الجوع مثلا".

قال الزجاج [1] : " اعلمهم أنهم لا يدعون فى الشدائد الا اياه ، وفى ذلك أعظم الحجج عليهم ، لأنهم عبدوا الأصنام " .

وقال تعالى : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ، قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) . [2]

ففى هذه الآيات الكريمة نرى القرآن الكريم يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بمحاكمة المشركين المعاندين الى ما تنطق به فطرتهم التى تعرف حقيقة الألوهية ، وتلتجىء الى الهها الحق فى ساعة الشدة والضيق والحرج حين يعانون فى اسفارهم أهوال البر والبحر ، فانهم لا يتوجهون فى تلك اللحظات الى صنم ولا الى كوكب ولا الى ملك ولا الى جنى ولا الى غير ذلك ، وانما يتوجهون الى الله وحده مخلصين له الدين سرا وجهرا ويعدون الله تعالى اذا انجاهم من تلك الضائقة أن يكونوا من المؤمنين الشاكرين ، ولكنهم بعد نجاتهم وأخذهم على أنفسهم بالشكر لله تعالى يعودون الى الشرك مرة أخرى .

ويماثل معنى الآيات السابقة قوله تعالى : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان

---

(١) زاد المسير ٣/٣٧ .

(٢) الأنعام / ٦٣-٦٥ .

وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ، فلما نجاهم اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) . (١)

وقوله سبحانه وتعالى : (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) . (٢)

وقوله عز وجل : (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضرفاليه تجأرون ، ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) . (٣)

وقوله عز من قائل : (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون) . (٤)

وقوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) . (٥)

وقال سبحانه وتعالى : (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) . (٦)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن ما تقلده المشركون من الشرك انما هو أمر عارض وشيء طارئ يشغل اذهانهم ومخيلاتهم

---

(١) يونس / ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الاسراء / ٦٧ .

(٣) النحل / ٥٣ - ٥٥ .

(٤) النمل / ٦٢ .

(٥) العنكبوت / ٦٥ .

(٦) الزمر / ٨ .

في وقت الراحة والرخاء ، أما اذا نزل بهم ما لا يطاق من اللأواء وشدة الفزع فانهم يجأرون بالدعاء الى الله وحده مخلصين له الدين وضل عنهم كل ما كانوا يدعونه من الأصنام والأوثان ، لأن هذا دعاء القلب والفطرة لا دعاء اللسان والتقليد الأعمى .

* * *

٤ - الدعوة عن طريق السؤال والجواب :-

ومن تنويع أساليب القرآن الكريم فى الاحتجاج على المشركين والتفنن فى دعوتهم الى توحيد الله تعالى - حتى لا يسأموا - استعمل معهم أسلوب الدعوة الى التوحيد عن طريق السؤال والجواب .

قال تعالى : (قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) . (١)

ومعنى قوله : (قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله) أى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الجاحدين لرسالتك المعرضين عما جئتهم به من أمر التوحيد والبعث والجزاء ، لمن هذه المخلوقات فى العالم كله علويه وسفليه ؟ لمن الكائنات جميعا فى السموات والأرض خلقا وملكا وتصرفا وتدبيرا ؟ قل لهم تقريرا وتنبيها والزاما هى لله تعالى وحده ، لأنهم يوافقون ويقرون بذلك ولا يستطيعون انكاره اما باعترافهم أو بقيام الحجة عليهم .

وقد جزم صاحب الكشاف بأن السؤال للتبكيت وان قوله تعالى : (قل لله) تقرير لهم ، أى هو لله لا خلاف بينى وبينكم فى ذلك ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه الى غيره . (٢)

وقال الرازى (٣) : " أمره بالسؤال أولا ثم بالجواب ثانيا ، وهذا انما يحسن فى الموضع الذى يكون الجواب فيه قد بلغ فى الظهور الى حيث لا يقدر على انكاره منكر ، ولا يقدر على دفعه دافع " .

---

(١) الأنعام / ١٢ .

(٢) الكشاف ٢/ ٧ .

(٣) الفخر الرازى ١٢/ ١٦٤ .

ومن الآيات التي وردت في اثبات الوحدانية عن طريق السؤال والجواب قوله تعالى : (قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ...). (١)

قال القرطبي (٢) : "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : (قل من رب السموات والأرض) ثم أمره أن يقول لهم هو الله الزاما لهم للحجة ان لم يقولوا ذلك وجهلوا من هو."

وقال تعالى : (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ، ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) . (٣)

ان الناس يشتاقون الى مشرق الصبح حين يطول بهم ليل الشتاء ويحنون الى ضياء الشمس عندما تتوارى عنهم فترة وراء السحاب فكيف بهم لو فقدوا الضياء ، ولو دام عليهم الليل سرمدا الى يوم القيامة ؟ على فرض أنهم ظلوا أحياء ، وان الحياة كلها لمعرضة للتلف والبوار لو لم يطلع عليها النهار ، والناس يستروحون الظلام حين يطول عليهم الهجير ساعات من النهار ، ويحنون الى الليل حين يطول النهار بعض ساعات في الصيف ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار،

---

(١) الرعد / ١٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٠٣ .

(٣) القصص / ٧١ - ٧٥ .

والحياة كلها تحتاج الى فترة الليل لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار ، فكيف بالناس لو ظل النهار سرمدا الى يوم القيامة على فرض أنهم ظلوا احياء ، وان الحياة كلها معرضة للتلف والبوار ان دام عليها النهار . (١)

أما العلم الحديث فيقول كريسي موريسون (٢) : "ان الشمس التي هي مصدر كل حياة ، تبلغ درجة حرارة مسطحها ١٢٠٠٠ درجة فهرنهايت ، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها الى حد يكفي لأن تمدنا هذه النار الهائلة بالدفء الكافي ، لا بأكثر منه ، وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب ، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة ، بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها ، ولو أن درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد زادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة ، فان كل نبت يموت ، ويموت معه الانسان حرقا أو تجمدا .

والكرة الأرضية تدور . . . بمعدل ثمانية عشر ميلا في الثانية ، ولو أن معدل دورانها كان مثلا ، ستة أميال أو اربعين ميلا في الثانية ، فان بعدنا عن الشمس أو قربنا منها يكون بحيث يمتنع معه نوع حياتنا ، ولو أن شمسنا أعطت نصف اشعاعها الحالي فقط ، لكنا تجمدنا ، ولو أنها زادته بمقدار النصف ، لأصبحنا رمادا من زمن بعيد ، هذا اذا كنا قد ولدنا بوصفنا شرارة بروتوبلازمية (خلية) للحياة ، ومن ذلك نجد أن شمسنا هي الصالحة لحياتنا من بين ملايين الشموس غير الصالحة لهذه الحياة ."

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/٣٦٩ - ٣٧٠ بتصرف .
(٢) العلم يدعو للايمان ص ٥٥ - الطبعة الخامسة ١٩٦٥م .

والآيات تبين للناس جميعا والمشركين على وجه الخصوص بـأن تعاقب الليل والنهار بهذا النظام الدقيق المحكم الى يوم القيامة يدل دلالة جلية على قدرة الخالق ، وانه لا اله غيره ، ولا أحد يفعل كفعله . ولذا كان الخطاب عن طريق السؤال والجواب للتبكيت والالزام بالحجة الواضحة التى لا يمكن انكارها .

٥ ـ أمثلة من البراهين العقلية على وحدانية الله :

الدين الاسلامي لا يدعو الناس الى عقيدة غامضة ، ولكنه يقوم على ضرب البراهين العقلية الدالة على صحة ما يدعو اليه ولا يهاجم مبدأ أو معتقدا آخر الا بعد أن يقدم الدليل الواضح على تفاهته وبعده عن الحق والصواب وتعدد المعبودات ـ مثلا ـ يجعل البشر عبيدا لتلك المعبودات ومن جراء ذلك تقع الاعباء الكثيرة على كواهل عابديها كتقديم الهدايا والنذور وغيرها من أنواع القرب .

قال تعالى : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١)

فالقرآن الكريم يبين الفرق العظيم والبون الشاسع بين عبادة اله واحد يخضع الجميع لحكمه وما يتطلبه ذلك التوحيد من التخفيف عن كواهل البشر من التضحيات المرهقة والشعائر الرهيبة وبين عبادة آلهة متعددة غالبا ما ينشأ بسببها انواع من الاختلاف والشقاق كما يحاج القرآن الكريم المشركين بأن تعدد المعبودات ليس له أساس من شرع أو حق وانما هى اسماء سموها هم وآباؤهم ولذلك فانه يجب عليهم أن يرجعوا الى عقولهم ويخلصوا العبادة لله تعالى ، وحده فذلك الدين القويم الذى لا اعوجاج فيه .

قال الفخر الرازى :(٢) " ان كونه تعالى واحدا يوجب عبادته ، لأنه

---

(١) يوسف (٣٩ ـ ٤٠)

(٢) التفسير الكبير (١٨/ ١٤٠)

لو كان له ثان لم نعلم من الذى خلقنا ورزقنا ورفع الشرور والآفات عنا ، فيقع الشك فى أننا هل نعبد هذا أم ذاك ؟

وهذا الذى قاله الرازى هو بعض ما يفهم من بعض مقتضيات التوحيد

ومن ذلك قوله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) (١)

وقد تضمنت الآية الكريمة استفسارا انكاريا فيه تهكم وتقريع للمشركين اذ انه من الواضح أنه ليس هناك موازنة بين ما عبدوه من دون الله من المعبودات التى ليس فيها شائبة خير ، وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره

قال سيد قطب : (٢) : " ويبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم محض ، وتوبيخ صرف ، لأنه غير قابل أن يوجه على سبيل الجد ، أو أن يطلب عنه جواب " .

وتتابع البراهين الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وحكمته فقال تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ماتذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أاله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) . (٣)

---

(١) النمل (٥٩)
(٢) فى ظلال القرآن (٦/ ٢٩١)
(٣) النمل (٦٠ — ٦٤)

فهذه الآيات الكريمة واجهت المشركين بأسئلة مستمدة من واقع الكون الذى حولهم والذى يشاهدونه ويلمسونه ويتمتعون بفوائده وخيراته .

ان استخدام الحواس فى النظر والتدبر فيما يشاهد من خلق السموات والأرض وما فيهما من ابداع وتناسق لا يمكن أن يكون صدفة أو رمية من غير رام .

ان الأرض التى جعلت مستقرا للكائن الحى انسانا كان أو حيوانا ، والانهار التى تجرى فيها لمصلحة الانسان والحيوان ، والجبال التى انتصبت على ظهرها لتثبيتها واستقرارها وما جعله الله من حواجز تفصل بين المياه العذبة والمياه المالحة . (١)

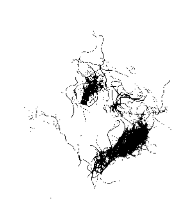
ان الذى فعل ذلك لا يمكن ان يكون معه شريك فى ملكه ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الحق فيشركون مع الله غيره .

ويأتى البرهان الآخر فى الآيات الكريمة عن طريق الاستفهام الانكارى لاستنهاض الذهن الخامل الى القيام بالموازنة بين الذى يجيب دعوة المضطر كلما تضرع اليه لازالة ما ألم به من مكاره ودفع ما احاط به من نوازل ، والذى يجعل سكان الأرض خلائف يعمرونها جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة ، وبين هذه المعبودات التى لا تفقه ولا تحس ولا تعى ، ولا تدافع عن نفسها فضلا عن نفع أو اضرار غيرها .

ويأتى برهان آخر أيضا وهو أنه من يرشدهم الى مقاصدهم فى أسفارهم فى الظلام الدامس ، فى البرارى ، والقفار ، والبحار ، والبلاد التى يتوجهون اليها بالليل والنهار ؟

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير (٣٨٦/٣)



ومن الذى يسوق الرياح مبشرة بنزول المطر الذى هو رحمة للبلاد والعباد ؟

هل من اله مع الله يقدر على شئ من ذلك ؟ تعالى الله وتقدس الخالق القادر عن مشاركة المخلوق العاجز .

ويأتى البرهان الأخير من سياق الآيات الكريمة يسأل المشركين عن من يبدأ خلق الانسان ثم يعيده بعد فنائه ؟

قال الزمخشرى : [١] " كيف قال لهم ذلك وهم منكرون للاعادة ؟ والجواب أنه قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار " .

ويسألهم القرآن الكريم عن الذى يرزقهم من السماء بانزال المطر فينبت لهم من خيرات الأرض الزروع والثمار ؟ فهل من اله غير الله تعالى يفعل شيئا من ذلك ؟

ثم قال لهم : " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " أى أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون وتزعمون ان كنتم صادقين فى أن مع الله الها آخر .

قال أبو حيان : [٢] " وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه ، فلما ذكر ايجاد العالم العلوى والسفلى وما امتن به من انزال المطر ونبات الحدائق اقتضى ذلك أن لا يعبد الا موجد العالم والممتن بما به قوام الحياة فختم بقوله " بل هم قوم يعدلون " أى يعدلون عن عبادته أو يعدلون به غيره مما

---

(١) الكشاف (٣/٢٩٧)

(٢) البحر المحيط (٧/٩١) بتصرف يسير .

هو مخلوق مخترع ، ولما ذكر جعل الأرض مستقرا وتفجير الانهار وارساء الجبال وكان ذلك تنبيها على تعقل ذلك والفكر فيه ختم بقوله : " بل اكثرهم لا يعلمون" ولما ذكر اجابة دعاء المضطر وكشف السوء واستخلافهم فى الأرض ناسب أن يستحضر الانسان دائما هذه المنة فختم بقوله : " قليلا ما تذكرون " اشارة الى توالى النسيان اذا صار فى خير وزال اضطراره وكشف السوء عنه .. ولما ذكر الهداية فى الظلمات وارسال الرياح مبشرات ، ومعبوداتهم لا تهدى ولا ترسل وهم يشركون بها ختمه بقوله : " تعالى الله عما يشركون " واعقب كل واحدة من هذه الجمل قوله : " أأله مع الله " على سبيل التوكيد والتقرير انه لا اله الا هو تعالى " اهـ

٦ ـ الاستدلال بالمتقابلات :

ومن الأدلة التى أقامها القرآن الكريم على المشركين الاستدلال بالمقابلة بين خالق المخلوقات العظيمة ـ خاصة ـ ماله تأثير على حياة الناس ومنافعهم ـ وبين ما يعتقد فيه المشركون أن له شيئا من التأثير كدفع ضر أو جلب نفع وهو مخلوق حقير لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ـ فضلا عن نفع أو اضرار غيره .

من ذلك قوله تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)(١)

قال الرازى :(٢) " والمعنى أفمن يخلق هذه الأشياء التى ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شىء أفلا تذكرون ، فان هذا القدر

---

(١) النحل (١٧)

(٢) التفسير الكبير (١٢/٢٠)

لا يحتاج الى تدبر وتفكر ونظر ، ويكفى فيه أن تنتبهوا على مافى عقولكم من أن العبادة لا تليق الا بالمنعم الأعظم ، وأنتم ترون فى المشاهد انسانا عاقلا فاهما ينعم بالنعم العظيمة ، ومن ذلك فتعلمون أنه يقبح[1] عبادته فهذه الأصنام جمادات محضة ، وليس لها فهم ولا قدرة ، ولا اختيار ، فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها وطاعتها .

وجاء فى تفسير أبى السعود :[2] " أفمن يخلق " هذه المصنوعات العظيمة ، ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شىء " كمن لا يخلق " شيئا أصلا وهو تبكيت للكفرة ، وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى ".

ومن آيات المقابلة فى هذا الخصوص قوله تعالى : (قل من رب السموات والأرض ، قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ، ولاضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار)[3]

وقد اشتملت الآية الكريمة على أربع مقابلات :

المقابلة الأولى : بين الله الذى هو رب السموات والارض وبين شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا يدفعون عنها ضرا .

---

(١) أقول بل ويكفر من فعل ذلك .

(٢) تفسير أبى السعود (١٠٤/٥)

(٣) الرعد (١٦)

قال الفخر الرازى : [١] " ولما كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة لأنفسها ، ودفع المضرة عن أنفسها فبأن تكون عاجزة عن تحصيل المنفعة لغيرها ، ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك أولى ، فاذا لم تكن قادرة على ذلك كانت عبادتها محض العبث والسفه ".

المقابلة الثانية : هى بين الأعمى ويشمل المشرك الذى لا يبصر الحق ، ولا يدرك الحقائق ، وبين البصير ويشمل المؤمن الذى يبصر الحق ويدرك الحقائق .

وهذه المقابلة هى فى الواقع استدلال تدعيمى للمقابلة الأولى ، لأنه من المسلم به بداهة أن لا تساوى بين الاعمى والبصير .

قال الرازى : [٢] مبينا العلاقة بين هذه المقابلة والتى قبلها " ولما ذكر هذه الحجة الظاهرة بين أن الجاهل بمثل هذه الحجة يكون كالاعمى والعالم بها كالبصير ".

المقابلة الثالثة : هى بين الظلمات والنور ، وايضاح ذلك انه اذا كانت الظلمة وما ينتج عنها من ضياع وضلال فانها لا يمكن أن تكون مساوية للنور وما يتولد عنه من انارة واشعاع ، واهتداء ، فكيف تصح المساواة بين جمادات جاثمة من الأصنام والأوثان لا تحرك ساكناً وبين من كان من ابداعه خلق السموات والأرض ؟

المقابلة الرابعة : وهى بين من يخلق ومن لا يخلق وهى من تمام الاحتجاج عليهم والتهكم بعقولهم ، والمعنى هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة خلقوا مخلوقات كالتى خلقها الله فالتبس الأمر عليهم فلا يدرون خلق الله

---

(١) التفسير الكبير (١٩/ ٣١)
(٢) " " " "

من هلق آلهتهم ؟ واذا كان المشركون يعلمون بالضرورة ان تلك المعبودات من دون الله لم يصدر عنها فعل البته ، وما ظهر لها خلق اطلاقا ، ولما كان الأمر كذلك كان حكمهم ازاءها بأنها شركاء لله فى الألوهية محض السفه والجهل .

قال القرطبى [١] عند قوله تعالى : (قل أفاتخذتم من دونه أولياء ") هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق ، والا لم يكن للاحتجاج بقوله : (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) معنى ، بدليل قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) [٢] أى فاذا اعترفتم فلم تعبدون غيره ؟ وذلك الغير لا ينفع ولا يضر ، وهو الزام صحيح " .

ومن آيات المقابلة قوله تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين) [٣] .

وقد ذكر الله تعالى من مخلوقاته فى هذا السياق ما يلى :

١ ـ خلق السموات بغير عمد مرئية .

٢ ـ جعل الرواسى الثابتة على الأرض حتى لا تهتز وتضطرب فتهلك من على ظهرها .

٣ ـ تفريق كل انواع الحيوانات والدواب من مأكول ومركوب على سطح الأرض .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٠٣)

(٢) لقمان (٢٥)

(٣) " (١٠ ـ ١١)

٤ ـ انزال الماء من السماء وفق نظام دقيق .

٥ ـ أنبت من الأرض كل صنوف النبات ذات المنافع الكثيرة والخلق البديع.

أما آثار الذين من دونه تعالى فهى لا شيء بحكم واقع الامر .

قال الرازى : (١) " يعنى : الله خالق ، وغيره ليس بخالق فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق " .

فالمقابلات اذن تهدف الى الاستدلال على أن الله تعالى ليس له شريك فى ملكه أبدا ، وهى تبرهن على عدم وجود أى مبرر منطقى يسوغ عبادة غير الله من الأوثان والانداد وغيرها .

٨ ـ ضرب الأمثال :

ومن الوسائل التى استعملها القرآن الكريم فى دعوة المشركين ضرب الامثال للتذكير والوعظ والاعتبار وتصوير الشرك بصورة محسوسة ليكون ذلك أقرب الى الانظار وأثبت فى الأذهان واسرع فى الفهم والأمتثال .

قال تعالى : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) (٢)

وقال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) (٣)

والمثل فى اللغة يطلق على المثل ، والشبه والشبيه وزنا ومعنى فى الجملة (٤) وقيل المثل بفتحتين معناه الوصف ومنه قوله تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) (٥)

---

(١) التفسير الكبير (٢٥/ ١٤٤)
(٢) الزمر (٢٧)
(٣) العنكبوت (٤٣)
(٤) لسان العرب (١١/ ٦١٠)
(٥) الرعد (٣٥)

فمثلها صفتها والخبر عنها[١] .

ونقل الميدانى أن المثل[٢] : قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول مأخوذ من المثال ، والأصل فيه التشبيه .

ويقرر أبو هلال العسكرى[٣] أن كل كلمة سائرة تسمى مثلا ، وقد يأتى القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به ، الا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا .

ويذكر الراغب الاصفهانى[٤] بأن أصل المثول الانتصاب ، والممثل المصور على مثال غيره ، يقال : مثل الشيء أى أنتصب وتصور . والتمثال الشيء المصور ، وتمثل كذا تصور ، قال تعالى : (فتمثل لها بشرا سويا)[٥]

وقد نفى الله تعالى عنه المشابهة من كل وجه فقال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[٦]

ومن هنا نستطيع أن نقول ان المثل هو : الشيء الممثل به الذى تتضح به صورة المعنى المراد وصفه ، وابراز هذه الصفة بطريقة واضحة جلية .

١ ـ ومن الأمثال التى ضربها الله تعالى للمشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى يعبدونها ويرجون نفعها بالعنكبوت اتخذت بيتا

---

(١) لسان العرب (٦١،/١١)
(٢) الامثال للميدانى (٥/١) المطبعة الخيرية وانظر كتاب الجمهرة على هامش الامثال (ص ١٠)
(٣) الجمهرة على هامش مجمع الامثال (٥/١)
(٤) المفردات فى غريب القرآن (ص ٤٦٢)
(٥) مريم (١٧)
(٦) الشورى (١١)

لا يغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى قال تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (١)

قال ابن كثير : (٢) " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم فى الشدائد فهم فى ذلك كبيت العنكبوت فى ضعفه ووهنه ، فليس فى أيدى هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت ، فانه لا يغنى عنه شيئا ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل فى اتباع الشرع ، فانه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها .

وقال القرطبى : (٣) " هذا مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره ، كما ان بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا "

وقال ابن القيم : (٤) " ... وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده " .

٢ ـ وضرب الله تعالى مثلا آخر فى بيان عجز معبودات المشركين وتفاهتها بالذباب الحقير فقال تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (٥)

---

(١) العنكبوت (٤١)
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣١)
(٣) الجامع لاحكام القرآن (٣/ ٣٤٥) نقلا عن الفراء .
(٤) الامثال فى القرآن لابن القيم ص (١٩٠)
(٥) الحج (٧٣)

قال ابن القيم :[1] " حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فانه يقطع موارد الشرك من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على ايجاد ما ينفع عابده واعدام ما يضره والآلهة التى يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه ، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب ، واذا سلبهم الذباب شيئا مما عليهم من طيب ونحوه ، فيستنقذونه منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذى هو من أضعف الحيوان ، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم اياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى ؟

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه فى بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة ... الى أن يقول : " وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء آلهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه .. "

٣ ـ كما ضرب الله تعالى لهم مثلا واقعيا من أنفسهم وهو أنه اذا كان أحدهم لا يرضى أن يكون عبده ومملوكه شريكا له فى ماله الذى رزقه الله تعالى فكيف يرضى لله شريكا له فى العبادة وهو فى الأصل مخلوق لله وعبد له ؟

---

(١) الأمثال فى القرآن لابن القيم (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩) .

قال تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون)[١]

قال ابن كثير :[٢] " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ".

وقال ابن القيم :[٣] " وهذا دليل قياسى احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ولا يحتاجون فيها الى غيرهم ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الانسان من نفسه ويحتج عليه بما هو فى نفسه مقرر عندها معلوم لها والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه فى ماله وأهله حتى يساويه فى التصرف فى ذلك فهو يخاف أن ينفرد فى ماله بأن يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والاحرار فاذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم لى من خلقى من هو مملوك لى ؟ فان كان هذا الحكم باطلا فى خاطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم وممكن فى حقكم اذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة وانما هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم وأنتم وهم عبادى فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم فى حقى مع أن من جعلتموهم لى شركاء عبيدى وملكي وخلقى فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولى العقول ".

---

(١) الروم (٢٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٩)

(٣) الامثال فى القرآن ص (٢٠١ — ٢٠٣)

٤ ـ ومن ضرب الأمثال للمشركين واقامة الحجة عليهم ما ضربه الله لهم في قوله تعالى : (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)[١]

ففى هذا المثل شبه الله المشرك بالعبد الذى يتولى أمره شركاء كثيرون بينهم اختلاف وتنازع فهم يتنازعونه ويتجاذبونه فى حوائجهم واحد يأمره بأمر وآخر يأمره بمخالفته ، وثالث يأمره بكذا ورابع يأمره بكذا مما يجعل العبد فى حيرة وضلال من أمره لا يدرى أيهم يرضى ؟

وشبه الرجل الموحد بالعبد الذى لا يملكه الا شخص واحد حسن الأخلاق ، فلا منازعة ولا معارضة مما يحقق للعبد الهدوء والاستقرار .

والسؤال الموجه الى المشركين هو هل يستوى العبد الذى يملكه شركاء بينهم نزاع فى ذلك العبد المشترك بينهم وبين العبد الذى يملكه شخص واحد فى حسن الحال وراحة البال ؟

والجواب اذ كان ذلك حقا لا يستوى ، فكذلك لا يستوى المؤمن الموحد الذى لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ، مع المشرك الذى يعبد آلهة متعددة .

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٢] : " هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ".

وقال الرازى :[٣] " وهو مثل ضرب فى غاية الحسن فى تقبيح الشرك وتحسين التوحيد ".

---

(١) الزمر (٢٩)
(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٦)
(٣) التفسير الكبير (٢٦/٢٧٧)

٥ ـ ومن الأمثال التى ضربها الله تعالى للمشركين قوله تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (١)

فقد اشتملت الآيتان الكريمتان على مثلين :

الأول : ما ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام التى يعبدونها من دون الله جل وعلا ، وبيان ذلك : ان مثل هؤلاء المشركين مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف ، وبين حر مالك يتصرف فى أمره كيف يشاء مع أنهما سيان فى البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى فما الظن برب العالمين حيث يشركون به اعجز المخلوقات وأحقرها ؟ وهو سبحانه المالك لكل شئ ينفق كيف يشاء على خلقه ليلا ونهارا ، والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شئ .

وقد ذهب الى هذا القول مجاهد والسدى (٢)

وذهب ابن عباس وقتادة انه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالذى لا يقدر على شئ هو الكافر لأنه لا خير عنده ، وصاحب الرزق هو المؤمن لما عنده من الخير . (٣)

---

(١) النحل (٧٥ ـ ٧٦)

(٢) انظر تفسير الطبرى (١٤/١٤٩ ـ ١٥٠)

(٣) « زاد المسير (٤/٤٧٢) والطبرى (١٤/١٤٩) .

قال ابن القيم : [١] " والقول الأول اشبه بالمراد فانه أظهر في بطلان الشرك ، وأوضح عند المخاطب ، وأعظم في اقامة الحجة وأقرب نسبا بقوله : (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) [٢]

والمثل الثاني : هو ما ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضا من الأصنام الباطلة ، فالصنم بمنزلة رجل أبكم لا ينطق ولا يعقل ولذلك فهو عاجز لا يقدر على شيء بالكلية لأنه اما حجر أو شجر ومع هذا فأينما أرسله صاحبه لا يأتيه بخير ولا يقضي له حاجة .

والسؤال هو هل يستوى هذا الاخرس الذى لا يفيد شيئا وذلك الرجل البليغ المتكلم بأفصح بيان وهو على طريق الحق والاستقامة ؟

واذا كان العاقل لا يسوى بينهما ، فكيف تمكن التسوية بين صنم أو حجر وبين الله سبحانه القادر العليم المتكلم الآمر بالمعروف والهادى الى الصراط المستقيم .

وبهذا يتبين لنا أن ضرب المثل من الوسائل التى اثبت الله تعالى بها قدرته العظيمة وعجز كل ما يعبد من دونه من انسان أو حيوان أو حجر أو شجر وغير ذلك . وأنه من الاساليب التى اتخذها القرآن فى اقامة الحجة على المشركين حيث انه اظهر الشرك فى صور ملموسة محسوسة .

---

(١) انظر الامثال فى القرآن (ص ٢٠٥ – ٢٠٧)

(٢) النحل (٧٣ – ٧٤) .

٨ ـ الجـــدل :

قال ابن منظور فى لسان العرب :[١] " الجدل هو : اللدد فى الخصومة والقدرة عليها .. يقال جادلت الرجل فجدلته جدلا أى غلبته ورجل جدل اذا كان أقوى فى الخصام .

وقال ابن فارس فى مقاييس اللغة[٢] : " الجيم والدال واللام اصل واحد وهو من باب استحكام الشئ فى استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام ".

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : " أنا خاتم النبيين فى أم الكتاب وان آدم لمنجدل فى طينته "[٣] أى ملقى على الجدالة وهى الأرض .[٤]

ومن هذا يتبين لنا أن الجدل فى اللغة هو اللدد فى الخصومة ومراجعة الكلام .

أما الجدل فى الاصطلاح فقد عرفه أبو البقاء فى كتاب الكليات : فقال :[٥] " الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة ، وهو لا يكون الا بمنازعة غيره " .

وعرفه صاحب المصباح المنير فقال بعد أن ذكر المعنى اللغوى للجدل :[٦] " ثم استعمل على لسان حملة الشرع فى مقابلة الادلة

---

(١) لسان العرب (١١/ ١٠٥)
(٢) مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣)
(٣) مسند الامام أحمد (٤/ ١٢٧)
(٤) النهاية فى غريب الحديث والاثر (١/ ٢٤٨)
(٥) كتاب الكليات لأبى البقاء (٢/ ١٧٢) منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى ١٩٧٥ م دمشق .
(٦) المصباح المنير ص (١٠٢) مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

لظهور أرجحها ، وهو محمود ان كان للوقوف على الحق والا فمذموم " اهـ

قال الرازى : [١] " والجدل المذموم فى القرآن محمول على الجدل فى تقرير الباطل وطلب المال والجاه ، والجدل الممدوح فمحمول على الجدل فى تقرير الحق ودعوة الخلق الى سبيل الله والذب عن دين الله تعالى " اهـ

هذا وقد جاء الجدل فى القرآن الكريم على أنواع منها :

١ ـ ما كان القصد منه الرد على المعاندين والزامهم بالحجة وهذا ما جاء على السنة الرسل والانبياء عليهم السلام وعلى هذا قوله تعالى : (وجادلهم بالتى هى أحسن) [٢] وقوله : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن) [٣] .

٢ ـ ماجاء فى القرآن من الحوار بقصد الترجى أو الاسترشاد وحب الاستطلاع .

ومن هذا القبيل جدل ابراهيم عليه السلام مع ربه لتأخير العذاب عن قوم لوط عليه السلام قال تعالى : (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط) [٤]

وكذلك جدال الملائكة فى قوله تعالى : (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون) [٥] .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (٥/١٦٧) بتصرف يسير .
(٢) النحل (١٢٥)
(٣) العنكبوت (٤٦)
(٤) هود (٧٤)
(٥) البقرة (٣٠)

وكذا جدال خولة بنت ثعلبة التى حكى الله قصتها فى قوله تعالى :

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) (١)

٣ ـ ماجاء على ألسنة الكفار والمعاندين من الاعتراضات والدعاوى الباطلة كما قال تعالى : (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (٢)

والذى نحن بصدده الآن انما هو جدل القرآن للمشركين فى اثبات الوحدانية لله تعالى وما أقامه عليهم من ادلة وبراهين والزامهم بالحق فى اسلوب واضح جلى .

هذا وقد سلك القرآن الكريم فى الاستدلال على وحدانية الله تعالى مسلكين :

المسلك الأول : الاستدلال على وحدانية الله تعالى بانتظام الكون وسلامته من الخلل والتصادم والفساد .

ومن أظهر الأدلة فى هذا ما يسميه علماء الكلام بدليل التمانع وعلى هذا قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (٣)

قال الامام عبد الرحمن بن نجم المعروف بالحنبلى فى كتابه استخراج الجدل من القرآن (٤) بعد ايراده للآية الكريمة : (" وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام ، وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال : نظرت فى سبعين كتابا من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله تعالى :

---

(١) المجادلة (١)
(٢) غافر (٥)
(٣) الأنبياء (٢٢)
(٤) استخراج الجدل من القرآن الكريم ص (٨٣)

(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) .

ومعنى الآية الكريمة " أى لو كان فى السموات والأرض اله غير الله لخرجتا وهلك من فيهما ذاك أنه لو كان فيهما الهان فاما أن يختلفا أو يتفقا فى التصرف فى الكون ، والأول ظاهر البطلان ، لأنه اما أن ينفذ مرادهما معا فيريد أحدهما الايجاد والثانى لا يريده فيثبت الوجود والعدم لشىء اختلفا فيه ، وأما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثانى ، فيكون هذا مغلول اليد عاجزا ، والاله لا يكون كذلك ، والثانى باطل أيضا ، لأنهما اذا أوجداه معا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد . ولما أثبت بالدليل أن المدبر للسموات والأرض لا يكون الا واحدا ، وأن ذلك الواحد لا يكون الا الله قال : (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى فتنزيها لله رب العرش المحيط بهذا الكون ومركز تدبير العالم عما يقول هؤلاء المشركون من أن له ولدا أو شريكا ". (١)

وقال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (٢)

قال ابن كثير : (٣) " أى لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق ، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض وما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق غاية الكمال"

وقال ابن القيم ــ رحمه الله فى هذا المقام : (٤) " فلابد من أحد أمور

---

(١) انظر تفسير المراغى (١٧/ ١٩)
(٢) المؤمنون (٩١)
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٧) بتصرف .
(٤) التفسير القيم ص (٣٧١)

ثلاثة : اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه ، واما أن يعلوا بعضهم على بعض ، واما أن يكونوا كلهم تحت قهر اله واحد ، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه ، فيكون وحده هو الاله الحق ، وهم العبيد المربوبون المقهورون ، وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد ، من أدل دليل على أن مدبره واحد ، لا اله غيره " اهـ

وقال تعالى : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) (١)

ومعنى الآية الكريمة انه لو فرض جدلا أن مع الله آلهة أخرى كما يزعم المشركون لطلبوا كما قال ابن عباس رضى الله عنهما منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض . (٢)

---

(١) الاسراء (٤٢)

(٢) القرطبى (١٠/٢٦٥) وهذا هو أحد وجهين فى تفسير الآية الكريمة والوجه الآخر لو كان الأمر كما تقولون لكان أولئك المعبودون يبتغون سبيلا الى التقرب اليه بعبادته وطاعته ويطلبون الزلفى لديه وهو قول قتادة واختيار ابن جرير . انظر تفسيره (١٥/٩١) وتفسير ابن كثير (٣/٤٥) والوجه الأول اظهر والله أعلم كما يقول أبو السعود لأنه الأنسب لقوله تعالى بعدها "سبحانه" فانه صريح فى أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم . انظر تفسير أبى السعود (٥/١٧٤) كما نصره الشوكانى حيث قال " ومثل معناه قوله سبحانه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) .

انظر فتح القدير للشوكانى (٣/٢٣٠)

وقد احتوت الآية الكريمة حجة جدلية فلو كان لله شركاء فى كونه لما قبلوا أن يكونوا فى مركز أدنى ولسعوا ليكونوا شركاء متنافسين له فى كل شىء . (١)

المسلك الثانى : فى التركيز على ابطال معبودات المشركين ومناقشتهم فيها مناقشة واضحة صريحة فى تلك المعبودات التى لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن انفسها ضرا ولا تجلب لها نفعا فضلا عن نفع أو اضرار غيرها وبيان أن تلك المعبودات ما هى الا مجرد اسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وانها وليدة الظن والهوى .

وقد مر معنا أن من أصنام العرب المشهورة اللات ، والعزى ، ومناة .. وعن مناقشتهم فى هذه المعبودات قال تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٢)

قال محمد عزة دروزة : (٣) (والآيات هى الأولى من نوعها فى احتوائها تعريضا صريحا بمعبودات العرب ، وعقائدهم ، ونقاشا وحجاجا وتسفيها وافحاما حول هذه العقائد) .

ومجادلة المشركين هنا هو أنه اذا كان المشركون يعظمون البنين ويحتقرون الاناث ، فكيف ينسبون ما يحتقرونه الى الله تعالى ، وما يحبونه ويعظمونه ينسبونه لأنفسهم ؟ فهذه القسمة جائرة وباطلة حتى ولو كانت

---

(١) انظر التفسير الحديث لدروزة (٤/٢٣٦ - ٢٣٧)
(٢) النجم (١٩ - ٢٣)
(٣) التفسير الحديث (١/٢٢١) .

بين المخلوقين ، فكيف بهم وهم يقسمون ذلك بينهم وبين رب العالمين ؟

كما بينت الآية الكريمة حقيقة هذه المعبودات وأنها مجرد اسماء جاءت من نسج الخيال واستهواء الشيطان ، وأن المشركين لم يستندوا فى تسميتها أوعبادتها الى علم أو برهان نقلى أوعقلى ، وانما استندوا الى مجرد الظن والتخريص ؛ (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) (١)

كما انهم فعلوا ذلك اتباعا لهوى أنفسهم وهوى الأنفس لا يصلح أن يكون الها مشرعا ، والا لما احتاج الناس الى ارسال الرسل وانزال الكتب ، ولكان اله كل انسان هواه .

٩٠ ـ تعجيز المشركين عن الاتيان بدليل عقلى أو نقلى يقر عبادتهم :

قال تعالى : (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين) (٢)

وفى هذه الآية الكريمة يخاطب الله تبارك وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستجوب المشركين عن أمرين :

١ ـ هل يعقل أن يضاف الى هذه الأصنام خلق جزء من أجزاء هذا العالم ؟ .

٢ ـ فان لم يصح فهل يجوز أن يقال : انها أعانت اله العالم فى خلق جزء من أجزاء هذا العالم ؟

ولما كان صريح العقل حاكما بأنه لا يجوز اسناد جزء من اجزاء هذا

---

(١) النجم (٢٨)

(٢) الاحقاف (٤) .

هذا العالم اليها ، وان كان ذلك الجزء أقل الأجزاء ، ولا يجوز أيضا اسناد الاعانة اليها فى أقل الأفعال وأذلها ، فيحنئذ صح أن الخالق الحقيقى لهذا العالم هو الله سبحانه وتعالى ، وأن المنعم الحقيقى .. بجميع أقسام النعم هو الله تعالى .

والعبادة عبارة عن الأتيان باكمل وجوه التعظيم وذلك لا يليق الا بمن صدر عنه أكمل وجوه الانعام ، فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقى هو سبحانه وتعالى ، وجب أن لا يجوز الاتيان بالعبادة ، والعبودية الا له ولاجله ، نفى أن يقال انا لا نعبدها لأنها تستحق هذه العبادة بل انما نعبدها لأجل أن الاله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها ، فعند هذا ذكر الله تعالى ما يجرى مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال :

(ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم) وتقرير هذا الجواب أن ورود هذا الأمر لا سبيل الى معرفته الا بالوحى والرسالة ، فنقول : هذا الوحى الدال على الأمر بعبادة هذه الأوثان ، اما أن يكون قد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم أو فى سائر الكتب الالهية المنزلة على سائر الأنبياء ، وان لم يوجد ذلك فى الكتب الالهية لكنه من تقابل العلوم المنقولة عنهم والكل باطل .

أما اثبات ذلك بالوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فهو معلوم البطلان .

وأما اثباته بسبب اشتمال الكتب الالهية المنزلة على الأنبياء المتقدمين عليه فهو أيضا باطل ، لأنه علم بالتواتر الضرورى اطباق جميع الكتب الالهية على المنع من عبادة الاصنام .

وهذا هو المراد من قوله تعالى : (ائتونى بكتاب من قبل هذا)

وأما اثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الأنبياء سوى ما جاء فى الكتب فهذا أيضا باطل ، لأن العلم الضرورى حاصل بأن أحدا من الأنبياء مادعا الى عبادة الاصنام ، وهذا هو المراد من قوله : (أو أثارة من علم)

ولما بطل الكل ثبت أن الاشتغال بعبادة الأصنام عمل باطل وقول فاسد .[1]

ولهذا المعتقد الفاسد المبنى على الضلال اعقب الله تعالى الآية السابقة بقوله : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)[2]

ومن الآيات التى وردت فى هذا المعنى قوله تعالى : (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا)[3]

ومعنى الآية الكريمة قل يا محمد — توبيخا وتبكيتا لهؤلاء المشركين أخبرونى عن شأن معبوداتكم من دون الله الذين أشركتموهم معه فى العبادة بأى شىء استحقوا هذه العبادة ؟

فان كانت عاجزة فلماذا تعبدونها ؟ وان كنتم تتوهمون فيها القدرة فأرونى أثرها ؟

أرونى أى شىء خلقوه فى هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله ؟ أم أنهم شاركوا الله فى خلق السموات وابداعها فاستحقوا

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٨/ ٤) بتصرف يسير .

(٢) الاحقاف (٥)

(٣) فاطر (٤٠)

بذلك الشركة مع الله فى الألوهية ؟ أم أنزلنا عليهم كتابا يشهد بالشركة فهم على حجة ظاهرة واضحة فى عبادة هذه الأوثان ثم قال تعالى :

(بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) قال أبو السعود فى هذا المعنى :[1] " لما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند الله " اهـ

وقد بين الله تعالى للمشركين به أن تلك المعبودات التى عبدوها من دونه لا تملك لعابديها وزن ذرة من خير أو ضر فى السموات أو فى الأرض وليس له تعالى منها ولا من غيرها معين يعينه أو مساعد يساعده بل المنفرد بالخلق كله والمنفرد بالعطاء والمنع سبحانه وتعالى قال جل وعلا : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) .[2]

---

(١) تفسير ابى السعود (٧/١٥٥)

(٢) سبأ (٢٢)

الفصل الثالث

توجيهات وتحذيرات للمشركين

ويشتمل على ما يلى :

١ ـ الأمر الجازم بعبادة الله وحده والنهى عن عبادة ما سواه .

٢ ـ الأساليب الخبرية .

٣ ـ الدعوة الى التجرد من التقاليد الموروثة .

٤ ـ استعمال الحكمة فى دعوتهم .

٥ ـ اسلوب القصة .

٦ ـ الدعوة الى الاعتبار بالسابقين .

٧ ـ تذكيرهم بالنعم وتحذيرهم من النقم .

٨ ـ الشرك خرافات وأوهام .

٩ ـ اضرار الشرك فى الدنيا والآخرة .

١ - الأمر الجازم بعبادة الله والنهى عن عبادة ما سواه :-

ولما كان الله تبارك وتعالى هو الخالق وحده والرازق المتفضل على جميع خلقه بأنواع النعم فهو المستحق وحده للعبادة ، وأخلاصها له وعدم الاشراك بأحد من مخلوقاته ، فقد أمر الله تعالى الناس بعبادته وحده ونهاهم نهيا مطلقا عن عبادة ما سواه ، وبين ان العلة في خلق الجن والانس انما هو من أجل عبادته كما قال تعالى :
(وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون) . (١)

وقد جاءت الأوامر بعبادة الله وحده والنواهي عن عبادة غيره في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى :
(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) . (٢)
وقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) . (٣)
وقال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) . (٤)
وقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) . (٥)
وقال تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) . (٦)

---

(١) الذاريات / ٥٦ .
(٢) البقرة / ٢١ - ٢٢ .
(٣) النساء / ٣٦ .
(٤) الأنعام / ١٥١ .
(٥) الاسراء / ٢٣ .
(٦) الحج / ٣٠ - ٣١ .

وقال تعالى : (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) .[١]

قال ابن كثير[٢] : " أى لا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم أى بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة - ما عدا أهل الاسلام - فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومذاهب باطلة وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء ، وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة الا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى قديم الدهر وحديثه " .

وقد أرشد الله تعالى نبيه ابراهيم عليه السلام عند بناء البيت الحرام أن يبنيه على اسم الله تعالى وحده وأن يطهره من الشرك وعبادة الأوثان فقال تعالى : (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) .[٣]

وأوصى لقمان الحكيم ابنه بعدم الشرك بالله تعالى فقال الله عنه : (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .[٤]

---

(١) الروم / ٣١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥١ - ٤٥٢ .
(٣) الحج / ٢٦ .
(٤) لقمان / ١٣ .

وأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه :

(قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين) .(١)

وقال تعالى : (اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين) .(٢)

وقال تعالى : (قل ياأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) .(٣)

وقال تعالى : (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) .(٤)

وقال تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) .(٥)

وقال تعالى : (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) .(٦)

ان واحدا من هذه الأوامر أو واحدا من هذه النواهى يكفى دليلا للاقلاع عن هذه العبادة فكيف والقرآن ملئ بالأوامر بعبادة الله وحده والنواهى عن عبادة ما سواه ؟

---

(١) الأنعام / ١٤ .

(٢) " / ١٠٦ .

(٣) يونس / ١٠٤ - ١٠٦ .

(٤) الرعد / ٣٦ .

(٥) الحجر / ٩٤ .

(٦) القصص / ٨٧ - ٨٨ .

٢ - الأساليب الخبرية :-

أ - أسلوب الخبر المجرد :

وقد جاء هذا الأسلوب مجردا عن المؤكدات بيانا للحق، واعلاما للخلق كما في قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين)(١)

وقوله عز وجل : (والهكم اله واحد).(٢)

ب - أسلوب الخبر المؤكد :

والمؤكدات التي جاء بها القرآن الكريم في شأن التوحيد والوحدانية كثيرة منها :

١ - التأكيد بالقسم .

٢ - التأكيد بأن .

٣ - التأكيد باللام .

وقد اجتمعت هذه المؤكدات الثلاثة في قوله تعالى : (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، ان الهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) .(٣)

٤ - التأكيد بأساليب القصر ، كأسلوب النفي والاستثناء كما في قوله تعالى : (انني أنا الله لا اله الا أنا) .(٤)

واسلوب القصر "بانما" كما في قوله تعالى : (قل انما هو اله واحد وانني برئ مما تشركون " .(٥)

---

(١) الفاتحة / ١ .

(٢) البقرة / ١٦٣ .

(٣) الصافات / ١ - ٥ .

(٤) طه / ١٤ .

(٥) الأنعام / ١٩ .

وأسلوب القصر بالتقديم والتأخير كما فى قوله تعالـــــــى :
(اياك نعبد)[1] فتقديم المفعول " اياك " أفاد قصر العبـــادة
على الله تعالى وحده دون غيره .

* * *

---

(١) الفاتحة /٥ .

٣ ـ الدعوة الى التجرد من التقاليد الموروثه :-

لقد كانت التقاليد والعادات الموروثة تتحكم فى عقائد الجاهلية ومن أجل ذلك تعرضت العقائد للانحراف وانهارت أمامها القيم والأخلاق ، واختلت الموازين والأعراف فكان الواقع يرفض كل المسلمات والبدهيات ولا يقبل سوى ما كان عليه الأباء والأجداد .

ولذلك فقد ناقش القرآن الكريم هذه القضية مناقشة جادة وعالجها معالجة شافية كعادته فى معالجة القضايا ذات الأهمية البالغة وبين أن هذه القضية لم تكن حديثة المولد والنشأة ولكنها قديمة التاريخ عميقة الجذور فلم يكن العرب الذين واجههم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هم وحدهم الذين اخترعوا هذه المقالة بل لقد رددها الذين استحبوا العمى على الهدى من الأمم السابقة .

لقد قالها قوم نوح عليه السلام : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين) . (١)

وقالها قوم هود عليه السلام : (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) . (٢)

وقالها قوم صالح عليه السلام : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) . (٣)

---

(١) المؤمنون / ٢٤ .

(٢) الاعراف / ٧٠ .

(٣) هود / ٦٢ .

وقالها قوم ابراهيم عليه السلام لما قال لهم : (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) . (١)

ولما قال لهم : (هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) . (٢)

وقالها قوم شعيب عليه السلام : (قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد) . (٣)

وقيلت لموسى عليه السلام : (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين) . (٤)

وقد بين القرآن الكريم أن تلك المقالة قد قيلت لكافة الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) . (٥)

وقص علينا ربنا تعالى قول الأقوام السابقين لرسلهم : (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) . (٦)

---

(١) الأنبياء / ٥٢ - ٥٤ .
(٢) الشعراء / ٧٢ - ٧٤ .
(٣) هود / ٨٧ .
(٤) يونس / ٧٨ .
(٥) الزخرف / ٢٣ .
(٦) ابراهيم / ١٠ .

وأخيرا قالها مشركو مكة للنبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) .[1]

و (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) .[2]

(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) .[3]

فهذا سندهم الوحيد وهو دليلهم الفريد ، انه التقليد الجامد الذى لا يقوم على علم ولا يعتمد على برهان ، بل ولا حتى على تفكير أو روية ، ان هذا الموقف انما هو استجابة لدعوة ابليس مصيرها العذاب فهل هم مصرون على السير فى هذا الطريق وراء تقليد الآباء حتى دخول نار جهنم ؟ انها لمسة مزعجة وموقظة منبهة ، ولكن لمن ألقى السمع وهو شهيد .

وقال تعالى : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) .[4]

وفى سورة الزخرف آيات كثيرة تناقش هذه القضية قال تعالى :

(بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) .[5]

قال ابن كثير[6] : " أى ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة . . . ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقتهم اليها أشباههم ونظائرهم من الأمم السالفة

---

(١) البقرة / ١٧٠ .

(٢) المائدة / ١٠٤ .

(٣) لقمان / ٢١ .

(٤) سبأ / ٤٣ .

(٥) الزخرف / ٢٢ .

(٦) تفسير ابن كثير ٤/١٣٥ .

المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم " .

ويربط القرآن الكريم مقالتهم بمقالات الأمم السابقة المكذبة والتى أهلكها الله تعالى بسبب كفرهم وتقليدهم الأعمى لآبائهم قال تعالى : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) .(١)

والآيات السابقة تبين لنا أن التقاليد الوراثية قد استحكمت فى عقول الناس من عهود الأنبياء السابقين وفى عهد محمد صلى الله عليه وسلم ولا شك أن تلك المقالة قد قيلت ، وستقال كلما وجدت الجاهلية لها طريقا الى نفوس البشر ، وتبين الآيات كذلك أن القوم المعارضين لم ينظروا الى الدعوة بعين الانصاف والتدبر ، وانما نظروا اليها بالجحود والجمود ، والاستسلام المطلق لتلك التقاليد والعادات الموروثة عن الآباء والأجداد .

ولقد بين القرآن الكريم سذاجة هذه الأقاويل ، ووضح أنها لا تستند الى دليل من نقل أو عقل فقال تعالى :

(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) .(٢)

وقال سبحانه : (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) .(٣)

---

(١) الزخرف / ٢٣ - ٢٥ .

(٢) البقرة / ١٧٠ .

(٣) المائدة / ١٠٤ .

فالآيات الكريمة تبين لنا أن القوم مستسلمون لتقاليد آبائهم وأجدادهم حتى ولو كان آباؤهم وأجدادهم لا يعقلون شيئا ولا يعلمون شيئا بأن كانوا جهالا لا يميزون بين ما هو حق وما هو باطل .

والقرآن الكريم يطلب من هؤلاء المقلدين أن يحاكموا تقاليدهم الى ميزان العقل ، ان كانت لديهم عقول ، الا أن القوم رفضوا توجيهات القرآن الكريم ، واستمروا على تعصبهم ، الأمر الذى جعل القرآن ينكر عليهم ويتعجب من فعلهم قال تعالى حكاية قول هود عليه السلام لقومه :

(أتجادلونني فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين) . (١)

وقال تعالى حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام : (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) . (٢)

وبين القرآن الكريم أن الطاعة العمياء ، والاغراق فى الجهالة والضلال ، وتتبع خطا الآباء من غير دليل ولا برهان جعلت مصيرهم ومرجعهم الى دركات الجحيم قال تعالى :

(ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ، انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ، ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) . (٣)

كما بين القرآن الكريم أن كل انسان يتحمل تبعة عمله فقط ولا يسأل عن حسنات أو سيئات الآخرين كما ورد فى كثير من الآيات البينات قال تعالى :

---

(١) الأعراف / ٧١ .

(٢) الشعراء / ٧٥ - ٧٦ .

(٣) الصافات / ٦٨ - ٧١ .

(وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى . . .) (١)

وقال تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) . (٢)

وقال تعالى : (ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان الا ماسعى) (٣)

وقال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . (٤)

* * *

---

(١) الاسراء / ١٣ - ١٥ .

(٢) فاطر / ١٨ .

(٣) النجم / ٣٨ - ٣٩ .

(٤) الزلزلة / ٧ - ٨ .

٤ - استعمال الحكمة في دعوتهم :-

ولما كانت دعوة القرآن الكريم مبنية على الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) . (١)

فقد أمر الله المؤمنين بأن لا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا السب أولئك الجهلة على سب الله تعالى .

قال سبحانه وتعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) . (٢)

قال ابن عباس (٣) : قالوا : يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك ، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم .

وقال قتادة (٤) : كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم ، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله .

---

(١) النحل / ١٢٥ .

(٢) الانعام / ١٠٨ .

(٣) اسباب النزول للواحدى ص ١٢٧ ، تفسير ابن جرير ٣٠٩/٧ ، تفسير ابن كثير ١٧٧/٢ .

(٤) أسباب النزول للواحدى ص ١٢٧ ، وأسباب النزول للسيوطى ص ١٠٣ ، تفسير الطبرى ٣٠٩/٧ .

وقال السدى [1] : لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش : انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ، فانا نستحى أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمنعه فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابناء خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البخترى الى أبى طالب ، فقالوا : أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وأذى آلهتنا ، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا يريدون ؟ فقالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك ، فقال أبو طالب : قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم أن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم ؟ قال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطيكنها وعشر أمثالها ، فما هى ؟ قال : قولوا لا اله الا الله ، فأبوا واشمأزوا ، فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فان قومك قد فزعوا منها ، فقال : ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها ، فقالوا : لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمك ، ونشتم من يأمرك فأنزل الله هذه الآية .

والآية الكريمة تنهى المؤمنين عن سب معبودات المشركين التى يدعون انها تجلب لهم النفع أو تدفع عنهم الضر ، لأن المؤمنين اذا سبوا وشتموا معبودات المشركين ربما غضبوا ، وذكروا الله بما لا ينبغى من القول ، وذلك لأن طبيعة البشر أن كل من عمل عملا ،

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ١٢٧ ، تفسير الطبرى ٧/٣٠٩ .

فانه يستحسنه ، ويدافع عنه ، فان كان الشخص يعمل الطيبات استحسنها ودافع عنها ، وان كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها ، ومن هنا كان واجب الداعية أن يبين الحق الواجب بيانه من بطلان عبادة المشركين ، وسخافتها ، وعدم جوازها ، وانها لا تضر ولا تنفع ، وانها لا تستحق شيئا من العبادة ، وأن أى شيء يصرف اليها يكون محرما ويوصل صاحبه الى نار جهنم ويخلد فيها ما لم يرجع عن ذلك ويتوب الى الله تعالى قبل الموت ، ثم يترك شأنهم الى الله تعالى ، اذ أن مصيرهم اليه وهو الذى يجازيهم على أعمالهم .

أما أسلوب الدعوة عن طريق السباب والشتائم فانه لا يأتى بفائدة وانما يأتى بالنتائج العكسية من النفور عن الدعوة وعدم قبولها كما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (... ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) .(١)

وسب آلهة المشركين يترتب عليه المواجهة بالمثل من سب الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو الدين أو القرآن وذلك لجهل المشركين وعدم معرفتهم بعظمة الله تعالى ، وبالتالى فشل الدعوة التى اتعب الداعية نفسه من أجلها .

ومن هذا القبيل ما جاء فى الصحيحين(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل : يا رسول الله

---

(١) آل عمران / ١٥٩ .

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح ٤٠٣/١٠ كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه ، وصحيح مسلم ٩٢/١ كتاب الايمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها .

وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل ، فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه "..

* * *

٥ - أسلوب القصة :-

ومن أوسع أساليب القرآن الكريم فى دعوة المشركين الى التوحيد أسلوب القصة ، وذلك لما للقصة من تأثير فى النفوس البشرية وسهولة فى الحفظ والانتشار بين الناس .

ونكتفى هنا بايراد مثال واحد فى هذا الشأن : وهو ما ذكره الله تعالى لنا من قصة ابراهيم الخليل عليه السلام مع قومه وتحطيمه لاصنامهم ، وذلك أنه لما حطم الأصنام وسألوه عليه السلام عن من الذى فعل ذلك الفعل ؟

أحالهم الى أخذ الاجابة من معبوداتهم الهزيلة ساخرا منهم ومتهكما بهم ، وعند ذلك رجعوا الى أنفسهم يلوم بعضهم بعضا .

وقد ذكرت هذه القصة فى عديد من السور كالشعراء ، والصافات ، والأنبياء ومنها قوله تعالى :

(وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ، قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) .(١)

---

(١) الأنبياء /٥٧ - ٦٧ .

وفي هذا تقرير للتوحيد بأبلغ أسلوب ، وأقوى حجة ، ونفي للشرك بأوضح بيان ، فضلا عما فيه من تحقير للاصنام وسخرية بالغة بعبادها . وذلك أن معبودات القوم قد حطمت وقوضت وسويت بالأرض ولم تستطع أن تدافع عن نفسها ، فكيف يرجون أن تدافع عنهم أو أن تصيبهم بالخير أو تمسهم بالشر والمكروه . وزيادة على ذلك فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم .

ومن عمل ابراهيم هذا نستفيد درسا في الشجاعة والاقدام والاستماتة من أجل اقرار التوحيد وازالة جميع المعبودات من دون الله تعالى حيث وقف عليه السلام وجها لوجه أمام قومه الذين فشت فيهم عبادة الأصنام يسفه معتقداتهم ويدعوهم بالحجة والبرهان الى ترك عبادتها ، ومع ذلك كان وحيدا لا يوجد من يقف الى جانبه حتى والده كان ضده بل تهدده بالرجم والهجران كما حكى الله قوله لابنه :

(لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا) .[1]

ومع هذا لم ينثن ابراهيم عن قصده ولم يدخله الوهن ، بل شرع في تدمير معتقدات قومه وزلزلة بنيان مقدساتهم بيده . وهذا الفعل أشد أثرا من مقاومة الباطل بالقول الذى لم يجد معهم نفعا .

وعلى هذا العمل جاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم [2] :

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " .

---

(١) مريم / ٤٦ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٦٩ كتاب الايمان ، باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان .

٦ - الدعوة الى الاعتبار بالسابقين -

يلفت القرآن الكريم انظار المخاطبين الى مصير الأمم المكذبة ، وما تلقوه من الضربات القاصمة جزاء مروقهم وتمردهم على أنبياء الله تعالى ، ويرشدهم الى النظر والتدبر في الديار التي يمرون عليها مصبحين وممسين ليكون منها الدرس والعبرة والذكرى . جاء ذلك في كثير من الآيات البينات في كتاب الله العظيم .

ففي أعقاب قصة نوح عليه السلام وهلاك قومه المكذبين بالطوفان ونجاته ومن آمن معه بالسفينة قال تعالى :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ ... الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون ، وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) .(١)

وبعد أن عرض لأخبار صالح ولوط عليهما السلام ومصير قومهما قال تعالى : (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) .(٢)

وبعد أن ذكر قصة يوسف عليه السلام وموقف أخوته منه قال تعالى :

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون) .(٣)

ويقول بعد أن ذكر ما حدث بين فرعون وجنوده مع موسى وأخيه هارون عليهما السلام وما حاق بآل فرعون من سوء العذاب:

---

(١) العنكبوت / ٢٠ - ٢٢ .

(٢) النمل / ٦٩ .

(٣) يوسف / ١٠٩ .

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) .(١)

وبعد أن ذكر ما حدث بين الروم والفرس قال تعالى :

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).(٢)

وقال تعالى بعد أن أشار الى هلاك القرون السابقة لما ظلموا :

(ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون).(٣)

والآيات التي تحث على النظر والتأمل والدراسة والاعتبار بمصير الأمم السابقة كثيرة منها قوله تعالى :

(قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(٤)

قال ابن كثير(٥) : " أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أنزل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين " .

وقال الفخر الرازي(٦) : " فان قيل ما الفرق بين قوله " فانظروا "

---

(١) غافر/٨٢ .

(٢) الروم/٩ .

(٣) يونس/١٤ .

(٤) الانعام/١١ .

(٥) تفسير ابن كثير ١٣٥/٢ .

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٣/١٢ - ١٦٤ .

وبين قوله : " ثم انظروا ".قلنا : قوله : " فانظروا " يدل على أنه تعالى جعل النظر سببا عن السير ، فكأنه قيل : سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين .
وأما قوله : (سيروا فى الأرض ثم انظروا) فمعناه اباحة السير فى الأرض للتجارة وغيرها من المنافع ، وايجاب النظر فى آثار الهالكين ثم نبه الله تعالى على هذا الفرق بكلمة " ثم "لتباعد ما بين الواجب والمباح والله أعلم " . أ هـ .

وقوله تعالى : (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) (١)
يقول ابن جرير الطبرى (٢) : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : سيروا فى البلاد ، فانظروا الى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذبوا رسله ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم ، ألم نهلكهم بعذاب منا ، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ، كان أكثرهم مشركين ، يقول فعلنا ذلك بهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم".
وقال تعالى : (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) . (٣)
وقال تعالى : (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا) . (٤)

---

(١) الروم / ٤٢ .
(٢) تفسير الطبرى (٢١/ ٥١ .
(٣) السجدة / ٢٦ .
(٤) فاطر / ٤٤ .

وقال تعالى : (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) . (١)

فهذه الآيات الكثيرة حينما تدعو الى السير والنظر فى ديار الأمم السابقة ليس الغرض منها الدعوة الى مجرد التنقل والسياحة والترويح عن النفس ، وانما القصد هو التأمل وأخذ الدروس والعبر والاتعاظ بسنن الله تعالى فى الكون حتى لا يقع اللاحقون فيما وقع فيه السابقون والسعيد من اتعظ بغيره وتعلم من أخطاء الآخرين كما قال تعالى : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ، ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) . (٢)

---

(١) غافر / ٢١ .

(٢) ق / ٣٦ - ٣٧ .

٧ - تذكير المشركين بالنعم وتحذيرهم من النقم :-

ومن الأساليب التى اتبعها القرآن الكريم فى دعوة المشركين الى الاسلام والاقرار بوحدانية الله تعالى تذكيرهم بالنعم وتحذيرهم من النقم .

أ - تذكيرهم بالنعم :

ففى مجال تذكيرهم بالنعم ذكرهم القرآن بأنواع من النعم الكثيرة التى أمتن الله بها عليهم وعلى عباده ، والتى لا يستطيع أحد من خلقه أن يأتى بشىء منها ، جاء ذلك فى كثير من السور والآيات العديدة من ذلك ما تحدثت به سورة النحل عن الكثير من النعم التى أمتن الله بها على الناس ، والسورة مكية ، والمشركون فى مكة هم أول من خوطبوا بذلك .

ومما جاء فى هذه السورة قوله تعالى :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون ، والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ، ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون ، فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) . (١)

ومعنى الآيات أن الله تعالى فاوت بين خلقه فى الأرزاق فهذا غنى وذاك فقير ، وهذا مالك وذاك مملوك ،وأن الأغنياء

---

(١) النحل / ٧١ - ٧٤ .

ليس بمشركين عبيدهم فيما رزقهم الله من الأموال حتى يستووا في ذلك مع عبيدهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما [1] : " لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم ، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني " .

وعنه رواية أخرى : " فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم " .

وأنكر الله تعالى اشراك غيره معه وهو المتفضل على خلقه بجميع أنواع النعم ومن ذلك أن بقدرته خلق النساء من جنس الرجال ليحصل الائتلاف والمودة والرحمة بينهم ، وجعل من هؤلاء الزوجات الأولاد والحفدة ، ورزقهم من أنواع الثمار والحبوب أفمع هذه النعم من الله تعالى يؤمنون بالأوثان ويكفرون بنعم الله تعالى ويضيفونها الى غيره ؟ .

وهي لا تقدر على انزال المطر ولا على اخراج الزرع أو الشجر ولا تقدر على أن تقدم لهم كثيرا من الرزق أو قليله .

ومن الآيات التي ذكرهم الله تعالى فيها بأنواع كثيرة من النعم المناسبة لهم لعلهم يتدبرون فيسلمون ويخلصون له العبادة حتى ينجوا من عذابه قوله تعالى :

(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٦٢٥ .

فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) . [١]

انها نعم تأخذ بوجدان الانسان العاقل الى الشعور بالطمأنينة والراحة والسكون ، وان الشعور بها ليؤدى الى الشعور بالاستسلام الى خالقها والمنعم بها وفاء له وشكرا على كرمه وجوده واعترافا له بالجميل واقرارا بأنه لا أحد يقدر على ايجاد هذه النعم سواه .

ومن تذكير الله تعالى لعبيده بالنعم الكثيرة الدالة على ربوبيته ووحدانيته ما جاء فى قوله تعالى من سورة المؤمنين : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ، وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ، وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ، وعليها وعلى الفلك تحملون) . [٢]

وذكر الله تعالى ما أمتن به على كفار قريش من الأمن والطمأنينة حيث جعل بلدهم مكة حرما مصونا من السلب والنهب بينما الناس من حولهم يقتل بعضهم بعضا ويسبى بعضهم بعضا فقال تعالى : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) . [٣]

---

(١) النحل / ٨٠ - ٨٣ .

(٢) المؤمنون / ١٨ - ٢٢ .

(٣) العنكبوت / ٦٧ .

ومن الآيات التي ذكر الله فيها بعض نعمه على خلقه قوله تعالى : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) . (١)

وقوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم) . (٢)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين نعم الله العظيمة التي لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى :

(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) . (٣)

ب - تحذيرهم من النقم :

وفي مجال تحذيرهم من النقم فقد حذر القرآن الكريم المشركين وتهددهم بالجوع والخوف والمنع والحرمان .

قال تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . (٤)

فهذا المثل ضربه الله تعالى لأهل مكة ، بقوم كانوا في أمن واستقرار وسعادة ونعيم تأتيهم الخيرات والأرزاق بكثرة من كل الجهات

---

(١) لقمان / ٢٠ .

(٢) عبس / ٢٤ - ٣٢ .

(٣) النحل / ١٨ .

(٤) " / ١١٢ .

فابطرتهم ولم يشكروا الله على ما أتاهم من خير وما وهبهم من رزق فعصوا الله وتمردوا فبدل الله نعمتهم بنقمة ، وسلبهم نعمة الأمن والاطمئنان وأذاقهم آلام الجوع والخوف بسبب كفرهم ومعاصيهم .

قال الفخر الرازى[1] : " وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا فى الأمن والطمأنينة والخصب ،ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به ،وبالغوا فى ايذائه ، فعذبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام".

وقال تعالى : (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) .[2]

والمراد بهؤلاء كما ذكر المفسرون[3] : مشركو قريش الذين بدلوا نعمة الله عليهم بالكفر فكذبوا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وقاتلوه يوم بدر وعبدوا الاصنام ليضلوا الناس عن دين الله .

وبهذا يتبين لنا أن القرآن الكريم ذكر المشركين بأنواع من النعم لعلهم يشكرون وحذرهم من عقابه لعلهم يرجعون ، وتذكير المخاطبين بالنعم وتحذيرهم من العذاب والنقم يدعوهم الى التفكر بعين البصيرة لترك عبادة غير الله تعالى .

* * *

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٠/١٢٨ .

(٢) سورة ابراهيم / ٢٨ - ٣٠ .

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ١٣/٢١٩ ومابعدها وتفسير ابن كثير ٢/٥٨١ ، والقرطبى ٩/٣٦٤ .

٨ - الشرك خرافات وأوهـــام :-

أ - بيان ضعف الشركاء ومهانة الآلهة المدعاة :-

ولم يقف القرآن الكريم في دعوته للمشركين عند اقامة الحجج والبراهيم دون أن يبين لهم سخف ما هم عليه من عقيدة واهيـة وما أتخذوه من دون الله تعالى من آلهة مزعومة ، لا تخلق لهم ولا لغيرهم بل هي مخلوقة مصنوعة ، ولا تنصر عابديهـــا ، بل لا تملك لأنفسها نصرا ، ولا تدفع عنها ضرا سواء كانت تلك المعبودات من البشر أو من الحجر أو من الكواكب أو من الموتـى أو من غيرهم .

ولقد حاور القرآن أصحاب تلك العقائد الساذجة ، وتلـك العقليات السخيفة ، وخاطب عقولهم لايقاظها من تلك الغفلـة التي لا تليق بالعقل البشري مهما كانت طفولته ، وبين لهـم أن تلك المعبودات ضعيفة مهانة لا حول لها ولا قوة ، وانهـا لا تستطيع أن تنصر أنفسها فضلا عن أن تنصر غيرها .

قال تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقـون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتـون ، أن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيـد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعـون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، ان وليي اللـه الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والذين تدعون من دونه

لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون).(١)

ومن الآيات الواردة فى عجز تلك الآلهة المزعومة وضعفها وحقارتها وقلة شأنها ، وان الاله هو رب واحد لا شريك له قوله تعالى : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد ...) .(٢)

وعن فقر تلك المعبودات واحتياجها الى التقرب الى الله والتوسل اليه بالطاعة والعبادة قال تعالى :

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا).(٣)

وهل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض قادرين على احياء الموتى ؟ كلا بل اتخذوا آلهة جمادا لا تتصف بالقدرة على شيء قال تعالى :

(أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ، لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) .(٤)

بل ان هذه المعبودات التي عبدوها من دون الله تعالى لو اجتمعت كلها لما استطاعت خلق ذبابة صغيرة حقيرة ، بل

---

(١) الأعراف / ١٩١ - ١٩٨ .

(٢) النحل / ٢٠ - ٢٢ .

(٣) الاسراء / ٥٦ - ٥٧ .

(٤) الأنبياء / ٢١ - ٢٢ .

لو خطفت الذبابة شيئا من حقير الطعام وطارت به لما استطاعوا انقاذه وارجاعه منها رغم قلته وحقارته قال تعالى :

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) . (١)

وقال تعالى : (... والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) . (٢)

وما يبين حقارة تلك المعبودات وعجزها ما ذكره الله فى قصة ابراهيم عليه السلام مع الاصنام قال تعالى :

(فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين ، فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) . (٣)

الى غير ذلك من الآيات التى تدل على ضعف تلك المعبودات وعجزها وأنها لا تستطيع أن تقدم لعابديها أو المتبركين بها أو المتوسلين اليها أى خدمة مرجوة لا كبيرة ولا صغيرة ، وبالتالى يجب على المشركين أن يقلعوا عن عبادة تلك المعبودات الواهية والتقرب اليها ويخلصوا العبادة لله تعالى وحده الذى خلقهم وخلقها والقادر على الاحياء والاماتة والنفع والضر .

---

(١) الحج / ٧٣ - ٧٤ .

(٢) فاطر / ١٣ - ١٤ .

(٣) الصافات / ٩١ - ٩٦ .

ب - تسفيه وتهجين عقول المشركين :-

لقد تحدث القرآن الكريم عن المشركين كثيرا ، ووقف معهم طويلا ، وما ذلك الا لتصفية النفوس البشرية من أدران الشرك ورواسب الجهل ، وطالما طالبهم بالرجوع الى الفطرة والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والرزق والتدبير والملك والحفظ والرعاية، لأن الفطرة السليمة لا تملك الا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه وتعالى ، وما دامت الفطرة قد اعترفت بربها خالقها ورازقها فما الذى يمنعها من الاعتراف بالالهية الحقة وما الذى يمنعها من أن توحده فى ذاته وصفاته وأفعاله ؟

ان القرآن الكريم يتوجه الى مكنونات عقول المشركين والى فطرهم السليمة ، ويضع أيدهم على مفاتيح الحق ، ويشد بأبصارهم الى أنوار البصيرة ، كيف يرضى عاقل مدرك الوعى والشعور أن يمرغ جبهته أمام حجر أصم أو انسان ضعيف عاجز أو كوكب تسيره القدرة الالهية ، أو ميت هو فى حاجة ماسة الى عفو الله ورحمته وغفرانه ؟ كيف ينزل العقل الانسانى الى هذا الدرك الأسفل من التخلف العقلى مع اعترافه بأن للوجود ربا خالقا رازقا ؟ ولم يتوجه الى هذا الخالق العظيم مباشرة ؟ وهو القائل فى محكم كتابه :

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) . (١)

---

(١) البقرة / ١٨٦ .

لقد شن القرآن الكريم حملة عنيفة على من يعترف بآلهة أخرى مع الله تعالى أو يجعل له وساطات يتقرب بها اليه ، ويظهر القرآن فساد هذه الآلهة المدعاة وعجزها الشنيع ، وفقرها البالغ وحاجتها الماسة لمن يدبر أمرها ويقوم بحاجتها ، فضلا عن أن تعبد أو تقدم لها الفروض والقربات !

وقد تقدم معنا في مبحث ضعف الشركاء كثيرا من الآيات الدالة على عجز تلك الآلهة وسخف عقلية عابديها ، ونزيد هنا شيئا مما قدمه القرآن العظيم من تسفيه وتهجين لعقليات أولئك العابدين مع الله غيره .

من ذلك ما ذكره الله تعالى حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام : (... افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) .(١)
وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون) .(٢)
وقال تعالى عن قوم موسى عليه السلام الذين عبدوا العجل :
(أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) .(٣)
وقال تعالى : (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) .(٤)

---

(١) الأنبياء / ٦٦ - ٦٧ .
(٢) النحل / ٧٣ .
(٣) طه / ٨٩ .
(٤) الزمر / ٣٨ .

وقال تعالى : (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) . (١)

وعن ما وصل اليه المشركون من خطأ فادح وضلال كبير واضح يقول تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال) . (٢)

وقال تعالى : (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) . (٣)

وقال تعالى : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) . (٤)

ولفرط جهالتهم اتخذوا من لا يملك لهم شيئا أصلا شفعاء عند الله قال تعالى :

(أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) . (٥)

قال ابن كثير رحمه الله (٦) : " هذا ذم للمشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله - وهى الأصنام والأوثان التى اتخذوها

---

(١) الأنبياء / ٤٣ .

(٢) الرعد / ١٤ .

(٣) الأحقاف / ٥ - ٦ .

(٤) الروم / ٤٠ .

(٥) الزمر / ٤٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ٤ / ٦٠ بتصرف يسير .

من تلقاء أنفسهم ، بلا دليل ولا برهان ، وهى لا تملك شيئا من الأمر ، وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هى جمادات أسوأ حالا بكثير من الحيوانات ".

وبين لهم القرآن الكريم ان عبادة غير الله ظلم وافتراء وكذب على رب العالمين قال تعالى :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين) . (١)

وقال تعالى : (ومن أظلم ممن أفترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) . (٢)

وعن سذاجة عقول المشركين وفعلهم مع الأصنام يذكر ابن هشام وابن كثير (٣) ان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعدوان فى الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبا للأرامل ، ليعتبر قومهما بذلك ، ويرتأوا لأنفسهم فكان لعمرو بن الجموح ، وكان سيدا فى قومه صنم يعبده ويطيبه ، فكانا يجيئان فى الليل

---

(١) العنكبوت / ٦٨ .

(٢) الصف / ٧ - ٩ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٤٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٢٩٦ .

فينكسانه على رأسه ، ويلطخانه بالعذرة ، فيجيء عمرو بن الجموح ، فيرى ما صنع به ، فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له : انتصر ، ثم يعودان لمثل ذلك ويعود الى صنيعه أيضا ، حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ، ودلياه في حبل في بئر هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك نظر فعلم ان ما كان عليه من الدين باطل وقال :

والله لو كنت الها لم تكن … أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقاك الها مستدن … الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن … الواهب الرازق ديان الدين
هو الذي انقذني من قبل أن … أكون في ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدي النبي المرتهن

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حلوى فعبدوه دهرا طويلا ثم ادركتهم مجاعة فأكلوه وفيهم يقول الشاعر : (١)

أكلت بنو حنيفه ربها … زمن التقحم (٢) والمجاعة
لم يحذروا من ربهم … سوء العواقب والتباعة

وقال بعض المشركين حين وجد الثعلبان قد بال على رأس صنمه : (٣)

اله يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

---

(١) الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم الخليل ص ٥٢ .
(٢) التقحم أي زمن الشدة والقحط . القاموس المحيط ٤ / ١٦١ .
(٣) انظر كتاب الحيوان للجاحظ ٦ / ٤٩٨ - دار صعب / بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ . وتاج العروس للزبيدي ١ / ١٦٤ الطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ ، وكتاب الاصنام للكلبي ص ٤٧ .

ولهذه العقليات السخيفة فقد سفه القرآن الكريم عقليات المشركين واستهجن عبادتهم لأن تلك المعبودات لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنفع ولا تضر ، ولهذا فقد بين القرآن ان عبادتهم تلك ظلم وافتراء وكذلك على رب الارباب وان تلك العبادات ليس لها ما يبررها من دليل عقلى أو نقلى .

* * *

٩ - اضرار الشرك في الدنيا والآخرة :-

أ - أضرار الشرك في الدنيا :-

اما اضرار الشرك في الدنيا فان الاسلام حينما يتصدى لمهاجمة الشرك ومحاربته بجميع أشكاله وألوانه صغيرة وكبيرة ، فان غايته من ذلك هو تحرير الانسان من الخضوع والخنوع لأى مخلوق على ظهر هذه الأرض ، فالاسلام يريد للانسان هدفا أسمى وأعلى مما في عالمه ، يريد أن يكون خضوعه وانقياده لغير من يجوز عليه التغيير والفناء ، أراد ذلك لأن خضوع الانسان للمتغير الذى يعتوره الفناء ، معناه أن الانسان يصبح مضطربا في التوجه والعبادة في حياته ومضطربا في غايته وبالتالي فهو مضطرب في دوافع عمله وسلوكه .

فاذا فان مهاجمة الاسلام للشرك كانت لأجل أن يترفع الانسان عن عبادة الناقص المتغير الفانى الى عبادة من له الدوام والاستقرار والكمال . (١)

" ان الحياة التى يهيمن عليها الشرك ، لهى حياة بهيمية ، تعافها النفوس الزكية وتأنفها الطبائع الانسانية ، فهذه المخلفات التى تتركها وراءها رواسب الشرك والوثنية تعوق مسيرة الحياة ، وتخالف السنن الكونية ، تلك والله نتائج حرب الابادة والتدمير لكافة القيم والمعانى الروحية والأصلية . (٢)

ان الاسلام حينما يبين فساد الشرك وبطلانه وعدم الغفران لصاحبه اذا مات وهو مشرك كما جاء ذلك في قوله تعالى :

---

(١) انظر روح الدين الاسلامى - لعفيف طبارة ص ٩٦ بتصرف يسير .
(٢) انظر مصرع الشرك والخرافة ص ١٧٤ بتصرف يسير .

(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) .[1]

فما ذلك الا لأن الشرك بالاضافة الى كونه تنقص لرب العالمين وصرف العبادة لمن لا يستحقها من المخلوقين فانه وليد الخرافة والجهل لأنه يجلب من المساوئ للمجتمع ما لا يجلبه شيء آخر ، فهو الى جانب مناقضته للعقل والمنطق فانه يجعل الأذهان طيعة لقبول الأوهام والخرافات والأساطير التى تهدم كيانه وتضعفه وتقف حاجزا دون رقيه وازدهاره .

يقول الدكتور خليل هراس[2] : " اعجبنى كلمة لبعض الباحثين فى هذا الصدد أثبتها هنا بنصها يقول : " ان أكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، وحجب متلاطمة لا يقر لها قرار ، فهو يجعل الانسان عبدا للمخلوق ، وهو لا يعبد المخلوق الا جلبا لفائدة أو دفعا لضرر ، فهو فى الواقع عبد لمصلحته وبالتالى فهو عبد لنفسه ، وعبادة النفس معناها أن الشخص غير صالح ليكون عضوا عاملا على الرقى بالجماعة الانسانية ، محققا لسعادتها ، بل هو على الضد من ذلك يكون عدوا هادما لأركانها ساعيا فى شقائها دون أن يدرى . . . " .

ب - <u>اضرار الشرك فى الآخرة :-</u>

أما اضرار الشرك فى الآخرة فتتمثل فيما يلى :-

١ - احبط الأعمال .

---

(١) النساء/١١٦ .

(٢) الدعوة الى التوحيد ص ٧٥ - ٧٦ .

٢ - العذاب النفسي .

٣ - الخلود في نار جهنم .

١ - احباط الأعمال :

ولما كان الشرك بالله تعالى أكبر الكبائر وأعظم الذنوب والمعاصي وافظع المحرمات وأشنعها على الاطلاق ،وأن صاحبه خالد مخلد في النار اذا لم يتب الى الله تعالى ويمت على التوحيد ، لذلك فان الله عز وجل لا يقبل عملا من الأعمال مع الاشراك به مهما كان حجم ذلك العمل .

قال تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر نبيا :

(ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) . (١)

والمعنى لو فرض أن أشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو مكانتهم وقدرهم عند الله تعالى لبطل عملهم فكيف بمن سواهم ؟

وقد ذكر القرآن هذا تحذيرا من الشرك مع أن الشرك محال مع الأنبياء .

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية (٢) : " يقول تعالى ذكره ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره ، فعبدوا معه غيره لحبط عملهم أى بطل ، فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون ، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا ".

وقال تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم

---

(١) الأنعام / ٨٨ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٧/ ٢٦٣ .

في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) . (١)

روى ابن عباس في هذه الآية : " ان أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا ، يقول : من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله الا التماس الدنيا ، يقول الله تعالى : (أوفيه الذى التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمله لالتماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين) .

وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال أنس بن مالك والحسن : نزلت في اليهود والنصارى ، وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء ، وقال قتاده : من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يفضى الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . (٢)

وقال تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم :

(ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) . (٣)

قال ابن جرير (٤) : " لئن أشركت بالله شيئا يا محمد ، ليبطلن عملك ولا تنال به ثوابا ، ولا تدرك جزاء الا جزاء من أشرك بالله ، ... ولتكونن من الهالكين بالاشراك بالله ان أشركت به شيئا .

---

(١) هود / ١٥ - ١٦ .
(٢) انظر تفسير الطبرى ١٢ / ١١ - ١٢ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٤٧١ .
(٣) الزمر / ٦٥ - ٦٦ .
(٤) تفسير الطبرى ٢٤ / ٢٤ .

وقال ابن الجوزى[1] : " قال ابن عباس : هذا أدب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتهديد لغيره ، لأن الله عز وجل قد عصمه من الشرك .

وقال غيره : انما خاطبه بذلك ، ليعرف من دونه أن الشرك يحبط الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبى " .

وقال ابو السعود[2] : " والكلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل ، واقناط الكفرة ، والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه ".

ولقد جاءت الأحاديث النبوية تبين وتؤكد أن الله تعالى لا يقبل من الأعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم ،وأن من أشرك بالله فى شىء من أنواع العبادات فعليه أن يطلب الأجر والثواب من غير الله تعالى على وجه التحدى والتعجيز .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة[3] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه " .

قال النووى[4] : (ومعناه أنا غنى عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل شيئا لى ولغيرى لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائى باطل لا ثواب فيه ويأثم به) .

---

(١) زاد المسير ٧/١٩٥ .

(٢) تفسير أبى السعود ٧/٢٦٢ .

(٣) صحيح مسلم ٤/٢٢٨٩ كتاب الزهد ، باب من أشرك فى عمله غير الله حديث رقم ٤٦ .

(٤) شرح النووى على مسلم ١٨/١١٥-١١٦ .

وروى الامام أحمد وابن ماجه[1] عن أبى سعيد بن أبى فضالة الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يوم لا ريب فيه ، ناد مناد من كان أشرك في عمل عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غيرالله ، فان الله أغنى الشركاء عن الشرك " .

وروى مسلم وابن ماجه[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معى غيرى ، فأنا منه برئ ، وهو للذى أشرك " .

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تبين انه لا يقبل عمل مع الشرك بالله مهما كان حجم ذلك العمل .

٢ - العذاب النفسي :

ويرشد القرآن الكريم هؤلاء المشركين الذين يتخذون من دون الله شركاء وأندادا ليمدوا بأبصارهم وبصائرهم الى ذلك اليوم الذى يقفون فيه بين يدى الله الواحد الأحد ، ليروا عند ذلك أن القوة لله جميعا ، فلا شركاء ولا انداد مهما كان نوعها ، حيث تسقط جميع الرياسات والقيادات البشرية فضلا عن الجمادات التى كانوا يعبدونها ويتقربون اليها وأصبحت كلها عاجزة عن حماية

---

(١) مسند الامام أحمد ٣/٤٦٦ ، وسنن ابن ماجه ٢/١٤٠٦ ، كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة رقم الحديث ٤٢٠٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٢٨٩ كتاب الزهد ، باب من اشرك فى عمله غير الله رقم ٤٦ ، وسنن ابن ماجه ٢/١٥٠٥ ، كتاب الزهد باب الرياء والسمعة حديث رقم ٤٢٠٢ .

أنفسها فضلا عن حماية تابعيها وعند ذلك يتبرأ المتبوعون من التابعين وينشغل كل بنفسه تابعا أو متبوعا من شدة هول العذاب الذى يقطع كل الأواصر والعلاقات وكل وسائل القربى والمحبة .

وساعتها يعلم المشركون أن الاله الذى يدبر عالم الآخرة هو عين الاله الذى كان يدبر عالم الدنيا وانهم كانوا ضالين فى الملجأ الى سواه وفى اشراك غيره معه ،وان الضلال هو الذى هبط بعقولهم وأرواحهم ، وكل منشأ عقابهم وعذابهم .

قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ، اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) .(١)

وعن ما يقوله الله تعالى للمشركين المفترين عليه المكذبين بآياته يوم القيامة وما يقوله الأتباع للقادة والرؤساء منهم ومايجيبونهم به : (ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والأنس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) .(٢)

---

(١) البقرة / ١٦٥ - ١٦٧ .

(٢) الأعراف / ٣٨ - ٣٩ .

وقال تعالى : (... ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) . (١)

وقال تعالى : (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ، وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ، فحق علينا قول ربنا انا لذائقون ، فأغويناكم انا كنا غاوين ، فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون ، انا كذلك نفعل بالمجرمين ، انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أانا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ، انكم لذائقوا العذاب الأليم ، وما تجزون الا ما كنتم تعملون) . (٢)

ويذكر الله تعالى حال المشركين به فى الدار الآخرة وما يعانون هناك من العذاب الشديد ، وما يحل بهم من الأمر الفظيع ، وما يحصل لهم من الاضطراب النفسي الرهيب حيث يختلقون الاعذار الواهية ويتسترون وراء الخيال والأوهام ظانين أنها تغنى عنهم شيئا ، فيزعمون أنهم كانوا مؤمنين ، كما يلقى بعضهم التبعية

---

(١) سبأ/ ٣١ - ٣٣ .

(٢) الصافات/ ٢٧ - ٣٩ .

على الآخرين ويعلن البعض الآخر الكفر بما كانوا به مشركين ، ويلتجىء آخرون منهم الى الله قائلين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء رغم طرق الهداية الكثيرة التى بينها الله لهم فى الدنيا - كل ذلك نتيجة للاضطرابات العصبية العنيفة التي تثيرها الحسرة والندامة ولكن حين لا ينفع الندم ، حين ينكشف الغطاء وتظهر الحقيقة التى لا مفر منها ، فلا شركاء ولا شفعاء ولا أنداد ولا غيرهم ،وأن جميع المتبوعين يتبرأون من التابعين ، عند ذلك يعلم المشركون أن القوة لله وحده ، وأنه لا اله غيره ، فلو تدبر هؤلاء المشركون واتعظوا بما سيحصل لهم من عذاب الله هناك لانتهوا عما هم فيه من الشرك والضلال ووحدوا الله الذى لا اله غيره فى الدنيا ولا فى الآخرة .

هناك تتبرأ الملائكة من الذين يزعمون أنهم يعبدونهم فى الدنيا فتقول الملائكة : (تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) (١) ويقولون : (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) . (٢)

وتتبرأ الجن منهم كذلك ويتنصلون من عبادتهم لهم قال تعالى : (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) . (٣)

---

(١) القصص / ٦٣ .

(٢) سبأ / ٤١ - ٤٢ .

(٣) الأحقاف / ٥ - ٦ .

وقال تعالى : (وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) . (١)

قال الفخر الرازى قال المفسرون(٢) : (اذا استقر أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار ، أخذ أهل النار فى لوم ابليس وتقريعه فيقوم فى النار فيما بينهم خطيبا ويقول ما أخبر الله عنه بقوله : (وقال الشيطان لما قضى الأمر) .

وقال تعالى : (واتخذوا من دون الرحمن آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) . (٣)

وقال الخليل - عليه السلام - لقومه : "(انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) . (٤)

وفى اليوم الآخر يسأل الله المشركين عن الأصنام والأنداد التى كانوا يعبدونها من دونه فيقول تعالى :

(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ، ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا

---

(١) ابراهيم / ٢٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ١١٠ .

(٣) مريم / ٨١ - ٨٢ .

(٤) العنكبوت / ٢٥ .

ماكنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون) . (١)

قال ابن عباس رضى الله عنهما (٢) : " أما قوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) فانه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة الا أهل الاسلام فقالوا : تعالوا لنجحد (قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم (ولا يكتمون الله حديثا) .

وقال تعالى : (ويوم يناديهم فيقول أين شركاى الذين كنتم تزعمون ، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ، وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) . (٣)

وان الكفار ليتمنون العودة الى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ويؤمنوا ايمانا صادقا حين يظهر لهم ما كانوا يخفونه فى أنفسهم من الكفر والمعاندة قال تعالى :

(ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ،بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) . (٤)

---

(١) الأنعام / ٢٢ - ٢٤ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى ٧ / ١٦٨ ، تفسير ابن كثير ٢ / ١٣٧ وزاد المسير لابن الجوزى ٣ / ١٧ الهامش .

(٣) القصص / ٦٢ - ٦٤ .

(٤) الأنعام / ٢٧ - ٢٨ .

وأنهم يأتون يوم القيامة وحدانا ليس معهم شيء من الأنداد أو الأصنام أو الشفعاء الذين يزعمون انهم يشفعون لهم ، والذين ظنوا انهم شركاء في استحقاق العبادة قال الله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون).(١)

ويبين تعالى حالة المجادلين في آيات الله المكذبين لرسله وما جاؤا به ما ينتظرهم من العذاب الشديد في الآخرة وهناك يقال لهم على سبيل التبكيت والسخرية أين معبوداتكم الذين كنتم تعبدونهم في الدنيا ؟

ووقتها يضطرب المشركون في الجواب : فتارة يقولون : غابوا عنا فلا نراهم ، وتارة يجحدون عبادتهم لها ويقولون لم نكن نعبد شيئا ، وتارة يرجعون ذلك الى مشيئة الله تعالى ، ولكن ذلك التملص وتلك الاعذار لا تجديهم من عذاب الله وعقابه شيئا . قال تعالى : (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون ، في الحميم ثم في النار يسجرون ، ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ، ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ، ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) . (٢)

---

(١) الأنعام / ٩٤ .

(٢) غافر / ٦٩ - ٧٦ .

وقال الله تعالى عنهم : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يكن ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا . . .) .(١)

وقال تعالى : (ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد) .(٢)

وقال تعالى : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) .(٣)

الى غير ذلك من الآيات التى تصف حال المشركين فى الآخرة حين يتخلى عنهم الشفعاء والأنداد ، وما يحصل لهم فى ذلك اليوم الرهيب من ارتباك واضطراب نفسى عندما يواجهون مصيرهم الى نار جهنم ، نجانا الله منها ، وأن أمرا هذا شأنه لجدير بالعناية والتأمل والخوف والحذر من الوقوع فيه .

٣ - الخلود فى نار جهنم :-

ولعظم جريمة الشرك وكبر بشاعته وشناعته فقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى لن يتسامح مع مرتكبى هذا الجرم الفظيع وأن الشرك يقطع الصلة بين الله تعالى وبين العباد ، فلا يبقى لهم معه أمل من المغفرة والرحمة اذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون .

---

(١) غافر / ٨٤ - ٨٥ .

(٢) فصلت / ٤٧ .

(٣) النحل / ٣٥ .

ولاشك أن الانسان اذا لم تدله دلائل التوحيد المبثوثة ، في هذا الكون الكبير ، وما جاء به الرسل الكرام من هداية البشرية أن نفسه قد فسدت فسادا لا رجعة فيه ،وأنه لم يبق في نفسه عنصر من عناصر الخير والصلاح ، وأن فطرته التي فطره الله عليها قد انتكست وارتدت الى أسفل سافلين . وبذلك فقد تهيأت بذاتها الى حياة الخلود في دار الجحيم والعياذ بالله .

والآيات الكثيرة التي تبين أن المشرك اذا مات قبل أن يتوب الى الله عز وجل توبة صادقة فانه يخلد في النار كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما)[1].

قال الطبري[2] : (وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه عليها مالم تكن كبيرته شركا بالله) .

وقال ابن الجوزي[3] : " والمراد من الآية : لا يغفر الله لمشرك مات على شركه . وفي قوله : (لمن يشاء) نعمة عظيمة من وجهين ، أحدهما : أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب ، وان مات مصرا . والثاني : أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين ، وهو أن يكونوا على خوف وطمع " .

---

(١) النساء / ٤٨ .

(٢) تفسير الطبري ٥/١٢٦ .

(٣) زاد المسير ٢/١٠٣-١٠٤ .

وقال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) . (١)

وقال تعالى : (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ، الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) . (٢)

وقال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . (٣)

وقال تعالى : (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ، الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ،أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ، قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بأيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) .(٤)

وقال تعالى : (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ،لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون

---

(١) النساء / ١١٦ .

(٢) النساء / ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) المائدة / ٧٢ .

(٤) الكهف / ١٠٠ - ١٠٦ .

لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون). [1]

ومعنى الآيات الكريمة أى انكم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام حطب جهنم ووقودها يوم القيامة ولو كانت هذه الأصنام والأنداد التى اتخذتموها من دون الله تعالى آلهة صحيحة لما وردوا النار ولما دخلوها ، ولكن كلا من العابدين والمعبودين فى نار جهنم خالدون مخلدون ، وأن لهؤلاء الكفرة فى النار أصوات تخرج من قلوبهم المحزونة ولكنهم مع هذا لا يسمعون من تلك الأصوات شيئا لأنهم يحشرون صما كما قال تعالى : (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما). [2]

قال المراغى [3] : " أى ونجمعهم فى موقف الحساب بعد تفرقهم من القبور - عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه ، فهم فى الآخرة لا يبصرون ما تقر به أعينهم ، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ، ولا ينطقون بما يقبل منهم كما قال تعالى : (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا). [4]

وفى عدم سماع أهل النار ذكر ابن جرير [5] والسيوطى [6] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : " اذا ألقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ،ثم جعلت التوابيت فى توابيت أخرى فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن فى النار

---

(١) الأنبياء / ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) الاسراء / ٩٧ .

(٣) تفسير المراغى ١٥/٩٨ - ٩٩ .

(٤) الاسراء / ٧٢ .

(٥) تفسير ابن جرير ١٧/٩٥ .

(٦) الدر المنثور ٤/٣٣٩ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم وابن ابى الدنيا فى "صفة النار" والطبرانى ،والبيهقى فى البعث .

أحـــد يعـــذب غيـــــره .." .

وزاد ابن الجوزى[1] قولين آخرين :

أحدهما : أن السماع أنس والله لا يحب أن يؤنسهم .

والآخـــر : انما لم يسمعوا لشدة غليان جهنم .

وقال تعالى : (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون مـــــن المعذبين) .[2]

وقال تعالى : (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليـــه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعـــل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك مـــــن أصحاب النار) .[3]

وقال تعالى : (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) .[4]

وثبت فى صحيح البخارى[5] عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من مات وهو يدعـــو من دون الله ندا دخل النار " .

وفى صحيح مسلم[6] عن جابر رضى الله عنه قال سمعـــت

---

(١) زاد المسير ٥/٣٩٢ .

(٢) الشعراء /٢١٣ .

(٣) الزمر /٨ .

(٤) البينة /٦ .

(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح ٨/١٧٦ كتاب التفسير ، باب ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا " وأحمد ١/٣٧٤ .

(٦) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٤ كتاب الايمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار حديث رقم ١٥٢ ، وفى الباب أحاديث نحوه انظر الأحاديث رقم ١٥٠ ، ١٥١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار " . الى غير ذلك من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التى تبين المصير الأسود الذى ينتظر المشركين يوم القيامة وهو الخلود الأبدى السرمدى فى نار جهنم .

والحق ان ذلك تقتضيه العدالة الالهية بين البشر بعد أن أوضح الله لهم سبل الهداية وأرشدهم الى طريق العبادة الصحيحة ، اذ لا يستوى الموحدون والمشركون فى ميزان الله تعالى ، فالموحدون يستحقون الأجر والثواب على توحيدهم لربهم واخلاصهم له فى العبادة ، والمشركون بالله يستحقون العذاب والنكال على شركهم وعصيانهم لله الذى خلقهم واتباعهم طرق الغواية وتنقصهم لرب العالمين .

* * *

(البـاب الثـالث)

دحـض شبهـات المشـركـين

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : دحض شبهات المشركين حول بعض المسائل الغيبية .

الفصل الثانى : دحض شبهات المشركين حول الرسالة .

الفصـــــل الأول

دحض شبهات المشركين حول بعض المسائل الغيبية

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الاول : حقيقة الملائكة وأراجيف المشركين حولهم .

المبحث الثانى : انكار المشركين لليوم الآخر ومنهج القرآن فى اثباته .

المبحث الثالث : بيان الحق فى أمر الشفعاء .

المبحث الرابع : بيان الحق فى أمر الأولياء .

(المبحث الأول)

حقيقة الملائكة واراجيف المشركين حولهم :

الملائكة فى الاصل جمع ملأك ، ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل : ملك وقيل : أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك ، وهى الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع (١)

وسميت الملائكة ملائكة بالرسالة ، لأنهم رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن ارسلت اليه من عباده . (٢)

وهم أرواح قائمة فى أجسام نورانية قادرة على التمثل بأنواع مختلفة الشكل بأذنه تعالى مناسبة للحال التى يأتون فيها ففى صحيح مسلم (٣) عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ".

وقد أخبر الله تعالى عن المشركين انهم جعلوا الملائكة " الذين هم عباد الرحمن اناثا " وجعلوهم بنات الله ، وعبدوها معه فأخطأوا خطأ كبيرا فى كل مقام من هذه المقامات الثلاث " (٤)

وقد جادل القرآن الكريم هؤلاء المشركين فى عدة مواضع وألزمهم بالحجة البالغة وبين سخافاتهم الوثنية من ذلك قوله تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (٥)

---

(١) انظر لسان العرب (١٠/ ٤٩٦) والنهاية لابن الاثير (٤/ ٣٥٦) .
(٢) انظر تفسير الطبرى (١/ ١٩٨)
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٤) كتاب الزهد باب أحاديث متنوعة رقم ٦٠
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢١)
(٥) النحل (٥٧ — ٥٩)

لقد اختاروا لأنفسهم البنين مع كراهتهم للبنات واحتقارهم لهن فان أحدهم اذا أخبر بولادة بنت صار وجهه متغيرا من الغم والحزن ، ومسودا من الغيظ والكآبة ولذلك فانه يتوارى من قومه خجلا من العار الذى قد يلحقه بسبب مجىء البنت وكأنها فى نظره بلية من البلايا وليست هبة الهية من الله تعالى .

ثم يفكر فيما يصنع بهذه البنت أيمسكها على الذل والهوان أم يدفنها فى التراب وهى حية وهذا هو المذكور فى قوله تعالى : (واذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت) (١)

وقوله تعالى : (ساء ما يحكمون) فى آية النحل : أى ساء وقبح حكمهم فى نسبتهم لخالقهم البنات وهن عندهم مستحقرات واضافتهم لأنفسهم البنين لشرفهم عندهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وقال تعالى : (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون . ألا انهم من افكهم ليقولون . ولد الله وانهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون) (٢)

وهذا الكلام يشتمل على أمرين :

الأول : اثبات البنات لله وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنت والشىء الذى يستنكف المخلوق منه كيف يمكن اثباته للخالق ؟

---

(١) التكوير (٨ — ٩)

(٢) الصافات (١٤٩ — ١٥٩)

الثانى : اثبات أن الملائكة اناث ، وهذا أيضا باطل لأن طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر .

أما الحس فمفقود ههنا لأنهم ماشاهدوا كيفية تخليق الله للملائكة وهو المراد من قوله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) .

وأما الخبر فمفقود أيضا لأن الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا ، وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون أفاكون ، لم يدل على صدقهم لا دلالة ولا أمارة ، وهو المراد من قوله تعالى : (ألا انهم عن افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون)

وأما طريق النظر فمفقود وبيانه من وجهين :

الأول : ان دليل العقل يقتضى فساد هذا المذهب ، لأن الله تعالى له الكمال المطلق ، والأكمل لا يليق به اصطفاء الأخس ، وهو المراد من قوله : (أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) .

يعنى اسناد الأفضل الى الافضل أقرب عند العقل من اسناد الأخس الى الأفضل ، فان كان حكم العقل معتبرا فى هذا الباب كان قولهم باطلا .

الثانى : أن نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا ذلك ظهر ضده وهو خلو الدعوى من أى دليل يدل على صحة قولهم وهذا هو المراد من قوله تعالى : (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) فثبت بما ذكر أن القول الذى ذهبوا اليه لم يدل على صحته لا الحس ولا الخبر ولا النظر ، فكان المصير اليه باطلا قطعا .(١)

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى (٢٦/ ١٢٧ — ١٢٨) بتصرف .

وقال تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءًا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) (١)

فهذه الآيات الكريمة هى على شاكلة الآيات السابقة فى معالجة مفتريات المشركين فى الملائكة بالأدلة العقلية ومناقشتهم بمنطق الحجة والبرهان .

والآيات الكريمة تناقشهم فيما يلى : (٢)

١ – جعلهم لله جزءًا من عباده وقد أنكر القرآن عليهم ذلك فى قوله تعالى : (وجعلوا لله من عباده جزءًا) ومعنى ذلك أنهم أثبتوا لله ولدا فان ولد الرجل جزء منه ، ولا شك أن اثبات الولد لله تعالى محال قطعا ، لذلك فقد أكد الله سبحانه كفرهم بقوله : (ان الانسان لكفور مبين) أى ان الانسان بجحوده بنعم الله التى انعمها عليه ظاهر الكفر لمن تأمل حاله وتدبر أمره .

---

(١) الزخرف (١٥ – ٣٢)
(٢) انظر فى ذلك تفسير ابن كثير (٤/١٤٣) والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/٢٠٠) وما بعدها ، وتفسير المراغى (٢٥/٧٦ – ٨١)

٢ ـ مناقشتهم عن سر اختيارهم للبنين وجعلهم البنات لله رب العالمين

جاء ذلك فى الانكار عليهم فى قوله : (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) وقد تقرر عند هؤلاء المشركين تفضيل البنين على البنات ، فلو كان مرجع القسمة الى العقل لكان الله أولى بالبنين من البنات ، ولو كان مرجعها الى العدل ـ بصرف النظر عن استحالة ذلك أو امكانه ـ لكان العدل يقتضى على أسوأ تقدير التسوية فى القسمة ، ولكنهم تجاوزوا فى الطغيان والسذاجة حدود المألوف من الذوق والفطرة الانسانية قال تعالى : (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) (١) أى قسمة جائرة وغير عادلة .

٣ ـ بينت الآيات أن الأنثى محل نقص فى الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما فى معناه ليجبر من نقصها كما قال بعض شعراء العرب : (٢)

وما الحلى الا زينة من نقيصة … يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفرا … كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وأما نقص معناه فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : (٣)

ماهى بنعم الولد ، نصرها بكاء وبرها سرقة

وهذا مما يبين سوء نظرتهم للبنت .

---

(١) النجم (٢٢)
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٤)
(٣) المرجع السابق والصفحة

قال صاحب التسهيل عند هذه الآية : [(١)] (" والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله ، كأنه قال : أجعلتم لله من ينشأ فى الحلية ؟ يعنى يكبر وينبت فى استعمالها ، وذلك صفة النقص ، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى فقال : (وهو فى الخصام غير مبين) يعنى أن الأنثى اذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها ، وقلما تجد امرأة الا تفسد الكلام ، وتخلط المعانى ، فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص " وقد زادت الآيات المشركين توبيخا وانكارا فى قوله : (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) .

والمعنى أن الذى بلغ حاله فى النقص الى هذا الحد كيف يجوز للعاقل اثباته لله تعالى ؟ وعن بعض العرب أن امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذى فيه المرأة فقالت : [(٢)]

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا ... وليس لنا من أمرنا ماشينا

وانما نأخذ الذى أعطينا

وفى قوله : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه قولهم الشنيع وهو اعتقادهم بأن الملائكة ــ الذين خلقوا لعبادة الله وطاعته ــ اناث . وقد رد الله عليهم مقالهم هذا فقال : (اشهدوا خلقهم) أى أحضروا وقت خلق الله لهم حتى يحكموا بأنهم اناث ؟

وفى هذا تجهيل للمشركين ورمى لهم بالسفه والحمق ثم توعدهم على مقالهم بقوله : (ستكتب شهادتهم ويسألون) أى ستكتب هذه الشهادة

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٤٧)
(٢) الفخر الرازى (٢٧/ ٢٠٢) روح المعانى للألوسى (٢٥/ ٧٠)

التى شهدوا بها فى الدنيا فى ديوان أعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة ليأتوا ببرهان على صحتها ولن يجدوا لذلك سبيلا .

٤ ـ مناقشتهم فى احتجاجهم بالقدر لعبادتهم الباطلة جاء ذلك فى قوله :

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى وقالوا لو شاء الله لحال بيننا وبين عبادة الملائكة والأصنام فانه تعالى عالم بذلك وقد أقرناعليه .

قال ابن كثير :[1] "وقد جهلوا فى هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى قد انكر ذلك عليهم أشد الانكار ، فانه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه .."

وقال القرطبى :[2] " وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل ، فكل شىء بارادة الله ، والمشيئة غير الرضى ، ولا يصح الاحتجاج بالمشيئة فانهم لو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ذلك .

ونستطيع أن نقول بأن مشيئة الله تعالى وارادته نوعان : مشيئة قدرية كونية ومشيئة شرعية .

فالمشيئة الشرعية هى المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات .

والمشركون جعلوا المشيئة الكونية والعامة دافعة للأمر والنهى ، ولم يذكروها على جهة التوحيد وانما ذكروها معارضين بها لأمر الله دافعين بها شرعه .[3]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٤) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٧٣)
(٣) انظر شرح الطحاوية ص (١١٦) ص (١٥٤) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ، ٣/ ١١١) .

٥ ـ افهام المشركين بأن عباداتهم فى ذلك كله ليس لها دليل ولا برهان بل بمجرد الآراء والأهواء وتقليد الآباء والأجداد " مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون " أى مالهم على ما قالوا مستند يستندون اليه فى تأييد دعواهم ، وما هم الا متقولون على الله زورا وبهتانا .

ولما بين تعالى بطلان قولهم بالعقل اتبعه ببطلانه بالنقل فقال تعالى : (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) أى هل أنزلنا على هؤلاء المشركين كتابا من قبل هذا القرآن ينطق بصحة ما يدعون حتى يعولوا عليه ويتمسكوا بتوجيهاته ؟

ولما لم يكن لهم حجة على ما زعموا اعترفوا بأنه ليس لديهم مستند سوى تقليد آبائهم الجهلة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) فلما عجزوا عن الأتيان بما يبرر هذا الافتراء بطل قولهم وسقطت شبهتهم وظهر أمر الله متمثلا فى عقيدة التوحيد الخالصة من ادران الشرك ورواسب الوثنية .

ثم بين سبحانه وتعالى أن مقال هؤلاء سبقهم الى مثله أشباههم من الأمم المكذبة للرسل فقال تعالى : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وفى هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ودلالة على أن التقليد فى مثل ذلك ضلال قديم ، واسلافهم لم يكن لهم سند منظور يعتد به ".(١)

---

(١) انظر تفسير البيضاوى (٢/٣٦٥) والمراغى (٢٥/٨٠) .

بيان القرآن لحقيقة الملائكة :

والقرآن الكريم يخبرنا بالكثير عن حقيقة الملائكة وأعمالهم فى الكون وعلاقتهم بالانسان فى الدنيا والآخرة .

ومن أهم أعمالهم وابرزها ابلاغ الوحى الالهى الى الرسل عليهم السلام قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم) (١)

وأخبر الله تعالى أن الملائكة تظهر فى صفوف منتظمة ، تسبح له وتتلو آياته ، فتلهم الحق والخير وتزجر عن الكفر والشر وقد اقسم الله تعالى بها وذلك فى قوله تعالى (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . ان الهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) . (٢)

ظهور الملائكة فى صور البشر :

وقد تظهر الملائكة فى صور رجال من البشر لكن هذا لا يعنى انها تمارس ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز مثل الأكل والشرب وغيره .

فقد جاءت الملائكة ابراهيم عليه السلام تبشره بمولد ابنه اسحاق على هيئة رجال من البشر ، ولما كان ابراهيم عليه السلام لم يعرفهم بعد فانه سارع

---

(١) فاطر (١ — ٢)
(٢) الصافات (١ — ٥)

باعداد وليمة لاطعامهم لكن الملائكة امتنعت عن الأكل الذى قدمه لهم ابراهيم ولم تمتد له أيديهم فشعر ابراهيم عند ذلك بالخوف والريبة ولكنهم اخبروه بأنهم رسل الله الى قوم لوط عليه السلام .

قال تعالى : (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت ياويلتى أ ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد)(١)

ومن ظهور الملائكة فى صورة البشر ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من أن جبريل عليه السلام كان يأتيه فى صورة رجل اعرابى حسن المنظر .

من ذلك حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :(٢) " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الاسلام ؟ فقال : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ... " الحديث .

وفيه قال : ثم انطلق فلبث مليا ثم قال : ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " .

---

(١) هود (٦٩ — ٧٣)

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٧) كتاب الايمان حديث رقم ١

طاعة الملائكة لربهم وشهادتهم بوحدانيته :

والملائكة يخشون الله تعالى . ويخافون عقابه ومن طبيعتهم الطاعة وعدم العصيان قال تعالى : (ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)(١)

وهم يشهدون بوحدانية الله تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)(٢)

ويشهدون على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا)(٣)

وهم يحملون عرش ربهم ويستغفرون للمؤمنين (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)(٤) .

وهم درجات عند ربهم ولكل منهم مقام لا يتعداه قال تعالى : (وما منا الا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون . وانا لنحن المسبحون)(٥)

حفظ الملائكة للانسان فى الدنيا باذن الله :

ولقد جعل الله من الملائكة رحمة للانسان تحفظه من الأذى ، وتحفظ عليه حياته الى نهاية أجله .

---

(١) النحل (٤٩ ـ ٥٠)
(٢) آل عمران (١٨)
(٣) النساء (١٦٦)
(٤) غافر (٧)
(٥) الصافات (١٦٤ ـ ١٦٦)

قال تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) (١)

وقال تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) (٢) .

وقد أيد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالملائكة فى هجرته من مكة الى المدينة قال تعالى : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) (٣)

مشاركة الملائكة المسلمين فى بعض الغزوات :

وفى غزوة بدر حيث كان المسلمون فى قلة من العدد والسلاح لا يتميزون الا بما اطمأنت به قلوبهم من عقيدة التوحيد الخالص والثقة فى نصر الله الذى سعوا اليه بالعزم الصادق والتضرع الخالى من الغرور والكبرياء أمد الله المسلمين بألف من الملائكة مردفين قال تعالى : (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) (٤)

وفى غزوة الأحزاب نزلت الملائكة وكان ما فعلته بالكافرين ، وما ألقته فى قلوبهم من الرعب كفيلا بردهم خائبين قال تعالى :

---

(١) الانعام (٦١)
(٢) الرعد (١١)
(٣) التوبة (٤٠)
(٤) الانفال (٩)

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) (١) .

وفى يوم حنين نزلت الملائكة ونكلت بالكافرين جزاء لهم على كفرهم وبغيهم على المؤمنين بالله تعالى قال سبحانه : (وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) (٢) .

تسجيل الملائكة لافعال العباد :

ومن الملائكة المكلفين بمراقبة الناس فى جميع حركاتهم وسكناتهم وتسجيل كل ما يصدر عنهم من خير وشر .

قال تعالى : (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٣)

وقال تعالى : (وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون) (٤)

وقال تعالى : (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (٥)

تنزيل الملائكة لتثبيت المؤمنين عند الموت :

وليست علاقة الملائكة بالناس فى الدنيا فحسب بل انها تتنزل عند الموت على الذين آمنوا بالله صدقا وأخلصوا العمل له بأن لا يخافوا مما يقدمون عليه من أهوال القيامة ولا يحزنوا على ما تركوه فى الدنيا من الأهل

(١) الاحزاب (٩)
(٢) التوبه (٢٦)
(٣) ق (١٧ — ١٨)
(٤) الانفطار (١٠ — ١٢)
(٥) الزخرف (٨٠)

والمال والولد ، وأن لهم الجنة وأن الملائكة انصارهم وأولياؤهم فى الدنيا والآخرة يوشدونهم الى مافيه الخير والسعادة .

قال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم)(١)

وحين يتعرض المؤمنون لغمرات الموت فان الملائكة تبشرهم بالجنة وتبعث فى نفوسهم الأمن والسكينة قال تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)(٢)

حسن استقبال الملائكة للمؤمنين فى الآخرة :

وتستقبل الملائكة المؤمنين على أبواب الجنة يهنئونهم بما هم قادمون عليه فلا تخيفهم أهوال يوم القيامة قال تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون)(٣)

وفى الجنة ينعم المؤمنون بتسليم الملائكة عليهم وترحيبهم بهم قال تعالى : (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)(٤)

---

(١) فصلت (٣٠ — ٣٢)
(٢) النحل (٣٢)
(٣) الأنبياء (١٠٣)
(٤) الرعد (٢٣ — ٢٤)

تعنيف الملائكة للكفار عند قبض أرواحهم :

وعلى النقيض مما سبق يكون موقف الملائكة مع الكافرين الجاحدين ذلك أنه من بدء سكرات الموت فان الملائكة تتلقف أولئك الخاسرين بالتعنيف والأذى والحساب العسير على ما فرطوا فى جنب الله واتباعهم للعقائد الضالة ، ثم يعرضون عليهم مشاهد مما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة . قال تعالى : (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون) .(١)

وقال تعالى : (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) .(٢)

وقال تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) .(٣)

وقال تعالى : (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)(٤)

---

(١) الانعام (٩٣ — ٩٤)
(٢) الانفال (٥٠ — ٥١)
(٣) النحل (٢٨ — ٢٩)
(٤) النساء (٩٧) .

لعن الملائكة للكفـــــار :

وهم يلعنون الكفار مع لعن الله لهم والناس أجمعين قال تعالى :

(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنـاس أجمعين) (١)

الملائكة لا يملكـون من الامر الا ماشاء الله :

وعلى الرغم مما رأينا من الصلة الوثيقة بين الملائكة والانسان فـى جميع مراحله المختلفة سواء أكان ذلك قبل الموت أم بعده ، فانهـــا لا تملك من أمره شيئا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وكل ما يمكن قوله ان الملائكة جنود الله وعبيده منفذون لأوامره كما قال تعالى : (لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) .

أما الأمر فكله لله تعالى لا يشاركه فيه من خلقه مشارك ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم انى الـه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) (٣) .

وقال تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئـا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٤)

---

(١) البقرة (١٦١)
(٢) التحريم (٦)
(٣) الأنبياء (٢٦ ـ ٢٩)
(٤) النجم (٢٦)

وقال تعالى : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) (١)

وقال تعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) (٢)

الأمر بالايمان بالملائكة :

وقد أمر الله تعالى عباده بالايمان بهم والتصديق بوجودهم بل وقرن الايمان به تعالى بالايمان بهم قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) (٣) .

وجعل تعالى انكارهم كفرا وضلالا قال تعالى : (... ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (٤) .

خلاصة ما تقدم :

ومن هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد بين منزلة الملائكة عند الله تعالى بما لا يحتمل الجدل والمناقشة ، فما الملائكة الا عباد مكرمون يفعلون ما يؤمرون ، وهم يحصون اعمال العباد ، وحملة عرش الرحمن .

---

(١) آل عمران (٧٩ — ٨٠)

(٢) النساء (١٧٢ — ١٧٣)

(٣) البقرة (٢٨٥)

(٤) النساء (١٣٦)

تبارك وتعالى ، ويطوفون حوله ويسبحون بحمد ربهم وينزلون فيما عظم من الأمور بأذن الله تعالى ويشهدون بواحدانيته ، ويشهدون على صحة ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن وحمل الرسالة .

وهم يثبتون المؤمنين فى جهادهم ويصلون عليهم ويتلقونهم عند وفاتهم بالبشرى والتحية الطيبة والتكريم الحسن والاستغفار لهم ، فى حين انهم يعاملون الكفار عند الوفاة بالشدة والقسوة ، ويتلقونهم فى الآخرة بمثل ذلك ويلعنونهم .

ومع ذلك كله فان الملائكة مهما علت منزلتهم وعظمت اقدارهم عند ربهم فانهم لا يخرجون عن كونهم عبيدا لله تعالى خاضعين له مشفقين من خشيته عارفين لحدودهم فلا يتكلمون ولا يشفعون الا بأذن ربهم ورضاه .

وفى ذلك كله الرد القاطع على مفاهيم المشركين الخاطئة نحو الملائكة والتصحيح لما فى اذهانهم من انحرافات وخرافات .

(المبحث الثـانى)

انـكار المشركين لليوم الآخر ومنهج القرآن فى اثباته :

الحكمة من البعث :

لقد خلق الله الخلق لعبادته وكلفهم بالعبودية له فقال تعالى :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (١)

وبين تبارك وتعالى للناس طريق الخير وطريق الشر ليكونوا على بينة من أمرهم ، ولما كانت الطبيعة البشرية فيها الاستعداد لقبول الخير والشر كما قال تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (٢)

ولما كان الخالق الحكيم لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى كما قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) (٣)

وقوله تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى) (٤)

لذلك فان عدل الله وحكمته واعطاءه لكل ذى حق حقه وتفريقه بين الخبيث والطيب والمحسن والمسيء ، وأن لا يكون من كفر بالله وعصاه كمن عبده وأطاعه . لهذا فان الله تعالى يأبى الا أن يكون هناك يوم آخر بعد هذه الحياة لينال فيه كل انسان جزاء عمله من الثواب والعقاب .

جاء ذلك واضحا فى قوله تعالى :

---

(١) الذاريات (٥٦)

(٢) الشمس (٧ - ٨)

(٣) المؤمنون (١١٥)

(٤) القيامة (٣٦ - ٤٠)

(اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) (١)

وقوله تعالى : (ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) (٢) وقوله تعالى : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) (٣)

وواقع الحال أننا نرى كثيرا ممن ارتكبوا جرائم فى هذه الحياة يفارقونها وهم متلبسون بجرائمهم ولم يقتص منهم ، كما نرى أناسا آخرين يفادرونها وهم مظلومون ولم ترد اليهم مظالمهم ولم يقتص من ظالميهم ، كما نرى اشرارا فى الدنيا منعمين وأخيارا معذبين مع العلم أن ذلك كله واقع بعلم الله القوى القادر السميع البصير الذى لا تخفى عليه خافيه ، والذى قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما ولكنه تعالى يمهل ولا يهمل .

لذا والحالة هذه فانه اذا ذهب كل انسان بما فعل ظالما أو مظلوما دون محاسبة أو مجازاة كان ذلك خدشا فى حق الاله العظيم وعدله تبارك وتعالى ، فلابد اذا من يوم يقف فيه الظالم والمظلوم ، والقائم بالتكاليف الالهية والتارك لها بين يدى الخالق جل وعلا ليقتص من الظالم للمظلوم ولينال كل من المحسن والمسىء جزاءه المستحق كما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٤)

---

(١) يونس (٤)
(٢) طـه (١٥)
(٣) ص (٢٨)
(٤) الأنبياء (٤٧)

وقال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (١)

لهذا كله فان الحكمة واضحة فى أنه لابد من حياة أخرى غير هذه الحياة يحضر فيها الجميع بين يدى الخالق تبارك وتعالى لمجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الارادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الدنيا ، لأن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، كما قال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) (٢)

وقال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (٣)

شبه منكرى البعث :

ومع ظهور الحكمة فى اعادة الحياة الى الموتى للحساب والجزاء فان بعضا من المشركين قد ضلوا فى هذا الباب والحق أنهم ليس لهم مستند فيما ذهبوا اليه سوى الانكار والاستبعاد الناتج من تصورهم لتفتت العظام وتحلل الاجساد بعد الموت الى ذرات ترابية صغيرة واختلاط تلك الاجزاء الصغيرة بالأرض والنبات .

وقد قص الله تعالى مقولات هؤلاء المنكرين وشبهاتهم فى كتابه الكريم والتى تعود كلها كما قلت الى الانكار والاستبعاد .

---

(١) الجاثية (٢١)
(٢) آل عمران (١٨٥)
(٣) التغابن (٧)

قال تعالى : (وقالوا أأذا كنا عظاما ورفاتا أ انا لمبعوثون خلقا جديدا)[١]

وقال تعالى : (ويقول الانسان أ إذا مامت لسوف أخرج حيا)[٢]

وقال تعالى : (قالوا أ اذا متنا وكنا ترابا وعظاما أ انا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الأولين) .[٣]

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم)[٤]

وقال تعالى : (أ إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)[٥]

ولشدة تعنت المنكرين للبعث فقد نسبوا القائل به الى الكذب والافتراء والجنون .

قال تعالى : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد . أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب)[٦]

ان الأمر غريب وعجيب عندهم والحديث عنه يعد خرافة كما قال قائلهم[٧]

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

---

(١) الاسراء (٤٩)

(٢) مريم (٦٦)

(٣) المؤمنون (٨٢ – ٨٣)

(٤) يس (٧٨)

(٥) ق (٣)

(٦) سبأ (٧ – ٩)

(٧) انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢/ ٢٣٦) بلوغ الارب (٢/ ١٩٨) .

وقال شداد بن أوس بن عبد شمس فى رثاء أهل بدر من المشركين (١)

وماذا بالقليب قليب بدر   من الشيزى (*) تكلل بالسنام

يخبرنا الرسول لسوف نحيا   وكيف حياة أصداء وهام

ولما كانت قضية البعث بعد الموت من القضايا المهمة فى العقيدة الاسلامية ، شأنها فى ذلك شأن اثبات الوحدانية لله تعالى فقد اهتم القرآن الكريم بالدعوة الى الايمان باليوم الآخر غاية الاهتمام وجمع بين الايمان بالله تعالى واليوم الآخر فى كثير من الآيات من ذلك قوله تعالى :

(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) (٢)

وقوله : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) (٣)

وقوله : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) (٤)

وقوله : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (٥) .

ادلة القرآن فى اثبات البعث :

ولقد استدل القرآن الكريم على امكان البعث وتحقق وقوعه بأدلة مختلفة يمكن ايجاز اهمها فيما يلى :

الأول : الاستدلال على وقوع البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم فقد ذكر القرآن الكريم عددا من الأمثلة من هذا النوع من الاستدلال واليك البيان :

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٣٤٢) وبلوغ الارب (٢/ ١٩٨) ؛ لسان العرب (٥/ ٣٦٣)

(٢) النساء (٣٩)

(٣) التوبة (١٨)

(٤) " (٢٩)

(٥) المجادلة (٢٢)

(*) الشيزى : شجر تتخذ منه الجفان ، وأراد بالجفان أربابها الذين كانوا يطعمون فيها وقتلوا يوم بدر وألقوا فى القليب ، فهو يرثيهم وسمى الجفان شيزى بأسم أصلها ، لسان العرب (٥/ ٣٦٣) والنهاية لابن الاثير (٢/ ٥١٨) .

١ ـ ما ذكره الله تعالى عن قوم موسى عليه السلام قال تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)(١)

وقد ذكر المفسرون :(٢) أن الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام من خيارهم لميقات وقته له ربه فقالوا له : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الصاعقة وهي كما قالوا : نار من السماء ـ فماتوا جميعا ، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ولم يزل حتى رد الله اليهم أرواحهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون .

قال النحاس :(٣) " وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش واحتجاج على أهل الكتاب اذ اخبروا بهذا " .

٢ ـ قصة الرجل من بني اسرائيل الذى ضرب بعضو من أعضاء البقرة كما قال تعالى : (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) .(٤)

وذلك أن القتيل ضرب بعضو من أعضاء البقرة التى امرهم الله بذبحها كما قال لهم موسى عليه السلام : (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)(٥)

---

(١) البقرة (٥٥ ـ ٥٦)
(٢) انظر تفسير الطبرى (١/ ٢٩١) وتفسير ابن كثير (١/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(٣) تفسير القرطبى (١/ ٤٠٤) .
(٤) البقرة (٧٢ ـ ٧٣)
(٥) البقرة (٦٧) .

فلما ضرب ببعضها قام تشخب أوداجه دما فقالوا له من قتلك ؟ قال قتلني فلان ثم عاد ميتا كما كان .[1]

قال الطبري :[2] " قوله : " كذلك يحي الله الموتى " مخاطبة من الله لعباده المؤمنين ، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من احياء قتيل بني اسرائيل بعد مماته في الدنيا ، فقال لهم تعالى ذكره : (أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، اعتبروا باحيائي هذا القتيل بعد مماته ، فاني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم ، فأبعثهم يوم البعث ، وانما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب وهم قوم أميون لا كتاب لهم ، لأن الذين كانوا يعلمون ذلك من بني اسرائيل كانوا بين اظهرهم وفيهم أنزلت هذه الآيات ، فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم ".

٣ ـ قصة الذين أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم)[3]

وهؤلاء هم قوم من بني اسرائيل وقع فيهم الوباء ففروا هاربين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف ، وعنه ايضا أربعون ألفا خرجوا فرارا من الطاعون قالوا نأتي أرضا ليس بها موت ، حتى اذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/٣٥٩ ـ ٣٦٠) وتفسير ابن كثير (١/١١٥) القرطبي (١/٤٥٧) .

(٢) تفسير الطبري (١/٣٦١)

(٣) البقرة (٢٤٣)

(موتوا) فماتوا فمر عليهم نبى من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم ، فأحياهم .(١)

٤ ـ (الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم بعثه قال كم لبث قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير)(٢)

والذى مر على القرية هو " عزير " عليه السلام على القول المشهور والقرية المشهور : أنها بيت المقدس مر عليها عزير بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله .(٣)

٥ ـ سؤال ابراهيم عليه السلام عن كيفية احياء الموتى قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)(٤)

وقد ذكر المفسرون لسؤال ابراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال للنمرود (ربى الذى يحي ويميت) أحب أن يترقى من علم اليقين ، وأن يرى ذلك مشاهدة .(٥)

---

(١) تفسير الطبرى (٢/٥٨٦) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩ ـ ٣١٠)
(٢) البقرة (٢٥٩)
(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢٦)
(٤) البقرة (٢٦٠)
(٥) تفسير ابن كثير (١/٣٢٧)

وأما حديث : " نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال ربى أرنـى كيف تحي الموتى ...) [١] الآية فان ابراهيم عليه السلام لم يكن شـاكـا فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى معنى هذا الذ ى ورد من النبى صلى الله عليه وسلم على أقوال كثيرة احبها وأصحها ماقاله أبـو ابراهيم المزنى وجماعة [٢] من العلماء من أن الشك مستحيل فى حـق ابراهيم عليه السلام فان الشك فى احياء الموتى لوكان متطرقا الى الأنبيـاء لكنت أنا أحق به من ابراهيم وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أن ابراهيم عليه السلام لم يشك ، وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعـض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وانما رجح ابراهيم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا وأدبا أو قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم أنه خير ولد آدم .

وذكر ابن حجر عن بعض علماء العربية [٣] أن أفعل ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى : (أهم خير أم قوم تبع) [٤]

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٦/ ٤١١) كتاب الأنبياء ، باب قـول الله عز وجل (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) الآية ، ومسلم (١/ ١٣٣) كتاب الايمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة .

(٢) شرح النووى على مسلم (٢/ ١٨٣)

(٣) فتح البارى (٦/ ٤١٢)

(٤) الدخان (٣٧)

أى لا خير فى الفريقين ، ونحو قول القائل : الشيطان خير من فلان أى لا خير فيهما ، فعلى هذا فمعنى قوله : (نحن احق بالشك من ابراهيم) لا شك عندنا جميعا . أهـ

أما قوله تعالى : (فصرهن اليك) فقد روى عن ابن عباس (١) رضى الله عنهما أنه قال : أوثقهن فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزءا فذكروا أنه عمد الى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءا ، قيل أربعة أجبل وقيل سبعة " قال ابن عباس وأخذ رؤوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش والدم الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعيا ليكون أبلغ له فى الرؤية التى سألها وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذى فى يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم له غير رأسه يأباه فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته ".

٦ ــ ما أخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه كان يحي الموتى باذن الله وذلك فى قوله سبحانه : (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحي الموتى باذن الله) (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٨)

(٢) آل عمران (٤٩)

وذكر المفسرون أنه أحيا أربعة أنفس من الموت (١) وكان احياء عيسى الموتى بدعائه لله ، يدعو لهم فيستجيب له (٢) .

٧ ـ ما اخبر الله عنه من قصة أصحاب الكهف قال تعالى : (اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) (٣)

وقال تعالى عنهم : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) (٤) .

وقال أيضا : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا . قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا) (٥)

قال ابن كثير رحمه الله : (٦) (ذكر غير واحد من السلف أنه قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك " .

---

(١) زاد المسير (١/ ٣٩٢) وانظر تفسير القرطبى (٤/ ٩٤)

(٢) تفسير الطبرى (٣/ ٢٧٨)

(٣) الكهف (١٠ ـ ١٢)

(٤) الكهف (١٩)

(٥) الكهف (٢٥ ـ ٢٦)

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٢ ـ ٨٣)

الثانى : الاستدلال بالنشأة الأولى :

جاء ذلك فى آيات كثيرة منها ما يلى :

١ ـ قال تعالى : (وقالوا أ اذا كنا عظاما ورفاتا أ انا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) (١)

والمعنى أن المشركين المكذبين بالبعث قالوا اذا اصبحنا عظاما نخرة وذرات متفتتة كالتراب هل سنبعث ونخلق خلقا جديدا ؟

ويجيبهم الله تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لو كنتم من نوع الحجارة أو الحديد لقدر الله تعالى على بعثكم واحيائكم فضلا عن كونكم من العظام والرفات لأن الله تعالى لا يعجزه شىء " أو خلقا مما يكبر فى صدوركم " أى أو كونوا خلقا آخر ابعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يصعب فى نفوسكم تصور الحياة فيه " فسيقولون من يعيدنا " أى من الذى يردنا الى الحياة بعد الممات " قل الله الذى فطركم أول مرة " أى قل لهم يا محمد القادر العظيم الذى خلقكم وانشأكم من العدم أول مرة هو الذى يعيدكم " فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو " أى يحركون رؤوسهم قائلين فى استهزاء وتعجب واستنكار متى يكون هذا البعث الذى تدعيه ، وهنا يقول الحق لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : (عسى أن يكون قريبا) أى لعله يكون قريبا فان كل ماهو آت قريب . (٢)

---

(١) الاسراء (٤٩ ـ ٥١)

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤٩/٣) المراغى (٥٦/١٥ ـ ٥٧) .

٢ ـ وقال تعالى : (ويقول الانسان أ اذا ما مت لسوف اخرج حيا أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (١) .

وفى هذه الآية الكريمة ينبه الله تعالى الجاحد للبعث على خلقه الأول ليستدل به على الاعادة ، ويعلم ان الذى خلقه من العدم قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشتت الاجزاء .

قال بعض العلماء : (٢) " لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها ، اذ لا شك أن الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا ".

٣ ـ وقال تعالى : (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) (٣)

٤ ـ وقال تعالى : (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقه لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (٤)

---

(١) مريم (٦٦ ـ ٦٧)
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢١/ ٢٤١)
(٣) الأنبياء (١٠٤)
(٤) الحج (٥ ـ ٧)

فهذه الآيات الكريمة تقوم على مقدمات وحقائق واضحة بنيت عليها نتائج ثابتة مع ما فيها من السهولة والوضوح التام .

فالله تعالى يذكر للمجادلين فى قدرة الله تعالى المنكرين للبعث دليلين واضحين على امكان البعث : أحدهما فى الانسان نفسه والآخر فى النبات .

فأما الدليل الذى فى الأنفس فهو يشتمل عليه صدر الآية الكريمة وهو متعلق بالنشأة الأولى (فكأن الله سبحانه وتعالى قال : ان كنتم فى ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا فى خلقكم الأول لتعلموا أن القادر على خلقكم أولا قادر على خلقكم ثانيا) (١)

ومعنى ذلك فان شككتم ايها المنكرون للبعث فى قدرة الله على احيائكم بعد موتكم فانظروا فى أصل خلقكم ليزول ريبكم فقد خلقنا أصلكم "آدم" عليه السلام من التراب ثم جعلنا خلقكم بعد ذلك من نطفة ماء ثم الى علقة وهو الدم الجامد ثم الى مضغة وهى القطعة من اللحم متبينة الخلقة والصورة وغير متبينة فى شكلها وخلقها ، لنبين لكم قدرتنا على الخلق والاعادة "ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى " أى ونثبت من الحمل فى الارحام من أردنا أن نقره فيها حتى زمن الوضع " ثم نخرجكم طفلا " أى ثم نخرج هذا الجنين فينمو شيئا فشيئا " ثم لتبلغوا أشدكم " أى كمال قواكم وعقولكم " ومنكم من يتوفى " فيموت فى شبابه " ومنكم من يرد الى ارذل العمر " فيصل الى سن الشيخوخة والهرم " لكيلا يعلم بعد علم شيئا " فيعود الى ما كان عليه فى أوان الطفولة من الضعف وقلة الفهم والادراك .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٣/٧) .

فالآية الكريمة تخاطب المنكر للبعث قائلة له ان كنت تستبعد البعث والنشور فما عليك الا أن تنظر الى اصل خلقك ونشأتك الاولى وحياتك المتعددة فعند ذلك تعلم علم اليقين أن القدرة التى صنعت ذلك لا يعجزها احياؤك بعد موتك .

وأما دليل النبات أو احياء الارض بعد موتها فقد جاء فى قوله تعالى : (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وسيأتى ايضاح هذا الاستدلال فى موضعه .

قال الفخر الرازى : (١) " ثم انه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أمورا خمسة :

١ ـ قوله تعالى : (ذلك بأن الله هو الحق) والحق هو الموجود الثابت فكأنه سبحانه بين أن هذه الوجوه دالة على وجود الصانع وحاصلها راجع الى حدوث هذه الأعراض وتواردها على الأجسام دليل على وجود الصانع .

٢ ـ قوله تعالى : (وأنه يحي الموتى) فهذا تنبيه على أنه لما لم يستبعد من الاله ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات .

٣ ـ قوله تعالى : (وأنه على كل شىء قدير) يعنى أن الذى يصح منه ايجاد هذه الأشياء لابد أن يكون واجب الاتصاف لذاته بالقدرة ومن كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات ومن كان كذلك فانه لابد أن يكون قادرا على الاعادة .

٤ ـ قوله تعالى : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) والمعنى أنه لما أقام الدلائل على أن الاعادة فى نفسها ممكنة وأنه تعالى قادر على كل الممكنات

---

(١) التفسير الكبير (٢٣/ ٩ ـ ١٠) بتصرف وانظر تفسير المراغى (١٧/ ٩٠) .

وجب القطع بكونه قادرا على الاعادة فى نفسها ، واذا ثبت الامكان
وأخبر الصادق عن وقوعه وجب القطع بوقوعه .

٥ - (وأن الله يبعث من فى القبور) أى ولتوقنوا بأن الله حينئذ يبعث
من فى القبور أحياء الى مواقف الحساب .

ثم قال الرازى : " واعلم ان تحرير هذه الدلائل على الوجه النظرى
أن يقال الاعادة فى نفسها ممكنة والصادق أخبر عن وقوعها فلابد من
القطع بوقوعها ." اهـ

٤ - ومن أدلة البعث قياسا على النشأة الأولى قوله تعالى : (ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم
انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون)(١).

٥ - وقال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه وله
المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(٢) وقوله :
(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) أى وهو الذى يبدأ الخلق من
غير أصل له ، فينشئه بعد أن لم يكن شيئا ، ثم يفنيه بعد ذلك ،
ثم يعيده كما بدأه ، وذلك اسهل عليه حسب ما يدور فى عقول
المخاطبين ، من أن من فعل شيئا مرة كانت الاعادة اسهل عليه
والا فكل الممكنات بالنظر الى قدرة الله تعالى سواء .(٣)

---

(١) المؤمنون (١٢ - ١٦)
(٢) الروم (٢٧)
(٣) انظر تفسير الطبرى (٢١/ ٣٥) وتفسير المراغى (٢١/ ٤١) .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : (أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد)(١)

والمعنى افعجزنا عن ابتداء الخلق حتى نعجز عن اعادته بعد الموت؟

قال ابن كثير :(٢) " والمعنى ان ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة اسهل منه) .

٦ ـ وقال تعالى : (الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون . وقالوا أاذا ضللنا فى الأرض أانا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)(٣) .

٧ ـ وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(٤) .

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدى وقتادة : جاء أبى بن خلف لعنه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم ، وهو يفتته ويذره فى الهواء ، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار "

ونزلت هذه الآيات من آخر يس .

وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان العاص بن وائل

---

(١) ق (١٥)
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩)
(٣) السجدة (٧ـ١١)
(٤) يس (٧٨ ـ ٧٩)

أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحي الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم " قال ونزلت الآيات من آخر يس .(١)

قال ابن كثير :(٢) " وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات نزلت فى أبى ابن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهى عامة فى كل منكر للبعث ".

٨ ــ وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى) .(٣)

ومعنى الآيات الكريمة أيظن الانسان أن يترك هملا ، من غير بعث ولا حساب ؟ وبدون تكليف بحيث يبقى كالبهائم ، أما كان هذا الانسان نطفه له ماء مهين يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ثم كان من علقة من دم غليظ متجمد فخلقه الله بقدرته فى أحسن صورة وأجملها كما قال تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم)(٤) فكان من هذا الانسان الذكر والانثى بقدرته تعالى ، أليس الذى انشأ الانسان هذه النشأة العجيبة بقادر على اعادة خلقه بعد فنائه ؟ " سبحانك اللهم بلى "

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٣/ ٣٠) وتفسير ابن كثير (٣/ ٦٠٦ ــ ٦٠٧) واسباب النزول للسيوطى (١٨٢) واسباب النزول للواحدى ص (٢٠٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٠٧)

(٣) القيامة (٣٦ ــ ٤٠)

(٤) التين (٤)

الى غير ذلك من الآيات التى أورد ها القرآن فى الاستدلال على البعث على النشأة الاولى .

الثالث : الاستدلال على البعث بخلق السموات والأرض بطريق الأولى ومن الحجج التى استدل القران بها على منكرى البعث بيان قدرته العظيمة على خلق الأكوان ومن ذلك خلقه للسموات والارض كما فى قوله تعالى : (وقالوا أ اذا كنا عظاما ورفاتا أ انا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) (١)

وقوله تعالى : (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) (٢)

وقوله تعالى : (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى بلى انه على كل شىء قدير) . (٣)

وقوله تعالى : (أ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها) (٤)

فهذه الآيات الكريمة وما فى معناها من أكبر الأدلة والبراهين على قدرة الخالق العظيم لأنه من المعروف ببداهة العقول السليمة أن خلق السموات والارض اعظم من البعث واعادة خلق الناس .

الرابع : الاستدلال بخلق النبات :

ومن أدلة القرآن على امكان البعث قياس احياء الأرض بعد موتها

---

(١) الاسراء (٩٨ — ٩٩)
(٢) يس (٨١)
(٣) الاحقاف (٣٣)
(٤) النازعات (٢٧ — ٢٨)

بالمطر والنبات جاء ذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (١)

ومن ذلك ما تقدم من قوله تعالى : (... وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (٢)

وقوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (٣)

وقوله تعالى : (ومن أياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحي الموتى انه على كل شىء قدير) (٤)

فهذه الآيات الكريمة استدل بها القرآن الكريم على بعث الموتى من قبورهم وذلك أن الله تعالى ينزل الامطار على الأرض المجدبة القاحلة فتحيا بعد أن كانت ميتة هامدة وتهتز وتربو وتنبت من اصناف النباتات المختلفة وكذلك الاموات يخرجون كما تخرج هذه النباتات من الأرض الميتة اذ أن القادر على هذا قادر على ذلك . ولو كانت اعادة الحياة الى الانسان مستحيلة لما عادت الحياة الى النباتات بعد موتها لأن المشابهه واضحة .

ولقد لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبعث الى التأمل والتبصر فى

---

(١) الاعراف (٥٧)
(٢) الحج (٦ — ٧)
(٣) فاطر (٩)
(٤) فصلت (٣٩)

المخلوقات المحسوسة والمشاهدة لأخذ العبرة منها ليعود للنفوس ايمانها فتسعد بالاستقرار والطمأنينة .

الخامس : الاستدلال باخراج النار من الشجر الأخضر :

قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (١)

قال الفخر الرازى : (٢) " ووجهه هو أن الانسان مشتمل على جسم يحس به وحياة ساريه فيه ، وهى كحرارة جارية فيه فان استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه ، فان النار فى الشجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب وأغرب وان استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فان الله خلق السموات والارض " .

وقال تعالى : (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) (٣)

ووجه الاستدلال من الآيتين : ان من قدر على ايداع النار فى الشجر الأخضر لا يعجز عن ايداع الحرارة الغريزية فى بدن الميت . (٤)

السادس : الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم :

فان النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت قال تعالى :

(وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) (٥)

---

(١) يس (٨٠)
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٦/١١٠)
(٣) الواقعة (٧١)
(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٩/ ١٨٤)
(٥) الانعام (٦٠)

ثم ذكر عقيبه أمر الموت والبعث فقال تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (١)

وقال تعالى فى آية أخرى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٢)

والمراد من ذلك الاستدلال بحصول هذه الاحوال على صحة البعث والحشر والنشر . (٣)

وهناك استدلالات أخرى ذكرها بعض العلماء أمسكنا عنها اختصارا .

---

(١) الانعام (٦١ – ٦٢)

(٢) الزمر (٤٢)

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٧/١٨) .

(المبحـــث الثـــالث)

بيان الحـق فى أمر الشفعاء :

معنى الشفاعة لغة :

قال ابن الاثير : [١] " الشفعة فى كل ما لم يقسم وهى مشتقة من الزيادة ، لأن الشفيع يضم المبيع الى ملكه فيشفعه به ، كأنه كان واحدا وترا فصار زوجا شفعا ، والشافع هو الجاعل الوتـر شفعا ... وقد تكرر ذكر الشفاعة فى الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيـا والآخرة ، وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم يقـال شفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع ، والمشفع : الذى يقبل الشفاعة والمشفع الذى تقبل شفاعته " .

وفى المفردات للراغب : [٢] " والشفاعة الانضمام الى آخـر ناصرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمـة ومرتبة الى من هو أدنى ، ومنه الشفاعة فى القيامة " .

---

(١) النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٨٥) وانظر لســان العـــــــرب (٨/ ١٨٤) .

(٢) المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى (ص ٢٦٣)

وقال ابن فارس : [1] " الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين " .

وفى القاموس المحيط : [2] " وشفعته فيه تشفيعا حين شفع شفاعة واستشفعه الينا سأله أن يشفع " .

ومن هذا يظهر لنا أن الشفاعة فى اللغة تدور حول اقتران شىء بشىء أو انضمام شىء الى شىء لزيادته أو لنصرته أو للتجاوز عنه .

واذا بحثنا الشفاعة فى كتاب الله تعالى نجد أنها تنقسم الى قسمين :

شفاعة فى الدنيا وشفاعة فى الآخرة ، ونجد أن الشفاعة فى الدنيا خاصة بالعباد وتقع لبعضهم من بعض لأنهم يملكونها ، وهى تنقسم الى قسمين :

شفاعة حسنة وشفاعة سيئة ، ومثال الشفاعة الحسنة : ما اذا استشفع شخص بشخص آخر عند ذى مال أو منصب أو سلطان ليشفع له عنده برفع حاجته اليه ، لاظهار حقه أو ازالة الضر والظلم عنه فان تلك الشفاعة جائزة وينال فاعلها الثواب من الله تبارك وتعالى بدليل قوله تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) [3]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)

(٢) القاموس المحيط للفيروز ابادى (٣/ ٤٦)

(٣) النساء (٨٥)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : [(١)] " اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ماشاء " .

أما الشفاعة السيئة : فهي ما اذا استشفع شخص بشخص آخر في تعطيل حد من الحدود أو اسقاط حق من الحقوق أو الحاق الضرر بآخر فان تلك الشفاعة غير جائزة وينال فاعلها العقاب بدليل قوله تعالى : (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) [(٢)]

وقد أمر الله تعالى عباده بالتعاون على فعل الخيرات ونهاهم عن المنكرات فقال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) [(٣)]

أما الشفاعة في الآخرة فلا تكون الا بأمر الله وحده ، لا يملكها غيره وخاصة بمن له ملك السموات والارض كما قال تعالى : (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون) [(٤)]

قال الفخر الرازي : [(٥)] " وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها والأول : باطل لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشافعة عنها .

والثاني : باطل لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٣/ ٢٩٩) كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦) كتاب البر والصلة حديث رقم ١٤٥ وأحمد في المسند (٤/ ٤٠٠)

(٢) النساء (٨٥)

(٣) المائدة (٢)

(٤) الزمر (٤٣ — ٤٤)

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٦/ ٢٨٥)

الا باذن الله ، فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله : (قل لله الشفاعة جميعا) .

وقال تعالى : (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين. يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) (١)

وتنقسم الشفاعة فى الآخرة الى قسمين : شفاعة مثبتة وشفاعة منفية

فأما الشفاعة المثبتة : فهى شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له . (٢)

ومن ذلك شفاعات النبى صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها الشفاعة العظمى ، وهى الشفاعة فى فصل القضاء ، وهى المقام المحمود الذى ذكر فى قوله تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (٣)

وهى الشفاعة التى يتراجع عنها الأنبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام حتى تنتهى اليه صلى الله عليه وسلم) (٤)

ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته فيخرج منها أناس بشفاعته صلى الله عليه وسلم لما جاء فى الصحيحين (٥)

---

(١) الانفطار (١٧ – ١٩)
(٢) اغاثة اللهفان (١/ ٢٢٠)
(٣) الاسراء (٧٩)
(٤) انظر الحديث فى صحيح البخارى بشرح الفتح (١١/ ٤١٧) كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ، ومسلم (١/ ١٨٠) كتاب الايمان حديث (٣٢٢) .
(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٣/ ٤٤٧) كتاب التوحيد باب فى المشيئة

===

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامه ، فهى نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا "

وصح أن القرآن الكريم يشفع لأهله لما ثبت فى صحيح مسلم (١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه " .

ومن خلال آيات القرآن الكريم يتبين لنا أن الشفاعة التى اثبتها الله تعالى هى مقيدة بأمرين :

الأمر الأول : أذن الله تعالى للشافع فان لم يأذن له فلا يشفع .

الأمر الثانى : رضا الله سبحانه عن المشفوع له فان لم يرض فلا شفاعة .

قال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه) (٢)

وقال تعالى : (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) (٣)

وقال تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) (٤)

=== والارادة . ومسلم (١/ ١٨٩) كتاب الايمان حديث رقم (٣٣٨) وهذا لفظه .

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم (٢٥٢)

(٢) البقرة (٢٥٥)

(٣) يونس (٣)

(٤) طه (١٠٩)

وقال تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)[١]

وقال تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[٢]

ففى هذه الآيات الكريمة أخبر الله سبحانه وتعالى أن الشفاعة فى ذلك اليوم كلها لمن له ملك السموات والأرض وهو الله سبحانه وحده لا لغيره من الملائكة والأنبياء والأولياء وغيرهم فهو الذى يشفع ، فيأذن لمن شاء أن يشفع فيه ، كما أخبر أنها لا تكون الا بعد أذنه للشافع وان لم يأذن له فلا يشفع ، وأخبر أنها لا تكون نافعة الا لمن كان مرضيا عنده سبحانه وتعالى قولا وعملا ، ولا يكون مرضيا الا اذا كان مؤمنا خالصا ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة هم أهل التوحيد الذين جردوه وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه وهم الذين ارتضى الله سبحانه وتعالى .[٣]

ففى صحيح البخارى[٤] عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال : " من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه " .

وواضح من صريح القرآن الكريم أن الشفاعة لا تشمل من مات على الكفر والشرك وذلك لحكم الله تعالى بخلود الكافرين والمشركين فى النار قال تعالى :

---

(١) الأنبياء (٢٨)
(٢) النجم (٢٦)
(٣) انظر اغاثة اللهفان (١ / ٢٢٠)
(٤) صحيح البخارى بشرح الفتح (١ / ١٩٣) كتاب العلم باب الحرص على الحديث . وأحمد (٢ / ٣٧٣) .

(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) (١)

وأما الشفاعة المنفية : فهى الشفاعة المعروفة لدى الناس عند الاطلاق ، وهى : أن يشفع الشفيع الى غيره ابتداء فيقبل شفاعته . (٢)

وهذه الشفاعة هى الشافعة الشركية ، وهى التى اثبتها المشركون فاتخذوا من دون الله شفعاء من الملائكة والانبياء والصالحين وصوروا تماثيلهم وقالوا : هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل الى الله بدعائهم وعباداتهم ليشفعوا لنا كما يتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم اقرب الى الملوك من غيرهم ، فيشفعوا عند الملوك بغير اذن الملوك . (٣)

قال تعالى حكاية عنهم : (.. ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٤)

وقال تعالى : (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) (٥)

وقد أبطل الله تعالى هذه الشفاعة فى كتابه وذم المشركين عليها وكفرهم فقال تعالى : (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (٦)

---

(١) البينة (٦)
(٢) انظر مجموع الفتاوى (١ / ١١٨)
(٣) انظر قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة (ص ١١)
(٤) يونس (١٨)
(٥) الزمر (٣)
(٦) البقرة (١٢٣)

وقال تعالى : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون) (١)

وقال سبحانه : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) (٢)

وقال عز وجل : (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) (٣)

وقال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (٤)

وقال عز وجل : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ...) (٥)

فهذه الآيات الكريمة صريحة فى قطع أطماع المشركين من القبوريين واشباههم قديما وحديثا أن يكونوا أهلا لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن المعلوم أن الانسان اذا نطلق بالشهادتين فى حال تلبسه بالاعمال المناقضة لشروطهما ــ كحال القبوريين مثلا ــ الذين يستحلون

---

(١) الانعام (٥١)
(٢) « (٩٤)
(٣) السجدة (٤)
(٤) الأنبياء (٢٦ ــ ٢٨)
(٥) سبأ (٢٢ ــ ٢٣)

محارم الله بصرف شيء من العبادة للأموات كالصلاة والدعاء والذبح والنذور ونحوها — فان نطقهم حينئذ بالشهادتين لا يفيدهم شيئا لأن أعمالهم الشركية تنافي ذلك وتنقضه .

ومن أراد شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فعليه أن يطلبها من الله تعالى وحده ، وأن يعمل صالحا .

ومن أهم مظاهر العمل الصالح الأمور الآتية :

١ — اخلاص العبادة لله تعالى في كل شيء ونفي جميع أنواع الشرك عنه سبحانه وتعالى لحديث أبي هريرة (١) رضي الله عنه قال : قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو من نفسه .

٢ — تمام المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر به أو نهى عنه .

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (١٩٣/١) كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، وأحمد في المسند (٣٧٣/٢) وتقدم قريبا .

(المبحث الرابع)

بيان الحق في أمر الأولياء :

معنى الولي لغة : اسم من الولي ، والولي هو القرب والدنو .(١)

قال ابن فارس :(٢) " الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قرب " .

ويطلق الولي على الصديق والنصير والتابع والمحب ، والموالاة ضد المعاداة .(٣)

وقال ابن الأثير :(٤) " الولي هو الناصر ، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها ... وهو الرب المالك والسيد المنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع .. وكل من ولي أمرا أو قام به فهو مولاه ووليه .. "

ومن هذا يتبين لنا أن معنى الولي والولاية في اللغة يدور حول القرب والدنو والصديق والنصير والتابع والمحب والناصر والمتولي للامور ونحو ذلك .

---

(١) لسان العرب (٤١١/١٥) القاموس المحيط (٤٠١/٤)
(٢) معجم مقاييس اللغة (١٤١/٦)
(٣) لسان العرب (٤١١/١٥)
(٤) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧ - ٢٢٨)

أما ولاية الله للعبد فهي هدايته الى الايمان والى طاعته ومحبته ونصرته له ، وتقريبه اليه عز وجل حتى يحبه فاذا أحبه قرب منه وتولى أموره ونصره وحفظه فكان بذلك وليه كما قال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١)

ومعنى ذلك أن الله تعالى : " يتولى المؤمنين بعونه وتوفيقه ويخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان .. وأنه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم" (٢)

واذا كان الله ينصر عبده المؤمن ويعينه ويتولى أموره فهذا يدل على أن ربه يحبه ويرضى عنه ويقربه منه قال تعالى : (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) (٣)

---

(١) البقرة (٢٥٧)
(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٣/ ٢١)
(٣) آل عمران (٧٦)

وقال تعالى : (ان رحمة الله قريب من المحسنين) (١)

وقال تعالى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) (٢)

وأما ولاية المؤمن لله تعالى فهى : الايمان به تبارك وتعالى قولا وعملا واعتقادا ، ونصرة دينه والمحافظة على شرائعه ، وموالاته فى ما يحبه الله ويرضاه وعدم معاداة من والاه .

وخلاصة القول فى هذا : فان ولاية العبد لله تكون فى الموافقة فى ما يحب الله ويبغض وموالاة أوليائه ومعاداة اعدائه .

والفرق بين الولايتين بين واضح وذلك أن الله تعالى لا يوالى أحدا من خلقه افتقارا له واحتياجا اليه وانما يواليه اكراما له وانعاما عليه لأن الله تعالى غنى عن كل ما سواه والخلق كلهم فى حاجة اليه وقد نفى الله تعالى أن يكون له ولى من الذل فقال سبحانه : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) (٣)

وأما العبد فانه يوالى ربه لشدة فقره واحتياجه الى هدايته ونصرته واعانته ورعايته ومحبته ورضاه عنه وتقريبه اليه وهو فى حاجة ملحة الى ربه تبارك وتعالى فى كل امر من أموره فى دنياه وآخرته .

وقد بين القرآن الكريم أن المشركين ماعبدوا الأصنام واتخذوا الأولياء والشفعاء الا لتقربهم الى الله زلفى قال تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون) (٤)

---

(١) الاعراف (٥٦)
(٢) البينه (٨)
(٣) الاسراء (١١١)
(٤) الزمر (٣)

ومعنى الآية الكريمة أن هؤلاء المشركين اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام والأوثان ، يقولون : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله منزلة وحظوة وتشفع لنا عنده في النصر والرزق وما ينوبنا من أمور .

وقد هددهم الله تعالى وبين لهم عاقبة ما يفعلون فقال : (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى ان الله يحكم بينهم وبين خصومهم في موضوع التوحيد والاشراك ويجازى كلا بما هو أهل له فيدخل المخلصين الموحدين الجنة ويدخل المشركين النار .

وقد ظن الجهلة أن من يظهر لديه أمور خارقة للعادة أنه من أولياء الله المقربين ، ولوكانت أفعال ذلك الشخص واعماله تخالف شريعة الله وتخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا فقد تجرأ كثير من الجهلة الى تعظيم ومحبة وموالاة من ليس بولي حتى وصل بهم الامر الى دعائهم والاستغاثة بهم سواء كان الولي المتقرب اليه حيا أو ميتا وهذه الأعمال والاعتقادات هي شرك محض .

يقول صاحب كتاب صراع بين الحق والباطل :(١) " يفهم الناس اليوم الولاية فهما معكوسا يخالف حقيقتها ومعناها ، فانهم لفرط جهلهم بأمور الدين وعدم معرفتهم لحقيقة الولاية نسبوا الأمر الى غير أهله ، وخلعوا الشيء على من ليس جديرا به ، فاطلقوا لفظ الولي على من لا يستحقونه من المتعطلين الخاملين الذين عطلوا جوارحهم ، وتعطلوا عن العمل والسعي والكفاح بحجة التواكل والزهد والانقطاع للعبادة ولزوم التكايا وزوايا الاضرحة ،

---

(١) صراع بين الحق والباطل لسعد صادق محمد (ص ١٥ — ١٦) منشورات دار اللواء الرياض ط . الرابعة ١٣٩٨ هـ

واطلقوه أيضا على كل من سال لعابه ولبس الثياب الممزقة المرقعة ، وأطال شعر رأسه ، وأرخى لحيته ، وأطبق يديه على مسبحة طويلة ووضع على رأسه عمامة كبيرة ... وظهر أمام الناس في زى عجيب ، حتى البله ومن في عقولهم خبل وهوس .

واعطوه كذلك لبعض المجرمين الاشقياء ... الذين يعيشون آمنين متسترين تحت لعب الولاية ، ويباشرون أعمال الدجل والشعوذة والكذب باسم الدين .

وهكذا ظن السذج من الناس أن كل من ظهر على هذه الصورة الخادعة قطب كبير ، وصاحب باتع ، وأنه واصل ومتصل مع الله اتصالا مباشرا بدون حجاب ..."

ويقول الميلى الجزائرى (١) : " الولى عند الناس اليوم : اما من انتصب للآذان بالأوراد الطرقية ، ولو كان في جهله بدينه مساويا لحماره ، وأما من اشتهر بالكهانة وسموه حسب اصطلاحهم " مرابطا " ولو تجاهر بترك الصلاة واعلن شرب المسكرات ، وأما من انتهى الى مشهور بالولاية ولو كان اباحيا لا يحرم حراما " .

ثم يقول : " وحق هؤلاء الأولياء على الناس الجزم بولايتهم ، وعدم التوقف في دخولهم الجنة ، ثم الطاعة العمياء ، ولو في معصية الله ، وبذل المال لهم ولو أخل بحق زوجته وصبيته ، فهم المطلوبون ، في كل شدة وهم حماة للاشخاص وللقرى والمدن كبيرها وصغيرها ، حاضرها وباديها ، فما من قرية بلغت في البداوة أو الحضارة الا ولها ولى تنسب اليه ، فيقال : سيدى فلان هو ولى البلد الفلانى ، ويجب عند هؤلاء الناس ان يكون بعض

(١) رسالة الشرك ومظاهره للميلى الجزائرى ص (١٦٥) .

علماء الدين خدمة لهؤلاء الأولياء مقرين لأعمالهم وأحوالهم غير منكرين لشيء منهـا " . اهـ

هذا هو مفهوم الولاية والأولياء عند جهلة الناس فى كثير من انحـاء العالم الاسلامى اليوم ، وهو كما ترى جهل واضح وخطأ فادح لا يستند الى شيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أما أولياء الله الحقيقيون فقد بينهم الله تعالى فى كتابه الكريم فقال تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) .(١)

فالآية الكريمة تبين أن أولياء الله هم الذين آمنوا به وبرسولـه واتبعوا شرائعه وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ووافقوه فيما يحب ، وابتعدوا عن مساخطه ، ووالوا أولياءه ، وعادوا اعداءه .

وقال تعالى : (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) .(٢)

وفى هاء الكناية فى قوله (وما كانوا أولياءه) قولان :(٣)

أحدهما : أنها ترجع الى المسجد ، وهو قول الجمهور ، والمعنى أن المشركين قالوا : نحن أولياء المسجد الحرام ، فرد الله عليهم بهذا .

والثانى : أنها تعود الى الله عز وجل .

قال ابن جرير :(٤) " وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهـم يصدون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله أى : ما أولياء الله الا المتقون

---

(١) يونس (٦٣ – ٦٤)
(٢) الأنفال (٣٤)
(٣) زاد المسير (٣/٣٥٢)
(٤) تفسير ابن جرير الطبرى (٩/٢٣٩)

يعنى : الذين يتقون الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون " .

ومن هذا يتبين لنا أن ولى الله هو المؤمن التقى الصالح المؤمن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيع فيما يأمر به المجتنب لما ينهى عنه .

واذا فالمظاهر وحدها لا تدل على الولاية ، ونحن لا يمكننا أن نقطع لأحد بالولاية والتقوى ، وانما يمكن أن نحكم باسلام شخص من خلال ما يظهر لنا من أحواله وسيرته على قاعدة : " لنا الظاهر والله يتولى السرائر " أما القطع بولاية شخص وتقواه فهذا مرده الى الذى يعلم سرائر العباد سبحانه وتعالى قال عز وجل : (والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض) (١)

وقال تعالى : (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (٢)

وقال تعالى : (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) (٣)

وقد دعا القرآن الكريم المؤمنين أن يتخذ بعضهم بعضا أولياء لنصرة دين الله ، واعلاء كلمته ، والدفاع عن عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك ، ومقاومة البدع والخرافات المنتشرة بين الناس باسم الدين ، ومعاونة بعضهم بعضا فيما يعود عليهم بالخير والنفع فى أمور الدنيا .

قال تعالى : (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) (٤) .

---

(١) البقرة (١٤٣)
(٢) النجم (٣٠)
(٣) ،، (٣٢)
(٤) الانفال (٧٢)

وقال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) . (١)

وقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا اعداءه من الكافرين والمشركين أولياء يتودون اليهم ويناصرونهم ضد أخوانهم من المؤمنين الذين يعملون لاعلاء كلمة الله ونصرة الحق .

قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) (٢)

وقال تعالى : (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) (٣)

وقال تعالى : (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) (٤)

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) (٥)

ومن خلال الآيات الكريمة يتبين لنا أن أولياء الله الحقيقيين لا يعلنون عن أنفسهم ، لأن الولاية الحقة انما تكون فى القلوب ايمانا وتقوى ، وليس لها

---

(١) التوبة (٧١)
(٢) آل عمران (٢٨)
(٣) النساء (١٣٩)
(٤) الاعراف (٣)
(٥) المائدة (٥١)

آثار معروفة أو ملموسة سوى الاستقامة على طاعة الله سبحانه وتعالى والمحبة الخالصة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامر الدين والابتعاد عن نواهيه .

وموقفهم تجاه دين الله يتمثل فى العمل به ونصرته ، وعلاقتهم مع الله سبحانه باتخاذه وحده وليا لهم دون غيره . وعلاقتهم مع بعضهم ببعض يتمثل فى التعاون والتناصح والتأييد والنصرة فى الحق .

وعلاقتهم مع اعداء الله يكون فى عدم محبتهم أو مناصرتهم .

روى البخارى فى صحيحه (١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الىّ عبدى بشىء أحب الىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها وان سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لاعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته " .

هذه الولاية الحقة وهذا ما فهمه السلف الصالح عنها لا كما يدعى الدجالون فى هذا الزمان .

يذكر الاستاذ رشيد رضا جوانب هامة عن حياة هؤلاء الأدعياء تحت عنوان " أولياء الخيال وأولياء الطاغوت والشيطان " فيقول : (٢) " فأولياء الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية هم المؤمنون الصالحون المتقون ،

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (١١/ ٣٤٠) كتاب الرقاق باب التواضع.
(٢) تفسير المنار (١١/ ٤٢٠) مع بعض اختصار .

ولكن اشتهر بين المسلمين بعد عصر السلف ما يدل على أن الأولياء عالم خيالي غير معقول ، لهم من الخصائص في عالم الغيب ، والتصرف في ملكوت السموات والارض ، فوق كل ما ورد في كتاب الله وأخبار رسوله الصادقة ، في أنبياء الله المرسلين ، وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية ممن لهم ذكر في التاريخ ، ومن لا ذكر لهم الا في كتب الأدعياء الذين فتنوا المسلمين والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالمتصوفة وأهل الطريق ، ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية .

هذه بعض صور أولياء الله عند أولئك القوم ، وهم في الحقيقة اعداء الله ورسوله والمؤمنين لأنهم تركوا ما أمروا به ، وفعلوا ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد ابطل الله تعالى تلك الولاية والموالاة لأنها لا تكون الا لله عالم الغيب والشهادة المتصرف في ملكوت السموات والارض ، المطلوب في كل شدة ، لأجل هذا عاب الله المشركين لاتخاذهم الأولياء من دونه فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم أجعلتم لله شركاء وعبدتموهم من دون الله وهم لا يقدرون على نفع أنفسهم ولا دفع الضر عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم ، وذلك ما ورد نصه في قوله تعالى : (... قل أفأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا . قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)(1)

---

(1) الرعد (16)

وقال تعالى : (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) (١)

وقال تعالى : (ان الله له ملك السموات والأرض يحي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) (٢)

وقال تعالى : (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) (٣)

فالله وحده هو الولى الحق الناصر للمؤمنين الصادقين لا مولى سواه ولا ناصر غيره قال تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحي الموتى وهو على كل شىء قدير) (٤)

وقال سبحانه : (وماكان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) (٥)

وقال عز وجل : (من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ماكسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) (٦)

وقد شبه القرآن الكريم الذين اتخذوا من دون الله اولياء يرجون نفعهم بالعنكبوت فى اتخاذها بيتا لا يغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى .

قال تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون) (٧) .

---

(١) البقرة (١٠٧)
(٢) التوبة (١١٦)
(٣) الكهف (١٠٢)
(٤) الشورى (٩)
(٥) « (٤٦)
(٦) الجاثية (١٠)
(٧) العنكبوت (٤١)

وقد أكد القرآن أن هذه الولاية الشركية انما هى نتيجة لموالاة مشركى الانس واستماعهم بالشياطين كما جاء فى قوله تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) (١)

وقال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) . (٢)

وقال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الأنس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها ...) (٣)

وقال تعالى : (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) (٤)

وأما كيفية استمتاع شياطين الانس وشياطين الجن بعضهم ببعض فذكر الصحابة ان ذلك فى الدنيا (٥) وقال ابن جريج : كان الرجل فى الجاهلية ينزل الأرض فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادى ، فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة ، وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ، ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم فى استعانتهم بهم ، فيقولون : قد سدنا الانس والجن اهـ

وقد بين القرآن أن من يطع الشيطان ويواليه ويترك أمر الله فقد خسر وهلك هلاكا مبينا واضحا . قال تعالى : (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) (٦) نعوذ بالله من موالاة الشياطين وأوليائهم .

---

(١) الانعام (١١٢-١١٣) (٢) الانعام (١٢١)
(٣) (١٢٨) (٤) الاعراف (٣٠)
(٥) انظر تفسير الطبرى (٨/ ٣٣) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٩٠) (٦) النساء (١١٩)

الفصل الثاني

دحض شبهات المشركين حول الرسالة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : دحض أكاذيب المشركين على القرآن

ويشتمل على ما يأتي :

١ ـ زعمهم بأن القرآن اساطير الأولين .

٢ ـ زعمهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن عن بشر .

٣ ـ زعمهم بأن القرآن سحر أو كهانة .

٤ ـ زعمهم بأن القرآن شعر .

المبحث الثاني : دحض مفترياتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويشتمل على ما يأتي :

١ ـ الاعتراض على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون .

٣ ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء والكذب .

المبحث الثالث : اعناتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بطلب المعجزات والخوارق .

المبحث الأول

دحض أكاذيب المشركين على القرآن

ويشتمل على ما يأتى :

١ - زعمهم بأن القرآن أساطير الأولين :

والاساطير : جمع اسطورة كأحدوثه وأحاديث ، وأرجوحة واراجيح .

وفى اللسان :[1] " الأساطير : الأباطيل ، والأساطير : أحاديث لانظام لها ... وسطرها ألفها ، وسطر علينا : أتانا بالاساطير .. "

قال الراغب :[2] " أساطير الأولين أى شىء كتبوه كذبا ومينا فيما زعموا " .

وقد زعم المشركون بأن القرآن الكريم انما هو أساطير من أساطير الأولين جاء ذلك عنهم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الأولين)[3]

ذكر ابن الجوزى[4] فى سبب نزولها أن نفرا من المشركين منهم عتبة ، وشيبة ، والنضر بن الحارث ، وأمية وأبى ابنا خلف ، جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا اليه ، ثم قالوا للنضر بن الحارث

---

(١) لسان العرب (٤ / ٣٦٣) وانظر القاموس المحيط (٢ / ٤٨)
(٢) المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٣٢)
(٣) الانعام (٢٥)
(٤) زاد المسير (٣ / ١٨) وانظر روح المعانى للالوسى (٧ / ١٢٤ - ١٢٥) .

ما يقول محمد ؟ فقال : والذى جعلها بنية ما أدرى ما يقول ؟ الا أنى أرى تحرك شفتيه ، وما يقول الا أساطير الأولين ، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية " .

قال ابن هشام : [(١)] " وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسفنديار [(٢)] ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟

وأضاف ابن هشام يقول : وهو الذى قال فيما بلغنى : (سأنزل مثل ما أنزل الله) [(٣)]

قال ابن اسحاق : " وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فيما بلغنى انزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) [(٤)] وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن "

وهذه المقالة : " كانوا يطلقونها على الحكايات التى تتضمن الخوارق المتعلقة بالآلهة والأبطال فى قصص الوثنيات وأقربها اليهم كانت الوثنية الفارسية واساطيرها " [(٥)]

ومعنى قولهم ذلك : " أى ما هذا الذى جئت به الا مأخوذ من كتب الاوائل ومنقول عنهم " [(٦)] .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٠٠ ، ٣٥٨) الروض الانف (٢/ ٥٢) .

(٢) وقيل : (اسبنديار وقيل : اسفنديار) انظر هامش السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٠٠) تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى .

(٣) الانعام (٩٣) [illegible])

(٤) القلم (١٥)

(٥) انظر ظلال القرآن (٣/ ١٧٧)

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٨) .

يقول الفخر الرازى [(١)] عن مقصود المشركين بهذه التهمة : " اعلم انه كان مقصود القوم من ذكر قولهم : (ان هذا الا اساطير الأولين) القدح فى كون القرآن معجزا فكأنهم قالوا : ان هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة ، والقصص المذكورة للأولين ، واذا كان هذا من جنس تلك الكتب المشتملة على حكايات الأولين وأقاصيص الأقدمين لم يكن معجزا خارقـــا للعـادة ".

ومن الآيات التى قصها الله علينا من قولهم فى هذا الصدد :

(وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) [(٢)]

وقوله تعالى : (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين) [(٣)]

وقوله تعالى : (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطـــير الأولين) [(٤)]

كما ذكر القرآن الكريم هذا الافتراء على لسان المشركين فى سورة المؤمنين والنحل فى معرض انكارهم للبعث قال تعالى فى سورة المؤمنين :

(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الأولين) [(٥)]

وقال فى سورة النمل : (لقد وعدنا هذا نحن وأباؤنا من قبـــل ان هذا الا اساطير الأولين) [(٦)]

وعن مغالطات المشركين ومجادلاتهم الباطلة يقول سيد قطب : [(٧)]

---

(١) التفسير الكبير (١٢/ ١٨٨)
(٢) الفرقان (٥)
(٣) الانفال (٣١)
(٤) النحل (٢٤)
(٥) المؤمنون (٨٣)
(٦) النمل (٦٨)
(٧) فى ظلال القرآن (٣/ ١٧٧)

" وهم يعلمون جيدا أن هذا القرآن ليس بأساطير الأولين ، ولكنهم انما كانوا يجادلون ، ويبحثون عن اسباب الرد والتكذيب ، ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة وكانوا يجدون فيما يتلى عليهم من القرآن قصصا عن الرسل وأقوامهم وعن مصارع الغابرين من المكذبين فمن باب التمحل والتماس أوهى الاسباب ، قالوا عن القصص وعن القرآن كله : " ان هذا الا اساطير الأولين " .

ويستخلص من كلام المفسرين فى الرد على هذه الفرية : أن المشركين ما كانوا يميزون بين القصص ـ بفتح القاف ـ والقصص ـ بكسر القاف ـ فان القصص بفتح القاف وقائع تاريخية حقة ، وأما القصص بكسر القاف فهى اخبار متخيلة لا وجود لها فى الواقع .

قال صاحب تفسير المنار : (١) (وهذا شأن من ينظر الى الشيء نظرا سطحيا لا يستنبط منه علما ولا برهانا .. وأن مثلهم فى هذا كمثل الطفل الذى يشاهد ألعاب الصور المتحركة يديرها قوم لا يعرف لغتهم وكل حظه مما يرى من المناظر ومن المكتوبات المفسرة لها لا يعدو التسلية "

---

(١) تفسير المنار (٧/٣٤٨)

٢ ــ زعمهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقاه عن بشر :

ومن مفتريات المشركين على القرآن وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا زعمهم بأن القرآن الكريم انما هو من تعليم بشر .

قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) (١)

واختلفت الروايات فى تعيين الشخص الذى زعموا انه يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم : قيل : كانوا يشيرون الى رجل أعجمى كان بين أظهرهم ، غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعا يبيع عند الصفا ، وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس اليه ويعلمه بعض الشىء ، وذلك كان أعجمى اللسان لا يعرف العربية ، أو أنه كان يعرف الشىء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لابد منه . (٢)

قال محمد بن اسحاق : (٣) " كان الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى سبيعة ، غلام نصرانى يقال له : جبر ، عبد لبعض بنى الحضرمى ، فأنزل الله (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ...) الاية .

وقال عبد الله بن كثير وعن عكرمة وقتادة كان اسمه " يعيش " (٤) وقيل : " عايش " (٥)

---

(١) النحل (١٠٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٦٣٦)

(٣) سيرة ابن هشام (١/٣٩٣)

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٣٦)

(٥) زاد المسير (٤/٤٩٣)

وروى ابن جرير [١] عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قنا بمكة وكان اسمه " بلعام " وكان أعجمى اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا : انما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية .

وقال آخرون : [٢] بل كانا غلامين اسم أحدهما : يسار ، والآخر : جبر .

وقال سعيد بن المسيب [٣] : " ان الذى قال ذلك رجل من المشركين كان يكتب الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم فارتد بعد ذلك عن الاسلام وافترى هذه المقالة قبحه الله " .

وقيل : [٤] المقصود بذلك سلمان الفارسى وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان انما أسلم بالمدينة .

وبالجملة فلا فائدة فى تعديد هذه الأسماء ، والحاصل أن المشركين اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يتعلم هذا القرآن من غيره ثم يزعم انه تلقاه عن طريق الوحى .

وقد رد الله تعالى على هذه الفرية بقوله : (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التى هى اكمل من معانى كل كتاب نزل على بنى اسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمى ؟

انه لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل [٥]

---

(١) تفسير ابن جرير (١٤/ ١٧٧)
(٢) " الطبرى (١٤/ ١٧٨)
(٣) " ابن كثير (٢/ ٦٣٦)
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣٦) زاد المسير (٤/ ٤٩٣)
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣٦) .

نعم : كيف يتعلم محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا القرآن العظيم فى فصاحته وبلاغته وقوة معانيه من رجل أعجمى ؟

ومن أين للأعجمى أن يأتى بهذا الكتاب الذى تحدى الله به الانس والجن على حد سواء ؟

وقال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

يقول سيد قطب : (٢) (" وهذه المقالة منهم يصعب حملها على الجد ، وأغلب الظن أنها كيد من كيدهم الذى كانوا يريدونه ويعلمون كذبه وافتراءه ، والا فكيف يقولون - وهم أخبر بقيمة هذا الكتاب واعجازه - ان أعجميا يملك أن يعلم محمدا هذا الكتاب ، ولئن كان قادرا على مثله لظهر به لنفسه " .

ويضيف سيد قطب قائلا : " واليوم بعد ما تقدمت البشرية كثيرا ، وتفتقت مواهب البشر عن كتب ومؤلفات ، وعن نظم وتشريعات ، يملك كل من يتذوق القول ، وكل من يفقه أصول النظم الاجتماعية ، والتشريعات القانونية أن مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من عمل بشر "

ومن الآيات التى تحكى افتراءات المشركين فى هذا الصدد :

قوله تعالى : (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون . اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين) (٣)

والمعنى وكما فصلنا الآيات من بيان التوحيد وانه لا اله الا الله وحده

---

(١) الاسراء (٨٨)
(٢) فى ظلال القرآن (٥/٢٨٢)
(٣) الانعام (١٠٥ - ١٠٦)

كذلك نوضح الآيات ونبينها فى كل موطن بجهالة الجاهلين ، وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم ، وتعلمت منهم .

ذكر ذلك ابن جرير وابن كثير [1] عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم .

والحق انه لا يوجد أحد من أهل الكتاب على هذا المستوى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم " وهذه كتب أهل الكتاب التى كانت بين أيديهم يومئذاك ما تزال بين أيدينا ، والمسافة شاسعة بين هذا الذى فى أيديهم وهذا القرآن الكريم . ان ما بين أيديهم ان هو الا روايات لا ضابط لها عن تاريخ الانبياء ، والملوك مشوبة بأساطير وخرافات من صنع أشخاص مجهولين — هذا فيما يختص بالعهد القديم — فأما العهد الجديد — وهو الاناجيل — فما يزيد كذلك على أن يكون روايات رواها تلاميذ المسيح — عليه السلام — بعد عشرات السنين ، وتداولتها المجامع بالتحريف والتبديل والتعديل على مر السنين ، وحتى المواعظ الخلقية والتوجيهات الروحية لم تسلم من التحريف والاضافة والنسيان ، وهذا هو الذى كان بين أيدى أهل الكتاب حينذاك وما يزال ... فأين هذا كله من القرآن الكريم ؟ [2]

ثم اتبع الله سبحانه وتعالى الآية السابقة بقوله : (اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين . ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) . [3]

---

(١) تفسير جرير الطبرى (٧ / ٣٠٥) ومابعدها وتفسير ابن كثير (٢ / ١٧٦)

(٢) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب (٣ / ٢٣٤-٢٣٥) هذا وقد أوردت عدة شواهد على التحريف والتناقض اللذين أصابا العهدين فى رسالتى الماجستير : "منهج القرآن فى دعوة أهل الكتاب الى الاسلام"

(٣) الانعام (١٠٦-١٠٧)

والمعنى اتبع يا محمد ما أوحى اليك من القرآن العظيم الذى أوحاه الله اليك ولا تشغل بالك وقلبك باعراض المشركين عن دعوتك واصرارهم على الشرك ، ولا تبالى بأقوالهم فيك كقولهم " درست " لأن الحق يعلو متى ظهر بالقول والعمل واقترن بالاخلاص .. ثم يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انه لو شاء الله تعالى ألا يشرك الناس لما أشركوا بأن يخلقوا مؤمنين طائعين بالفطرة كالملائكة ، لكنه سبحانه وتعالى له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)(١)

وفى قوله : (وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) أى وما جعلناك يا محمد رقيبا تحفظ أقوالهم واعمالهم لتحاسبهم بها وتجازيهم عليها ، وما أنت موكل على أمورهم وارزاقهم . وانما عليك البلاغ والله هو الذى يتولى حسابهم .

ومن هنا نفهم انه ينبغى للداعية أن يوجه اهتمامه للذين استجابوا للدعوة ، لأنهم فى حاجة الى بناء كيانهم كله على قاعدة العقيدة الصحيحة أما الذين يقفون فى الجانب الآخر فجزاؤهم الترك والأهمال بعد ابلاغهم الدعوة وبيان الحق لهم ، لأنه متى نما الحق فى ذاته ، وتماسك البناء فان الله تعالى سيجرى سننه فى خلقه حيث يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

هذا وقد وردت آيات بينات تؤكد أن الذى نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحى وما فيه من قصص واخبار عن السابقين ، انما هو تنزيل من رب العالمين ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قبل نزول ذلك عليه

---

(١) الانبياء (٢٣) .

أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم شيئا من ذلك لا هو ولا قومه .

قال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) (١)

وقال سبحانه : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) (٢)

وقال عز وجل : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) (٣)

٣ ـ زعمهم بأن القرآن سحر أو كهانة :

ومن الشبه التى اعترض بها المشركون قولهم بأن القرآن سحر أو كهانة ، والسحر فى اللغة هو عبارة عما خفى ولطف سببه وعمله كفر كما قال تعالى : (... وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) (٤) .

وقد تقدم تعريف السحر عند الحديث عن ألوان من الشرك فى العبادات . أما الكهانة : فقد عرفها ابن حجر فى الفتح : (٥) بأنها ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد الى سبب ، والكاهن لفظ يطلق على العراف ، والذى يضرب بالحصى والمنجم ، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى فى قضاء حوائجه .

---

(١) هود (٤٩)
(٢) يوسف (٣)
(٣) " (١٠٢)
(٤) البقرة (١٠٢)
(٥) فتح البارى (١٠/٢٢٢)

وذكر ابن حجر قول الخطابى :[(١)] " الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه " ثم قال :

(وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية خصوصا فى العرب لانقطاع النبوه فيهم ، وهى على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن .. ولما جاء الاسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه الاعلى فيلقيه الى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى : (الا من خطف الخطفه فاتبعه شهاب ثاقب) .[(٢)]

ومنها ما يخبر الجنى به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الانسان غالبا ... ومنها ما يستند الى ظن وتخمين وحدس ... ومنها ما يستند الى التجربة والعادة . ومن هذا القسم الأخير ما يضاهى السحر وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وكل ذلك مذموم شرعا) ا هـ

ومن هذا يظهر لنا أن الكهانة تقوم على التخرص والتنبوء ببعض الامور الغيبية والسحر ــ كما عرفنا ــ يقوم على خفة اليد والحركة ومهارة الساحر باظهار أمور للناس على غير حقيقتها .

والمقارن بين طبيعة هذه الأعمال القائمة على الخداع والتمويه والشعوذة وادعاء علم الغيب وبين شخصية محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الامين يجد الفرق الواسع والبون الشاسع .

---

(١) فتح البارى (١٠/٢١٦ ــ ٢١٧)

(٢) الصافات (١٠)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : [١] " فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه وهو المناسب لها في الكذب والاثم ، فأما الصادق البار فلا يحصل به مقصود الشياطين ، فان الشيطان لا يتطلب الصدق والبر ، انما يتطلب الكذب والفجور ، ومحمد صلى الله عليه وسلم مازال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين ، لم تجرب عليه كذبة واحدة "

وقد فند القرآن الكريم هذه الشبهة فقال تعالى : (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) [٢]

وقال تعالى : (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) [٣]

وقد وصف الله تعالى القائلين بأن القرآن سحر بالكفر قال تعالى :

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) [٤]

وبين القرآن الكريم بأن الرسول ما هو الا بشر يتلقى الوحي من الله تعالى أما علم الغيب فعلمه الى الله تعالى وحده جاء ذلك على لسان نوح عليه السلام : (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم) [٥]

وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) [٦]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ / ٤٠)
(٢) الطور (٢٩)
(٣) الحاقة (٤٢)
(٤) الاحقاف (٧)
(٥) هود (٣١)
(٦) الانعام (٥٠)

ويقول تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (١)

وقال تعالى : (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (٢)

وقد نفى القرآن الكريم نفيا قاطعا أن يكون للشياطين أى اتصال بقلب النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزلون) (٣)

وأخبر تعالى بأن الشياطين انما تتنزل على كل كذاب فاجر مبالغ فى الكذب والعدوان لا على اتقى خلق الله وسيد ولد عدنان قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) (٤)

والمطالع للسنة النبوية يجد نهيا قاطعا وتحذيرا شديدا من السحر والكهانة والتنجيم والشعوذة وبيان الخطر الكبير من تصديق السحرة والكهنة والمنجمين .

ففى الصحيحين (٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر " الحديث .

---

(١) الاعراف (١٨٨)

(٢) النمل (٦٥)

(٣) الشعراء (٢١٠ — ٢١٢)

(٤) الشعراء (٢٢١ — ٢٢٣)

(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (١٠/ ٢٣٢) كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات وصحيح مسلم (١/ ٩٢) كتاب الايمان حديث رقم ١٤٥

وفى صحيح مسلم [(١)] عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " .

وروى النسائى [(٢)] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : " من عقد عقدة ثم نفث فيها ، فقد سحر ، ومن سحر فقد اشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه " .

وفى سنن أبى داود ومسند الامام أحمد [(٣)] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : " من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " .

وقال البخارى فى صحيحه [(٤)] عن قتادة : " خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها بغير ذلك اخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به " .

وعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه أن [(٥)] رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٥١) كتاب السلام حديث رقم (١٢٥)
(٢) سنن النسائى (٧/ ١١٢) المكتبة العلمية .
(٣) سنن أبى داود (٤/ ١٥) باب فى الكاهن حديث رقم (٣٩٠٤) ، ومسند الامام أحمد (٢/ ٤٢٩) .
(٤) صحيح البخارى بشرح الفتح (٦/ ٢٩٥) كتاب بدء الخلق ، باب فى النجوم .
(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤/ ٤٢٦) كتاب البيوع ، باب ثمن الكلب ومسلم (٣/ ١١٩٨) كتاب المساقاه ، باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغى ، وسنن أبى داود (٣/ ٧٥٣) كتاب البيوع والاجارات باب فى أثمان الكلاب ، والترمذى (٣/ ٥٧٥) كتاب البيوع ، باب ماجاء فى ثمن الكلب ، والنسائى (٧/ ٣٠٩) فى البيوع
===

ومهـــر البغـى (١) وحلـوان الكاهـن" (٢)

٤ ــ زعمهم بأن القرآن شعر :

ومن الشبهات التى آثارها المشركون فى وجه الرسالة اتهامهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر ، وقد ذكر الله تعالى هذه الشبهة فى كتابه الكريم ورد عليها .

قال تعالى : (بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الأولون) (٣)

والحق ان المقارن بين موضوعات القرآن الكريم وموضوعات الشعر ليجد الفرق الكبير والبون الشاسع وذلك أن القرآن الكريم قد خلا من اغراض الشعر من مدح وهجاء ، ونسيب ورثاء وغزل وغيرها من الاغراض التى يسبح فيها خيال الشاعر وتصوراته .

وفى المقابل نجد أن القرآن الكريم يحتوى على عقائد وشرائع وحكم واخلاق وحقائق تسمو بالانسان عن الاغراض الجاهلية .

=== باب بيع الكلب ، وابن ماجه (٢/ ٧٣٠) كتاب التجارات باب النهى عن ثمن الكلب ومهر البغى .. والموطأ (٢/ ٦٥٦) كتاب البيوع باب ماجاء فى ثمن الكلب .

(١) مهر البغى : هو ما تأخذه الزانية على الزنا ، وسماه مهرا لكونه على صورته ، وهو حرام باجماع المسلمين .
انظر شرح النووى على مسلم (١٠/ ٢٣١)

(٢) حلوان الكاهن : هو ما يعطاه على كهانته يقال منه حلوته حلوانا اذا اعطيته قال الهروى وغيره أصله من الحلاوة شبه بالشىء الحلو حيث أنه يأخذه سهلا بلا كلفه ولا مقابلة مشقة ، يقال حلوته اذا أطعمته الحلو ، كما يقال عسلته اذا اطعمته العسل . انظر شرح النووى على مسلم (١٠/ ٢٣١)

(٣) الأنبياء (٥)

وقد صور القرآن الكريم الشعر والشعراء في تلك الأغراض التافهة التى لا تحمل عقيدة ولا ترشد الى هدى بالاحوال التى تخالف حال النبوة وأن اتباع الشعراء هم الغاوون لا الراشدون قال تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) (١) .

قال الطبرى : (٢) (وهذا مثل ضربه الله لهم في افتتانهم في الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين "

وقال صاحب الكشاف : (٣) " انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب ، والتسيب بالحرم والغزل والابتهار (٤) ومدح من لا يستحق المدح ، ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء " .

وقد رد القرآن الكريم على هذه الشبهة ونفى هذه التهمة بآيات صريحة قال تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) (٥)

وقال تعالى : (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أ انا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذايقوا العذاب الأليم . وما تجزون الا ماكنتم تعملون) (٦)

---

(١) الشعراء (٢٢٤ ـ ٢٢٦)
(٢) الطبرى (١٩ / ٧٨)
(٣) الكشاف للزمخشرى (٣ / ١٣٣)
(٤) الابتهار : قول الكذب والحلف عليه . اللسان (٤ / ٨٣)
(٥) يس (٦٩ ـ ٧٠)
(٦) الصافات (٣٥ ـ ٣٩)

وقال تعالى : (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فانى معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (١)

وقال تعالى : (انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) (٢)

وفي الصحيح (٣) عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا .. الى أن قال : فانطلق أنيس حتى أتى مكة ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال : لقيت رجلا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله ، قلت : فما يقول الناس ؟ قال يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء .

قال انيس : لقد سمعت قول الكهنة ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على اقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدى ، أنه شعر ، والله انه لصادق وانهم لكاذبون .. "

فهذه الأدلة ترد على المشركين قولهم انه شاعر ، أو ان ما أتى به من قبيل الشعر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ، والقرآن الكريم ليس بشعر ، لأن الشعر كلام موزون ، مزخرف ، مبني على خيالات

---

(١) الطور (٢٩ ـ ٣٤)

(٢) الحاقه (٤٠ ـ ٤٣)

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩١٩) فضائل الصحابة حديث رقم (١٣٢)

وأوهام واهية ، لا تدنوا من منزلة القرآن العظيم الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر .

أما ما ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض الكلام الموزون كقوله : أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أو ما ورد فى القرآن الكريم من بعض المقاطع التى تشبه وزنا شعريا مثل قوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (١) وقوله (نصر من الله وفتح قريب) (٢) وقوله : (وجفان كالجواب وقدور راسيات) (٣) ونحو ذلك .

فلا اعتبار لها فى هذا المقام لأن الشاعر لا ينال هذا الوصف بكلمة عابرة تجرى على لسانه ، والكتاب لا يأخذ وصف الشعر لورود بعض عبارات فيه تشبه الشعر ، فقد يجرى على لسان متحدث كلمات موزونة وهو لا يقصد بها شعرا ، فانها لا تعتبر شعرا ولا يعد قائلها من الشعراء (٤) .

---

(١) آل عمران (٩٢)
(٢) الصف (١٣)
(٣) سبأ (١٣)
(٤) انظر اعجاز القرآن للباقلانى ص (٥١) وما بعدها ، والكشاف للزمخشرى (٣/٣٢٩) ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١٥/ ٥٢) وما بعدها ، واعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص (٣٠٧) وما بعدها .

المبحث الثاني
دحض مفترياتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم

١ ـ الاعتراض على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم :

ومن الشبه التي أثارها المعاندون المعرضون عن قبول الحق عدم امكانية الجمع بين البشرية والنبوة في الذات الواحدة ، ومعنى ذلك عدم تصديق الرسول المرسل بسبب كونه من البشر .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الشبهة في سور عديدة عند الكلام على رسالة الرسل ، كما بين القرآن الكريم أن هذه الشبهة لم تكن جديدة ، وانما هي شبهة قديمة وانها كانت تثار في وجه الدعاة الى الايمان من الانبياء والمرسلين السابقين .

فقد قيلت لنوح عليه السلام : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلنا) (١)

وعجب قومه ان بعث الله فيهم رجلا من انفسهم فقال الله تعالى حكاية عن خطاب نبيهم لهم : (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) (٢)

واستبعدوا أن ينزل الوحي على بشر فقالوا : (ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) (٣)

وقيلت لنبي الله صالح عليه السلام : (ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) (٤)

---

(١) هود (٢٧)
(٢) الاعراف (٦٣)
(٣) المؤمنون (٣٣ ـ ٣٤)
(٤) الشعراء (١٥٤)

وقيلت لشعيب عليه السلام : (وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين) (١)

وقالتها عاد وثمود لأنبيائها . قال تعالى : (فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) (٢)

وعجب قوم هود عليه السلام من ان ينزل الوحى على رجل منهم فقال تعالى : (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) (٣)

وكذلك قيلت لموسى وهارون عليهما السلام : (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) (٤)

وقالها مشركوا قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا) (٥)

واذا لم يكن الرسول من الملائكة فليس أقل من أن ينزل عليه ملك ليصدقه على ما يدعيه . قال ابن اسحاق : (٦)

---

(١) الشعراء (١٨٦)
(٢) فصلت (١٣ — ١٤)
(٣) الاعراف (٦٩)
(٤) المؤمنون (٤٧)
(٥) الاسراء (٩٤)
(٦) سيرة ابن هشام (١/٣٩٥)

" ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام وكلمهم فأبلغ اليهم فقال له زمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبى بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جعل معك يامحمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم :

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) (١)

وذكر الكلبى (٢) أن مشركى مكة قالوا : يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله ... "

وقد ذكر الله تعالى قولهم : (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) (٣)

وتتلخص شبهة المشركين فى هذه القضية : انهم اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم أحد أمرين : اما ان تنزل عليهم الملائكة مباشرة . أو ينزل ملك على الرسول صلى الله عليه وسلم يرونه ويشاهدونه بأعينهم .

والواقع أن هذا الاقتراح لو لم يقيد بالرؤية والمشاهدة لم يكن له فائدة ، لأنه ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتلقى القرآن الكريم من الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام كما قال تعالى : (وانه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين) (٤)

---

(١) الانعام (٨ — ٩)
(٢) اسباب النزول للواحدى ص (١٢٢)
(٣) الفرقان (٧)
(٤) الشعراء (١٩٢ — ١٩٤)

قال ابن الجوزى : (١) " والمراد بالروح الأمين جبريل ، وهو أمين على وحى الله تعالى الى أنبيائه "

وثبت فى الحديث الصحيح (٢) ان جبريل عليه السلام كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة بشرية كما فى حديث الاسلام والايمان والاحسان وعلم الساعة عن ابن عمر عن أبيه رضى الله عنهما قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .. ثم ذكر اسئلته للرسول صلى الله عليه وسلم .. وفى نهاية الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل هو جبريل عليه السلام بدليل قوله : " يا عمر أتدرى من السائل ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " .

والقرآن الكريم حينما يحرص على تفنيد هذه الشبهة ، وذكر قائليها انما ليبين ان لغة الماديين واحدة مهما تباعدت الأزمنة والأمكنة .

وعلى الرغم من سذاجة هذه الشبهة وتفاهتها لكونها لم تدعم بدليل ولم تؤيد ببرهان لأنها تقيد مشيئة الله تعالى وقدرته العظيمة وهو الفعال لما يريد وهو الذى يختص برحمته من يشاء من خلقه فان القرآن الكريم

---

(١) زاد المسير (٦/ ١٤٤)

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٧ - ٣٨) كتاب الايمان حديث رقم ١ ونحوه حديث ابى هريرة فى صحيح البخارى بشرح الفتح (١/ ١١٤) كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل عليه السلام عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ... وصحيح مسلم (١/ ٤٠) كتاب الايمان حديث رقم ٥ ، ٧

لم يمر على هذه الشبهة دون الرد عليها وأبطالها ، وذلك لتثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، وتقوية عزائم المؤمنين ، وخذلان الباطل واظهار الحق ونصرته .

ويتمثل رد القرآن الكريم على الاقتراحين السابقين من وجهين كما جاء فى قوله تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)(١)

فالوجه الأول : أنه لو أنزل الله تعالى ملكا كما اقترحوا لقضى الأمر بأهلاكهم ثم لا ينظرون .. بل يأخذهم العذاب عاجلا كما مضت به سنة الله فيمن قبلهم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية : ولو أتاهم ملك فى صورته لأهلكناهم ثم لا يؤخرون طرفة عين وقال قتادة ، يقول : لو أنزل الله ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب .

وقال مجاهد فى قوله : (لقضى الأمر) أى لقامت الساعة (٢)

وذكر صاحب المنار عن المفسرين فى قضاء الأمر هنا عدة وجوه : (٣) نختار منها (٤) ان سنة الله فى أقوام الرسل الذين قامت عليهم الحجة انهم كانوا اذا اقترحوا آية وأعطوها ولم يؤمنوا بها يعذبهم الله بالهلاك والاستئصال الذى تتولى تنفيذه الملائكة والله تعالى لا يريد أن يستأصل هذه الأمة ،

---

(١) الانعام (٨ — ٩)
(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى (٧/ ١٥١ — ١٥٢) والجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٦/ ٣٩٣) .
(٣) تفسير المنار (٧/ ٣١٤ — ٣١٥) والقرطبى (٦/ ٣٩٣ — ٣٩٤)

التى بعث فيها خاتم رسله نبى الرحمة ، فالرحمة العامة تنافى هـذا العذاب العام (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)(١)

(٢) : ان المراد انهم لو شاهدوا الملك بصورته الاصلية كما يطلبون لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون .

والوجه الثانى فى الرد عليهم قوله تعالى : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى لو جعل الرسول ملكا لجعل الملك متمثلا فى صورة البشر ، ليمكنهم رؤيته وسماع كلامه الذى يبلغه عن الله تعالى ، ولو جعله ملكا فى صورة البشر لاعتقدوا أنه بشر لأنهم لا يدركون منه الا صورته ، وصفات البشرية التى تمثل بها ، وحينئذ يقعون فى نفس اللبس والاشتباه الذى يلبسونه على انفسهم باستنكار جعل الرسول بشرا ..(٢)

٢ ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون :

ومن الحرب النفسية التى شنها المشركون ضد الرسالة اتهامهم للنبى صلى الله عليه وسلم بالجنون . وقد ذكر القرآن الكريم هذه المقالة عنهم وكر عليها بالدحض والابطال كما ابطل غيرها من المقالات الباطلة .

قال تعالى : (وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)(٣)

وقال تعالى عنهم : (ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين)(٤)

قال تعالى : (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)(٥)

---

(١) الأنبياء (١٠٧)
(٢) انظر تفسير المنار (٧/٣١٤ ـ ٣١٥) زاد المسير (٣/٨)
(٣) الحجر (٦)
(٤) المؤمنون (٢٥)
(٥) الصافات (٣٦)

وقال تعالى : (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) (١)

وقال تعالى : (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) (٢)

وقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم بأن هذه الاعتراضات الظالمة لم تختص بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما قالها المكذبون الأولون لرسلهم فقال تعالى : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (٣)

والعرب وغيرهم يعرفون مرض الجنون ، وكيف يتخبط المصاب به ، ويهذى بكلام لا يقبله العقلاء ، ويتصرف التصرفات التى تتنافى مع وقار الانسان واحترامه لنفسه ، وضبطه لسلوكه ووصوله الى غايته ، واذا قارنا بين هذه الاعراض وما اتصف به محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها عن الحكمة والاتزان ، والحلم والاناءة فى السياسة لأسرته ولأصحابه وللدولة ، وما أنيطت به من مسؤليات تشريعية وقضائية وتنفيذية ، وقيادة عسكرية ومسئوليات فى التربية والتعليم وغيرها ، وما اتصف به من الاخلاق العالية فى الصدق والوفاء ، والأمانة والحلم والكرم والشجاعة والصفح وغيرها من الصفات الجليلة فكان بذلك قدوة الاباء والحكام والقضاة والقادة والمعلمين والتجار والعمال وبقية افراد المجتمع ، يجدون فى شخصيته العظيمة الخلق العظيم والمثل الاعلى للكمال الانسانى .

ولقد رد القرآن الكريم على هذه التهمة ردا عنيفا وشديدا جاء ذلك

---

(١) الدخان (١٤)
(٢) القلم (٥١)
(٣) الذاريات (٥٢ — ٥٣)

فى كثير من الآيات البينات .

قال تعالى : (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين)[(١)]

وقال تعالى : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون . أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون)[(٢)]

وقال تعالى : (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)[(٣)]

وقال تعالى : (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاءهم بالحق وصدق المرسلين)[(٤)]

وقال تعالى : (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)[(٥)]

وقال تعالى : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)[(٦)]

قال الفخر الرازى :[(٧)] " ومعناه أن تلك الصفة المحمودة انما حصلت ، والصفة المذمومة انما زالت بواسطة انعام الله ولطفه واكرامه .. ثم انه قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها وذلك لأن قوله بنعمة ربك يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية ، والبراءة من كل عيب ، والاتصاف بكل مكرمة ، واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها

---

(١) الاعراف (١٨٤)
(٢) المؤمنون (٦٩ — ٧٠)
(٣) سبأ (٤٦)
(٤) الصفات (٣٥ — ٣٧)
(٥) الطور (٢٩)
(٦) القلم (٢)
(٧) التفسير الكبير للفخر الرازى (٣٠/٧٩ — ٨٠)

ينافى حصول الجنون ، فنبه الله تعالى على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين فى قولهم أنه مجنون . ومن الآيات التى ردت هذه الفريه : قوله تعالى (وما صاحبكم بمجنون) (١)

وقوله : (وما هو بقول شيطان رجيم) (٢)

ومن هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد رد هذه الفريه وهذا الباطل ردا قاطعا بما لا مزيد عليه .

٣ ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء والكذب :

واتهم المشركون النبى صلى الله عليه وسلم بأنه افترى على الله كذبا حين بلغهم أمر ربه تبارك وتعالى بأن يعبدوا الله وحده ، وانه ينزل عليه الوحى من عند الله تعالى .

جاء هذا الاتهام فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) (٣)

وقالوا : (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين) (٤)

وقال تعالى : (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا) (٥)

وقال تعالى : (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) (٦)

---

(١) التكوير (٢٢)
(٢) " (٢٥)
(٣) النحل (١٠١)
(٤) المؤمنون (٣٨)
(٥) الفرقان (٤)
(٦) السجدة (٣)

وقال تعالى : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد)[1]

(وقالوا ما هذا الا افك مفترى)[2]

وقال تعالى : (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور)[3]

قال الراغب الاصبهانى :[4] " استعمل الافتراء فى القرآن فى الكذب والشرك والظلم ".

ونقل الفخر الرازى عن أبى مسلم :[5] " الافتراء افتعال من فريت وقد يقال فى تقدير الأديم : فريت الأديم ، فاذا أريد قطع الافساد قيل افريت وافتريت واختلقت ، ويقال فيمن شتم امرءا بما ليس فيه افترى عليه " .

وفى اللسان :[6] " يقال فرى فلان الكذب يفريه اذا اختلقه ، والفرية من الكذب " .

وهذه الفرية انما هى من قبيل افتراء المشركين على النبوة كفريتهم بأن هذا القرآن أساطير الأولين أو انه تلقاه عن بشر او أنه سحر أو كلام شاعر وغيرها من التهم المؤدية الى نفى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه تبارك وتعالى .

---

(١) سبأ (٧ ـ ٨)
(٢) « (٤٣)
(٣) الشورى (٢٤)
(٤) المفردات فى غريب القرآن ص (٣٧٩)
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى (٥٠/٢٤)
(٦) لسان العرب لابن منظور (١٥٤/١٥)

ولهذا فان رد القرآن الكريم على هذه التهمة يعتبر ردا على جميع الافتراءات والشبه التى يثيرها المشركون .

وقد بين القرآن الكريم أن تلك التهمة لا تعد وكونها من قبيل الظلم والزور والبهتان .

قال الفخر الرازى (١) عند قوله تعالى : (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا)

واعلم أن الله تعالى أجاب عن هذه الشبهة بقوله : (فقد جاؤا ظلما وزورا) وبين الرازى أن هذا القدر انما يكفى جوابا عن الشبهة المذكورة لأنه قد علم كل عاقل أنه عليه الصلاة والسلام تحداهم بالقرآن وهم فى النهاية فى الفصاحة ، وقد بلغوا فى الحرص على ابطال أمره كل غاية حتى أخرجهم ذلك الى ما وصفوه به فى هذه الآيات ، فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا ، ولكان ذلك أقرب الى أن يبلغوا مرادهم فيه مما أوردوه فى هذه الآية وغيرها ، ولو استعان محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كاولئك المنكرين فى معرفة اللغة وفى المكنة من الاستعانة ، فلما لم يفعلوا ذلك والحالة هذه علم أن القرآن قد بلغ النهاية فى الفصاحة وانتهى الى حد الاعجاز ، ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات فى القرآن وظهر بسببها سقوط هذا السؤال ، ظهر أن اعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الادلة الواضحة لا يكون الا للتمادى فى الجهل والعناد ، فلذلك اكتفى الله فى الجواب بقوله تعالى : (فقد جاؤا ظلما وزورا) .

---

(١) التفسير الكبير (٢٤/٥٠)

وأضاف الرازى يقول : " ان الله وصف كلامهم بأنه ظلم وزور ، أما أنه ظلم فلانهم نسبوا هذا الفعل القبيح الى من كان مبرأ منه ، فقد وضعوا الشىء فى غير موضعه ، وذلك هو الظلم . وأما الزور فلانهم كذبوا فيه

وقال أبو مسلم : الظلم تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليه ، والزور كذبهم عليه " اهـ

والحق أن هذا القرآن يحمل دليل صدقه معه من عند الله تعالى ، اذ تلتقى رسالته برسالات الأنبياء فى أصولها وجوهرها واهدافها ومبادئها وفيه زيادة بيان وتفصيل للشرائع والعقائد والأحكام .

وقد سلى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باعلام المكذبين له ان تكذيب الرسل هو دين الأمم السابقة مع رسلها وانبيائها قال تعالى :

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) (١)

وقال تعالى : (.. ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢)

وقال عز وجل : " (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (٣)

---

(١) يونس (٣٧ - ٣٩)
(٢) يوسف (١١١)
(٣) الشورى (١٣)

وبالاضافة الى اعجاز القرآن البلاغى وما يشتمل عليه من معجـزات فى الاخبار عن قصص السابقين التى لم يحط بها النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اخباره عن بعض المغيبات ، فان اعجازه بالشريعة الكاملة فى تقريرها للاحكام السمحة ، وقيامها على مبادىء العدل والحكمة وكرامة الانسان ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان لا يزال يتحدى العالمـين ويبرهن لهم أن النبى الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب لا يستطيع أن يأتى بمثل هذا القرآن وانه تنزيل من حكيم حميد ، قال تعالى : (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) (١)

وعن صحة القرآن الكريم وما فيه من حقائق علمية يقول الطبيب الفرنسى موريس بوكاى فى خاتمه سفره النفيس الذى كتبه عن القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم : (٢) " ان مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايـات نفس الموضوعات فى القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غـير المقبولة علميا وبين مقولات القرآن التى تتوافق تماما مع المعطيات الحديثة .

ولا يستطيع الانسان تصور أن كثيرا من المقولات ذات السمـة العلمية كانت من تأليف بشر وهذا بسبب حالة المعارف فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم . لذا فمن المشروع تماما أن ينظر الى القرآن على أنه تعبير الوحى من الله وأن تعطى له مكانة خاصة جدا حيث ان صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث ان احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو كأنهـا تتحدى أى تفسير وضعى . عقيمة حقا المحاولات التى تسعى لايجاد تفسـير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية " .

---

(١) الاسراء (١٠٥)

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص (٢٨٦) دار المعارف

المبحث الثالث
اعناتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بطلب المعجزات والخوارق

ولما رأى زعماء المشركين فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم تحديا لزعامتهم وتهديدا لمكانتهم ومصالحهم وضربة قاضية لتقاليدهم الموروثة أخذوا يتحدون النبى صلى الله عليه وسلم بطلب المعجزات لتأييد صدق دعوته وصلته بالله عز وجل .

وقد ذكر الله تعالى عنهم تلك المطالب فى كتابه الكريم كما ذكر الردود على تلك التحديات .

ومن الآيات التى تبين مدى التحدى والاحراج الذى واجهه النبى صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) (١)

وقد تقدم الرد على اعتراضهم بعدم امكانية الجمع بين البشرية والنبوة فى الذات الواحدة فى بحث اعتراضهم على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال تعالى : (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٢)

وطلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس باستطاعته الاتيان به مما ينم عن جهلهم بحقيقة النبوة والرسالة .

قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا . أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) (٣)

---

(١) الانعام (٨)   (٢) الانعام (٣٧)   (٣) الاسراء (٩٠-٩٣)

وقال تعالى : (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) (١)

وأقسم المشركون بأعظم الايمان وأشدها لئن جاءتهم معجزة أو أمر خارق مما اقترحوه ليؤمنن بها قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) (٢)

أما رد القرآن الكريم عن هذه التحديات فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاء بالمعجزة الخالدة ، وهى معجزة القرآن الكريم بعلومه ومعارفه ، واسلوبه وبلاغته ، واخباره الماضية والمستقبلة .

وهذا ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (٣)

" ما من الأنبياء نبى الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الىّ ، فأرجوا ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ".

وقد تحدى النبى صلى الله عليه وسلم العرب خاصة بل الناس جميعا بالقرآن الكريم ، فعجزوا عن الآتيان بسورة واحدة من مثله ، ولو بأقصر السور ، اذ لم يتقدم واحد منهم الى الاتيان بشىء من مثله على الرغم مما برزوا فيه من الفصاحة والبلاغة قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٤)

---

(١) الفرقان (٧ — ٨)
(٢) الانعام (١٠٩)
(٣) اخرجه البخارى فى صحيحه (٦ / ٩٧) كتاب الفضائل باب كيف نزول الوحى وأول ما نزل . وتقدم ص (٢٧٧) .
(٤) الاسراء (٨٨) وقد تقدم مراحل التحدى بالقرآن فى الادلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن ردود القرآن الكريم على المشركين فى هذا الصدد قول الله تعالى : (أو لم يكفيهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم مافى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) (١)

وهذا استفهام توبيخى للمشركين ، والمعنى أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب العظيم المعجز الذى يقرع اسماعهم ؟ وكيف يطلبون آية تؤيد ما جاء به والقرآن اعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير رحمه الله : (٢) " بين تعالى كثرة جهلهم ، وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الذى هو أعظم من كل معجزة ، اذ عجزت الفصحاء والبلاغاء عن معارضته بل عن معارضة سورة منه ، أولم يكفيهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذى فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل امى لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما فى الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلى "

وبالاضافة الى شهادة الله تعالى له على صدقه وكفى بها شهادة وما أيده الله تعالى به من القرآن وما فيه من معجزات أخرى كالاخبار عن أمور غيبيه ، وقصص السابقين والرسول صلى الله عليه وسلم رجل أمى لا يقرأولا يكتب

---

(١) العنكبوت (٥١ ــ ٥٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٥ ــ ٤٣٦)

فقد أيد الله تعالى نبيه بمعجزات حسية كانشقاق القمر الذى ذكره الله تعالى فى كتابه : (اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) (١)

فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما (٢) من حديث ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اشهدوا "

وكذلك معجزة الاسراء والمعراج بروح الرسول صلى الله عليه وسلم وبدنه من مكة الى بيت المقدس وصعوده الى السموات واطلاعه على آيات الله العظيمة قال تعالى : (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) (٣)

الى غير ذلك معجزاته صلى الله عليه وسلم الحسية كنبع الماء بين أصابعه وتسبيح الحصى (٤) ، واستجابة دعائه وعصمته من الناس وحراسة السماء بالشهب

---

(١) القمر (١ — ٢)

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/ ٦١٧) كتاب التفسير باب " وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا " ومسلم (١/ ٢١٥٨) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر حديث ٤٣
وانشقاق القمر على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قول جميع المفسرين وشذ قوم فقالوا سينشق يوم القيامة قال ابن الجوزى : " وهذا القول الشاذ لا يقاوم الاجماع .
زاد المسير (٨/ ٨٨)

(٣) الاسراء (١)

(٤) انظر مقدمة شرح النووى على مسلم (١/ ٢)

غير أن القرآن الكريم لم يعتبر ما طلبه المشركون من الآيات هو الأصل فى برهان النبوة بل لفت عقول الناس ليستدلوا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم عن خلال ما أتاهم من معجزة ببيانه مع انه رجل أمى لم يقرأ ولم يكتب .

ونظرا لأن المشركين لم يقتنعوا بما جاءهم من الحق وأخذوا يلحون على الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب نزول الآيات الحسية فان القرآن الكريم يرجع ذلك أولا الى تقرير مشيئة الله تعالى وقدرته العظيمة بعدم استجابة التحدى كما بينته الآيات السابقة وكما جاء فى قوله تعالى : (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد) (١)

وقال تعالى : (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب) (٢)

وقال تعالى : (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) (٣)

فهذه الآيات الكريمة تفيد أن نزول الآيات يخضع لمشيئة الله تعالى وأن حكمة الله تعالى اقتضت ألا تكون الخوارق برهانا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودليلا على صحة رسالته .

والحكمة فى ذلك — والله اعلم — لأن هذه الرسالة فى غنى عن معجزات مادية خارقة للعادة ، لأنها تحمل صدقها بما تحمله من مبادىء نبيلة واهداف سامية فهى تقوم على الدعوة الى عبادة الله تعالى وحده ،

---

(١) الرعد (٧)
(٢) الرعد (٢٧)
(٣) الانعام (١١١)

وتنزيهه عن الشرك كبيرة وصغيرة ، فى الهيته وفى ربوبيته وفى اسمائه وصفاته ، وهى تحارب الوثنية بجميع صورها وأشكالها ، وتحث على صالح الأعمال ومكارم الاخلاق ، وترغب فى الفضائل وتنفر من الرذائل وتحذر منها لأنها تؤدى الى شقاء البشرية ودمارها .

وكذلك من ردود القرآن على المشركين ما علمه الله تعالى من أن السبب فى عدم ايمانهم ليس من أجل التباس أو غموض فى صدق الدعوة وانما هو ما انطوت عليه نواياهم من عدم الرغبة فى قبول الحق بحيث لو أنزل الله تعالى عليهم اعظم الآيات لما آمنوا .

قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) (١)

وقال تعالى : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) (٢)

وهناك سبب آخر ذكره الله تعالى فى منع نزول الآيات قال تعالى :

(وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون . وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) (٣)

فهذه الآية تضمنت تقريرا صريحا بأن حكمة الله تعالى اقتضت الامتناع عن اجابة الكفار بارسال الآيات التى طلبوها ، لأنه ثبت بالتجربة من الأمم السابقة انهم كذبوا بالآيات ولم يؤمنوا بها ، فأهلكهم الله ودمرهم . وأما قوم محمد صلى الله عليه وسلم فان حكمة الله تعالى اقتضت امهالهم وعدم اهلاكهم لأن الله تعالى علم ان منهم ومن ذريتهم من يؤمن وينفع الله به فلم يجبهم الى ما طلبوا حتى لا يكون مصيرهم مصير الأقوام السابقين من الهلاك والدمار والله أعلم.

---

(١) الانعام (٧)
(٢) الحجر (١٤ — ١٥)
(٣) الاسراء (٥٩)

البـــاب الرابـــع
النقلة بالمشركين فى العبادات والسلوك وموقف الاسلام منهم

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : النقلة بهم فى العبادات .

الفصل الثانى : النقلة بهم فى السلوك والاخلاق .

الفصل الثالث : موقف الاسلام منهم .

الباب الرابع

النقلة بالمشركين فى العبادات والسلوك وموقف الاسلام منهم

تمهيد : :

وكما أحدث الاسلام نقلة عميقة وشاملة فى مجال العقيدة يمثل تحولا عظيما من عبادة الأشياء المحسوسة كالاصنام والأوثان والكواكب التى يرونها ويلمسونها الى عبادة الله الواحد الأحد الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .[1]

والذى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[2]

أحدث الاسلام فى مجال العبادات والسلوك تغييرا جذريا بين ما كان عليه الناس فى جاهليتهم من عادات باطلة وما دعا اليه الاسلام من عبادات وأحكام شرعية واخلاقية لها وزنها وقيمتها فى تربية الفرد والجماعة فالأمة على منهاج الله تبارك وتعالى الملائم للفطرة البشرية ، ولها وزنها وارتباطها بالعقيدة وتحقيق العبودية لله تعالى وحده . وحديث جعفر ابن أبى طالب للنجاشي ملك الحبشة يمثل صورة واضحة لما كان عليه العرب فى الجاهلية من ضلال وفساد فى العبادات والسلوك ، كما يوضح لنا النقلة الكبيرة التى احدثها الاسلام الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

واليك نص الحديث قال جعفر :[3] " أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله

---

(١) الشورى (١١)

(٢) الانعام (١٠٣)

(٣) سيرة ابن هشام (١/٣٣٦) الكامل لابن الأثير (٢/٥٥) البداية والنهاية (٣/٤٣ـ٧٤) السيرة الحلبية (٢/٣١) .

الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... "

هذا وسنتناول بعض الأمور التى أشار اليها هذا الحديث فى الفصلين التاليين :

الفصل الأول
النقله بهم فى العبادات

ومن هذه العبادات والاحكام الشرعية التى جاء بها الاسلام :

١ ـ الصلاة .

٢ ـ الزكاة .

٣ ـ الصيام .

٤ ـ الحج .

١ ـ الصلاة :

فأما الصلاة فقد اهتم الدين الاسلامى باقامتها والمحافظة عليها وبين القرآن الكريم أن مشروعيتها كانت على الأمم السابقة ففى دعاء ابراهيم عليه السلام : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) (١)

وامتدح الله اسماعيل عليه السلام لاقامته لها وأمره لأهله بها قال تعالى : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) (٢)

وأمر الله رسوله موسى عليه السلام باقامتها فى بداية تكليفه بالرسالة قال تعالى : (وانا أخترتك فاستمع لما يوحى . اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) . (٣)

ويوحى الله تبارك وتعالى الى موسى وأخيه هارون : (أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة) . (٤)

---

(١) ابراهيم (٤٠)
(٢) مريم (٥٥)
(٣) طه (١٤)
(٤) يونس (٨٧)

وينطق المسيح عليه السلام في مهده قائلا : (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (١)

وكان من وصية لقمان لابنه : (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) (٢)

أما العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكن لهم صلاة معروفه الا ماكانوا يدعون الله به عند تلبية الحج من قولهم : (٣) (لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك ، الا شريك هو لك ، تملكه وما ملك) .

وكذلك ما أخبر الله تعالى به عنهم في قوله سبحانه : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) (٤)

والمكاء الصفير ، والتصدية : التصفيق قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون .

وقال مجاهد : كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزئون به ويصفرون ويخلطون عليه طوافه وصلاته ،

وقال مقاتل : كان اذا صلى الرسول في المسجد يقومون عن يمينه ويساره بالتصفيق والتصغير ليخلطوا عليه صلاته . (٥)

---

(١) مريم (٣١)

(٢) لقمان (١٧)

(٣) تفسير ابن جرير (١٣/ ٧٩) الاصنام ص (٧) سيرة ابن هشام (١/ ٧٨) البداية والنهاية (٢/ ١٨٨) الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٥٦) اغاثة اللهفان (٢/ ٢١٠) .

(٤) الانفال (٣٥)

(٥) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري (٩/ ٢٤٠-٢٤٢) وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩) والفخر الرازي (١٥/ ١٥٩ - ١٦٠) .

قال الفخر الرازى :[١] " فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول مجاهد ومقاتل كان ايذاء للنبى صلى الله عليه وسلم والأول أقرب لقوله تعالى : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية)

فلما جاء الاسلام الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم زاد من الاهتمام والعناية بالصلاة ، وجعلها ركنا من اركان الاسلام لا يصح اسلام الشخص بدون اقامتها ، وكانت عمود الدين وخير الاعمال عند الله تعالى وأول ما يحاسب عنه المسلم يوم القيامة .

ومن الآيات التى وردت فى الامر بها :

قوله تعالى : (أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة)[٢]

وقوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا)[٣]

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[٤]

ويؤكد القرآن المحافظة على الصلاة فى حالة الحضر أو السفر وفى حالة الأمن أو الخوف قال تعالى : (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)[٥]

---

(١) تفسير الفخر الرازى (١٥/١٥٩ — ١٦٠)
(٢) العنكبوت (٤٥)
(٣) الاسراء (٧٨)
(٤) الحج (٧٧)
(٥) البقرة (٢٣٨ — ٢٣٩)

وجعل القرآن الكريم اقامتها صفة من صفات المتقين قال تعالى :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون) (١)

كما جعلها صفة لازمة للمؤمنين وقد بدأ القرآن حديثه بالخاشعين في صلاتهم وختمه بالمحافظين عليها في الآيات التالية :

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون) (٢)

وللصلاة نظافة وتطهر ، وزينة وتجمل في البدن والثوب والمكان من كل خبث ومستقذر قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأمسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين . وان كنتم جنبا فأطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) (٣)

وقال تعالى : (وثيابك فطهر) (٤)

وشرع التزين للصلاه فقال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (٥) .

---

(١) البقرة (٣)
(٢) المؤمنون (١ — ٩)
(٣) المائدة (٦)
(٤) المدثر (٤)
(٥) الاعراف (٣١)

وينذر القرآن بالويل والهلاك لمن يسهون في صلاتهم حتى يضيعوا وقتها قال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) (١)

ويد مغ بالذم والغي لمن أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) (٢)

والصلاة تمد المؤمن بقوه روحيه تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) . (٣)

وقال سبحانه : (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) (٤)

وفي الصلاة قوة خلقية للمؤمن تقويه على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير قال تعالى : (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (٥)

وقال تعالى : (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) (٦)

الى غير ذلك من السمات التي تضفي على هذه العبادة كثيرا من المزايا الجميلة .

---

(١) الماعون (٤ — ٥)
(٢) مريم (٥٩)
(٣) البقرة (١٥٣)
(٤) « (٤٥ — ٤٦)
(٥) العنكبوت (٤٥)
(٦) المعارج (١٩ — ٢٣)

٢ ـ الزكــــاة :

وأما الزكاة فهى كذلك عبادة عرفت فى الرسالات السماوية السابقـة وذكرها الله فى وصاياه الى رسله وفى وصايا رسله الى أممهم فيقول عن ابراهيم الخليل وابنه اسحاق وحفيده يعقوب : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنـــا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (١)

ويمتدح اسماعيل بقوله : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربـه مرضيـا) (٢)

ويذكر الله فى مواثيقه لبنى اسرائيل فيقول : (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامـى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٣)

وقال تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهـم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتـم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكـم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل) (٤)

وينطق المسيح وهو فى مهده بقوله : (وأوصانى بالصلاة والزكـاة ما دمت حيا) (٥)

ويقول تعالى فى شأن أهل الكتاب بصفـة عامـة :

---

(١) الأنبياء (٧٣)
(٢) مريم (٥٥)
(٣) البقرة (٨٣)
(٤) المائدة (١٢)
(٥) مريم (٣١)

(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[(١)]

ويأتى الأمر موجها الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى :

(... وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)[(٢)]

روى الطبرى[(٣)] فى تفسير الآية أقوالا عن العلماء تدور فى مجملها أن المراد بذلك الصدقة الواجبة .

وقد امتدح الله المؤمنين المؤدين لزكاتهم فقال تعالى : (والذين هم للزكاة فاعلون)[(٤)]

وقد وضح ابن كثير رحمه الله معنى وجوب الزكاة فى العهد المكى وتنظيمها فى العهد المدنى فقال :[(٥)] " الاكثرون على أن المراد هاهنا زكاة الاموال مع أن هذه الآية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة فى سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التى فرضت بالمدينة انما هى ذات النصب والمقادير الخاصة والا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة قال تعالى فى سورة الأنعام وهى مكية : (وآتوا حقه يوم حصاده)

وقال الشيخ الخضرى :[(٦)] " ومما فرض بمكة الزكاة وقلما وجد من الأوامر المكية ذكر الصلاة الا وبجانبه ايتاء الزكاة واستشهد بآية سورة الانعام وآتوا حقه يوم حصاده) ثم قال :" الا ان هذه الحقوق الواجبة لم تفصل

---

(١) البينة (٤ ـ ٥)
(٢) الانعام (١٤١)
(٣) تفسير الطبرى (٥٣/٨)
(٤) المؤمنون (٤)
(٥) تفسير ابن كثير (٢٥١/٣)
(٦) تاريخ الامم الاسلامية (٩٢/١)

بمكة فقد كان ذلك موكولا لما فى النفوس من الجود وبحسب حاجة الناس .اهـ

وقال تعالى : (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (١)

وقال تعالى : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) (٢)

وقال تعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (٣)

وقال تعالى : (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا) (٤)

وقد انذر الله المشركين بالويل وجعل من أخص أوصافهم عدم ايتاء الزكاة فقال تعالى : (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) (٥)

ويعلل القرآن الكريم جزاء من يسجر فى الجحيم ويسحب فى السلاسل والاغلال بقوله : (انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) (٦)

ويسجل القرآن اعتراف المجرمين فى النار فيقول عنهم : (قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) (٧)

وقد نهى الله تعالى عن قهر اليتيم ونهر المسكين فقال تعالى :
(فأما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر) . (٨)

---

(١) الشورى (٣٨)
(٢) الذاريات (١٩)
(٣) المعارج (٢٤)
(٤) المزمل (٢٠)
(٥) فصلت (٦ — ٧)
(٦) الحاقة (٣٣ — ٣٤)
(٧) المدثر (٤٣ — ٤٤)
(٨) الضحى (٩ — ١٠)

ويبين أن من أوصاف الذى يكذب بالجزاء والحساب هو ذلك الذى يدفع اليتيم بجفوة وغلظه ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن اليه ولا يحض على طعام المسكين قال تعالى : (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين)(١)

قال الرازى :(٢) " فان قيل : لم قال " ولا يحض على طعام المسكين " ولم يقل : " ولا يطعم المسكين ؟ فالجواب أنه اذا منع اليتيم حقه ، فكيف يطعم المسكين من مال نفسه ؟ بل هو بخيل من مال غيره ، وهذا هو النهاية فى الخسة ، ويدل على نهاية بخله ، وقساوة قلبه وخساسة طبعه " .

هذه بعض عناية القرآن الملحة بالبر ورعاية المساكين وأداء حق السائل والمحروم مما يبعث فى النفوس البشرية الانقياد والتسليم والرضا برب العالمين وحده .

كما أن الزكاة التى جاء بها الاسلام ليست مقصورة على البر والانفاق العام فحسب ، ولكنها أصبحت ركنا من اركان هذا الدين ودعامة من دعائم الايمان ، وايتاؤها مع اقامة الصلاة والشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة عنوان على الدخول فى الاسلام واستحقاق أخوة المسلمين قال تعالى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)(٣)

وقال تعالى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين)(٤)

---

(١) الماعون (١ — ٣)
(٢) التفسير الكبير (١٦٢/٣١)
(٣) التوبة (٥)
(٤) " (١١)

وعلم الله تعالى المسلمين منذ اللحظة الأولى أن التوسط فى النفقة يحمى المجتمع الاسلامى من الضيق الاقتصادى قال تعالى : (ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (١)

وقال سبحانه : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) (٢)

وجعل القرآن الكريم هذا المبدأ من سمات المؤمنين قال تعالى : (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (٣)

وبين القرآن أن توزيع الارزاق موكول الى الله جل شأنه وحده فقال تعالى : (له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شىء عليم) (٤)

٣ ـ الصيام :

وفرض الله الصيام على عباده وبين لهم أنه ليس تشريعا جديدا وانما هو تشريع كان مفروضا على الأمم السابقة قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٥)

وكان الصيام معروفا عند العرب قبل الاسلام فقد روى البخارى (٦) بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية

---

(١) الاسراء (٢٦ ـ ٢٧)
(٢) " (٢٩)
(٣) الفرقان (٦٦)
(٤) الشورى (١٢)
(٥) البقرة (١٨٣)
(٦) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤/١٠٢) كتاب الصوم ، باب وجوب صوم رمضان .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من شاء فليصمه ومن شاء افطره " .

وروى ابن اسحاق (١) فى حديث بدء الوحى وكان يجاور فى غار حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية الى أن قال : "فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين .. وذلك الشهر هو شهر رمضان .. " الذى أنزل عليه فيه القرآن .

فيفهم من ذلك أن الصوم مما تتعبد به قريش فى جاهليتهم ، ويفهم من ذلك أيضا أن أصل مشروعة الصيام كان بمكة حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم عاشوراء حتى فرض صوم رمضان بالمدينة .

وفى الصيام تمام التسليم لله تعالى وكمال العبودية لله سبحانه وتعالى ، يظهر ذلك فى ترك العبد لطعامه وشرابه وزوجته مع حاجته الى ذلك ، وانما فعل ذلك للايمان بالله والرغبة فى رضاه وايثار ما عنده .

ومن حكم الصيام أن الغنى يعرف به مقدار نعم الله عليه حيث أنعم الله تعالى عليه بالطعام والشراب والنكاح وقد حرمها كثير من الناس فيحمد الله على هذه النعم ويشكره على هذا التيسير ، ويذكر بذلك اخوانه الفقراء والمساكين الذين ربما يبيتون جياعا فيجود عليهم بالصدقة يسد بها جوعتهم ويكسوا بها عورتهم .

ومن حكم الصيام أن فيه تقوية للارادة وتربية على الصبر والتمرن على ضبط النفس والسيطرة عليها والقوة على الامساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم

---

(١) سيرة ابن هشام (٢٣٥/١ – ٢٣٦) .

فيها ويقودها الى ما فيه خيرها وسعادتها .

والصيام سبب للتقوى كما جاء فى ختم الآية السابقة " ... لعلكم تتقون " لأن الصائم مأمور بفعل الطاعات واجتناب المعاصى .

وقلب الصائم يتخلى للفكر والذكر وتناول الشهوات يستوجب الغفلة وربما قسوة القلب .

ومن حكم الصيام ما يترتب عليه من الفوائد الصحية التى تحصل بتقليل الطعام واراحة الجهاز الهضمى لمدة معينة .(١)

الى غير ذلك من الحكم الدينية والاجتماعية والاخلاقية والتربوية والصحية التى تحصل بسبب الصيام فسبحانه تعالى من حكيم عليم .

قال المراغى (٢) : " وبهذا نعلم أنما كتب علينا الصوم الا لمنفعتنا لا كما يعتقد الوثنيون من أن القصد منه تسكين غضب الآلهة اذا عملوا ما يغضبهم ، أو استمالتهم فى بعض الشئون والاغراض ، لأن الآلهة لا ترضى الا بتعذيب النفس واماتة حظوظ الجسد ، وقد شاع هذا الاعتقاد بين أهل الكتاب فجاء الاسلام ومحا كل هذا ".

---

(١) انظر مجالس شهر رمضان لمحمد بن صالح بن عثيمين ص (٦٥) ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، العبادة فى الاسلام ليوسف القرضاوى ص (٢٧٧ — ٢٧٨) روح الدين الاسلامى ص (٢٤٨) .

(٢) انظر تفسير المراغى (٢/ ٦٨ — ٦٩) .

٤ ـ الحـــج :

وكان العرب قبل الاسلام كسائر الأمم يحجون الى بيت الله الحرام الذى بناه ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام بمكة قال تعالى : (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينـا انك أنت التواب الرحيم) (١)

وقال تعالى : (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) (٢)

وقال تعالى : (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحـــج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) (٣)

وعلى ذلك مضى أمر العرب من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لكنهم قد غيروا كثيرا مما كان عليه ابراهيم واسماعيل ، وخلطوا حقا بباطل ، فحرفوا الحج عن وجهته ، وملأوا الكعبة ــ بيت التوحيد ــ بالانصاب والأوثان وجعلوها على ظهر البيت وبجواره وعلى الصفا والمروة واتخذوا هذه الأنصاب آلهة مع الله ،

---

(١) البقرة (١٢٧ ــ ١٢٨)
(٢) آل عمران (٩٦)
(٣) الحج (٢٦ ــ ٢٩)

يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ، ونذروا لها وذبحوا باسمها وقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا .

ثم انهم ابتدعوا فى الحج بدعا ما أنزل الله بها من سلطان ومن هذه البدع طوافهم بالبيت عراة زاعمين أنه لا يليق بهم أن يطوفوا ببيت الله بثياب ارتكبوا فيها الذنوب والآثام ، وكان النساء يطفن بالليل ، وكانت احداهن تضع ثيابها كلها الا درعا يسترها عن الحمس (١) من قريش ، ثم تطوف فى هذا الدرع الذى لا يستر العورة ، وقد حرموا على أنفسهم من الزينة والرزق ما لم يحرمه الله عليهم .

فلما جاء الاسلام أبطل هذه العادات الجاهلية ، ونقى الحج من تلك الضلالات الباطلة ، وجعل الحج كله خالصا لله تعالى وأبطل العرى المزرى ، وذلك التحريم للطيبات التى حرموها بغير دليل .

---

(١) الحمس أو الاحماس جمع الأحمس : وهو لقب قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة ، وجديلة قيس ، ومن تابعهم فى الجاهلية سموا بذلك لتحمسهم فى دينهم أى تشددوا ، وكانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ويقولون نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون .

انظر لسان العرب (٦/ ٥٨) والنهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٠) أو سموا بذلك لالتجائهم بالحمساء وهى الكعبة لأن حجرها أبيض يميل الى السواد ، والحماسة الشجاعة والأحمس الشجاع القاموس المحيط (٢/ ٢٠٨) .

قال تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) (١)

فهاتين الآيتين هما رد على أولئك المشركين فيما كانوا يفعلونه من الطواف بالبيت عراة ، وفى تحريمهم على أنفسهم شيئا من الزينة والرزق لم يحرمه الله عليهم .

روى الامام مسلم فى صحيحه (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة ، فتقول : من يعيرنى تطوافا (٣) تجعله على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية .

وذكر الفخر الرازى (٤) عن ابن عباس : أن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل

---

(١) الاعراف (٣١ — ٣٢)

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٣٢٠) كتاب التفسير باب قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والنسائى (٥/ ٢٣٣ — ٢٣٤) فى الحج باب قوله عز وجل (خذوا زينتكم عند كل مسجد)

(٣) تطوافا : هو ثوب تلبسه المرأة تطوف به . انظر شرح النووى على مسلم (١٨/ ١٦٢) .

(٤) التفسير الكبير (١٤/ ٦٠) .

وكانوا اذا وصلوا الى مسجد منى ، طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة ، وقالوا : لا نطوف فى ثياب أصبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول : نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب ، وكانت المرأة منهم تتخذ سترا تعلقه على حقويها ، لتستتر به عن الحمس ، وهم قريش فانهم كانوا لا يفعلون ذلك .

وكانوا يصلون فى ثيابهم ، ولا يأكلون من الطعام الا قوتا ، ولا يأكلون دسما ، فقال المسلمون : يارسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ، أى " البسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا " اهـ.

وقوله : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الاية

اى قل يا محمد منكرا وموبخا لهؤلاء الجهلة الذين يطوفون ببيت الله عراة ويحرمون على أنفسهم ما أحل لهم من الطيبات ، من حرم عليكم الطيبات من المآكل والمشارب أو الملابس المخلوقة لنفعكم ؟

ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهؤلاء المشركين ان هذه الزينة والطيبات الموجودة فى الحياة الدنيا انما هى مخلوقة للمؤمنين وان شاركهم فيها الكفار ، وستكون للمؤمنين خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد ، لأن الله تعالى حرم الجنة ونعيمها على الكافرين (١) .. وعليكم أيها المشركون والناس جميعاً أن تتدبروا حكمة الله وتفقهوا تشريعه ..

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٧) بتصرف .

وكانت قريش لا تخرج من الحرم ، وانما يقفون فى طرف الحرم عند أدنى الحل ، ويقولون نحن أهل الله فى بلدته وقطان بيته فكانوا يقفون بالمزدلفة ويدفعون منها ولا يقفون فى عرفة .[1] فرد الله تعالى عليهم بقوله : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)[2]

وقد روى البخارى[3] عن عائشة رضى الله عنها قالت : " كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) .

دخول البيوت من غير أبوابها :

ومن سخافات الجاهلية التى أبطلها الاسلام الدخول الى المنزل بعد الرجوع من السفر من غير الباب قال تعالى : (... وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)[4]

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبرى (٢/ ٢٩١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥١)

(٢) البقرة (١٩٩)

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/ ١٨٦ - ١٨٧) كتاب التفسير (٣٥) باب " ثم افيضوا من حيث أفاض الناس " .

(٤) البقرة (١٨٩)

وفى الصحيحين [١] عن البراء رضى الله عنه قال : " نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار اذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ، ولكن من ظهورها ، فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه ، فكأنه عير بذلك ، فنزلت (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) .

وروى الحديث أبو داود الطيالسى [٢] عن شعبة عن أبى اسحاق عن البراء قال : كانت الأنصار اذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية ".

وعن هذه العادة الجاهلية يقول سيد قطب رحمه الله [٣] :

" وسواء كانت هذه عادتهم فى السفر بصفة عامة ، أو فى الحج بصفة خاصة وهو الأظهر فى السياق ، فقد كانوا يعتقدون ان هذا هو البر — أى الخير أو الايمان — فجاء القرآن ليبطل هذا التصور الباطل وهذا المتكلف الذى لا يستند الى أصل ولا يؤدى الى شىء ، وجاء يصحح التصور الايمانى للبر ، فالبر هو التقوى ، هو الشعور بالله ورقابته فى السر والعلن

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣/ ٦٢١) كتاب العمرة باب قول الله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) و (٨/ ١٨٣) كتاب التفسير باب (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وهذا لفظه وصحيح مسلم (٤/ ٢٣١٩) كتاب التفسير حديث رقم (٢٣)

(٢) مسند أبى داود الطيالسى ص (٩٨) رقم (٧١٧) .

(٣) فى ظلال القرآن (١/ ٢٦٤) .

وليس شكلية من الشكليات التى لا ترمز الى شئ من حقيقة الايمان ، ولا تعنى أكثر من عادة جاهلية . كذلك أمرهم بأن يأتوا البيوت من أبوابها ، وكرر الاشارة الى التقوى ، بوصفها سبيل الفلاح .. وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الايمانى " .

وبهذا نرى أن الاسلام جدد دين ابراهيم عليه السلام الذى كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، وجعل بيت الله الحرام منسك هذه الأمة فأمر بحجه وعمرته كما قال تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) (١)

وقال تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) (٢)

وأمر باخلاص التوحيد لله رب العالمين ، وترك ما كان عليه أهل الجاهلية من اثم وباطل قال تعالى : (... فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (٣)

هذا وقد تقدم معنا فى الباب الأول صور من الشرك فى العبادات كالدعاء والغلو فى قبور الأنبياء والصالحين والذبح والنذر وغيرها فلا داعى لاعادة الحديث عنها .

---

(١) آل عمران (٩٦)

(٢) البقرة (١٩٦)

(٣) الحج (٣٠ - ٣١) .

الفصل الثاني

النقلة بهم في السلوك والاخلاق

تمهيد :

ولما كانت الاخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم ، وهي ضرورة للفرد والمجتمع ، فقد جاء الاسلام داعيا وموجها الى التمسك بالاخلاق الطيبة والفضائل السامية لأنها تحقق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة .

ومحذرا ومنفرا من الرذائل والعادات الجاهلية الباطلة لأنها تسبب الضرر في العاجل والآجل .

لذلك يجدر بنا ان نستعرض بعض الجوانب في هذا السبيل بايجاز لنرى مدى ما تحقق لمعتنقي الاسلام بعد عهد الجاهلية والظلام .

وسنقسم الحديث في ذلك الى قسمين :

القسم الأول : في الترغيب في الفضائل .

القسم الثاني : في التحذير من الرذائل .

القسم الأول

فى الترغيب فى الفضائل

ومن ذلك :

١ — بر الوالدين وصلة الارحام :

وتأتى رابطة الأسرة بعد رابطة العقيدة فى رحاب الايمان بالله والخضوع لربوبيته جل شأنه فهو أرحم بالناس من بعضهم لبعض ، وكثير ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الأمر بعبادته والاحسان الى الوالدين كقوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) .(١)

وقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .(٢)

والوصية بالوالدين والطاعة لهما ، والرأفة والرحمة والاحسان اليهما مقيدة بغير معصية الله تعالى . قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) .(٣)

---

(١) النساء (٣٦)

(٢) الاسراء (٢٣ — ٢٤)

(٣) العنكبوت (٨) .

وفى الترمذى [١] عن سعد بن أبى وقاص قال أنزلت فى أربع آيات فذكر قصته وقال : فقالت أم سعد : أليس قد أمر الله بالبر والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) الآية .

ومثل الآية السابقة قوله تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الىّ المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) [٢] .

وكما أمر الله تعالى بطاعته وتقواه والحث على عبادته وحده ، أمر بصلة الرحم وعدم قطعها فقال تعالى : (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) [٣]

وقرن قطيعة الرحم بالفساد فى الأرض فقال تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) [٤] .

---

(١) الجامع الصحيح للترمذى (٥ / ٣٤١) كتاب تفسير القرآن ، سورة العنكبوت وقال : حديث حسن صحيح ، واورده السيوطى فى الدر (٥/١٦٥) فى سورة لقمان وزاد نسبته لأبى يعلى ، وابن مردويه ، وابن عساكر والقصة فى صحيح مسلم (٤ / ١٨٧٧) كتاب فضائل الصحابة رقم ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) لقمان (١٤ — ١٥)

(٣) النساء (١)

(٤) محمد (٢٢ — ٢٣)

ومدح الله الواصلين لرحمهم بقوله : (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) .(١)

فهذه الآيات الكريمة تبين ما للرحم من مكانة عظيمة عند الله تعالى والحث على صلتها والاحسان اليها والتحذير من قطعها وهضمها حقها لأن ذلك من عادات الجاهلية التى جاء الاسلام بمحوها وقد أكد القرآن الكريم هذه الرابطة بقوله : (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) .(٢)

٢ ـ العدل والوفاء :

ولما كان الظلم والجور من العادات الجاهلية فقد اهتم الاسلام بالعدل وجعله أساسا للعلاقات والتعامل بين المسلمين فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) .(٣)

وقال تعالى : (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)(٤)

وقال عز وجل : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)(٥)

ان العدل يكفل لكل فرد وكل جماعة الثقة البريئة من الميل الى الهوى ، وعدم التأثر بالحب والبغض أو التبدل لعلاقة النسب والمصاهرة ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف ، انما تمضى الامة فى ظل الاسلام والعدل

---

(١) الرعد (٢١)
(٢) الانفال (٧٥)
(٣) المائدة (٨)
(٤) الانعام (١٥٢)
(٥) النحل (٩٠)

تشق طريقها المستقيم ، تكيل بمكيال واحد للجميع وتزن بميزان واحد للكل .

وهذا العدل الذى يدعو اليه الاسلام متفق مع عالمية الاسلام الخالدة فقد جاء الاسلام لينشئ أمة مثالية ، وقيما ربانية ، وموازين ثابتة للانسانية كلها ، بعيدا عن التعصب لقبيلة أو أمة أو جنس أو لون ، انما هى آصرة واحدة ورابطة فريدة يجتمع عليها الأسود والابيض والأحمر والأصفر من أجل تحقيق العبودية لله رب العالمين .

ومن أجل العدل والمساواة كان الوفاء فى الكيل والميزان بالقسط من أهم الأحكام الشرعية والاخلاقية التى قررها القرآن الكريم قال تعالى : (وأفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا)(١)

وقال تعالى : (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)(٢)

قال ابن عباس رضى الله عنهما :(٣) " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى : (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك " .

وقال تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها)(٤)

---

(١) الاسراء (٣٥)
(٢) المطففين (١ - ٣)
(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٤٨) كتاب التجارات ، باب التوقى فى الكيل والوزن ، والطبرى فى التفسير (٣/ ٩١) والواحدى فى اسباب النزول ص (٢٥٣) وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ٣٢٣) وزاد نسبته الى الطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان .
(٤) الانعام (١٥٢)

وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه السلام لقومه : (... فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) . (١)

٣ ـ الاحســـان :

وفي مجال الاحسان جاءت توجيهات القرآن الكريم تشهد بأنه كتاب روحي يرتقي الى أعلى مراتب السمو ، ويعلو عن أية قوانين أو اخلاق بشرية .

وبين القرآن الكريم ان الاحسان يجب أن يكون الواجب الطبيعـــي للانسان وان الله تعالى كما أحسن الى العبد نفسه عليه هو أن يحسن الى الخلق كما قال تعالى : (وأحسن كما أحسن الله اليك) (٢)

وبين القرآن أن ثمرة الاحسان تعود الى المحسن نفسه قال تعالى (ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) (٣)

وقد أمر الله بالاحسان وألح عليه فقال تعالى : (ان الله يأمـــر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغـــي يعظكم لعلكم تذكرون) (٤)

وقال تعالى : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) . (٥)

ورغب في الاتيان بالحسنات بقوله : (من جاء بالحسنة فله عشـــر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) (٦)

---

(١) الاعراف (٨٥)
(٢) القصص (٧٧)
(٣) الاسراء (٧)
(٤) النحل (٩٠)
(٥) النساء (١٢٥)
(٦) الانعام (١٦٠)

ووعد المحسنين بحسن المثوبة والامان يوم القيامة قال تعالى :

(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) (١)

وقد خص القرآن الكريم بعض الناس بالاحسان لما بينهم وبين المحسن من رابطة القربى والجوار ، أولئك من الناس فقدوا المعين والنصير وأصبحوا فى حاجة الى مد يد العون والمساعدة ، وذلك كالاحسان الى الوالدين وذوى القربي من الاخوة والاعمام والاخوال وسائر الاقربين ، والاحسان الى اليتامى لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم والاحسان الى المساكين وهم المحتاجين الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم وكذلك الاحسان الى الجار من ذوى القرابة والجار الذى ليس بينه وبين المحسن قرابة كما أوصى الله بالاحسان الى الصاحب بالجنب وهو الرفيق فى المجلس أو فى السفر أو فى العمل ونحو ذلك . وأوصى بالاحسان الى ابن السبيل وهو المسافر الذى فقد ماله فى الطريق قبل أن يصل الى بلده وأهله ، وكذلك الاحسان الى الرقيق ومن الاحسان اليهم تحريرهم وعتقهم وحسن معاملتهم ، وفى ذلك كله يقول تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم) (٢)

وبين تعالى ان الجهاد فى سبيل الله بالنفس أو بالمال هو من الاحسان قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (٣)

---

(١) النمل (٨٩)
(٢) النساء (٣٦)
(٣) العنكبوت (٦٩)

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الاحسان بقوله كما فى حديث جبريل المشهور [١] (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك).

وعلى هذا فالاحسان يشمل كل عمل ، وكل تعامل يقوم به الانسان فى علاقة العبد بربه ، وعلاقاته مع جميع المخلوقين ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم [٢] (ان الله كتب الاحسان على كل شئ ...)

٤ ـ الامانة :

والأمانة مسؤولية أخلاقية عظيمة ، لم تستطع السموات والأرض والجبال حملها عند ما عرض الله ذلك عليها ، بل اشفقن من تبعاتها وتكاليفها ، وقد حمل الانسان اعباء هذه الامانة ، وعليه أن يقوم بالوفاء بها

فمن قام بها وفق منهج الله تعالى فاز بخيرى الدنيا والآخرة ، ومن خان امانته وضيع ما استأمنه الله عليه خسر دنياه وآخرته .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المسؤولية الاخلاقية العظيمة فقال تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) [٣]

وقد أتصف أنبياء الله ورسله بالأمانة قال تعالى عن نوح عليه السلام (اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين) . [٤]

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٧) كتاب الايمان حديث رقم (١)

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥٤٨) كتاب الصيد والذبائح ، باب الأمر باحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة رقم (٥٧)

(٣) الاحزاب (٧٢)

(٤) الشعراء (١٠٦ ـ ١٠٧) .

وقال تعالى عن هود عليه السلام : (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين) (١)

وقال تعالى عن صالح عليه السلام : (اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين) (٢)

وكذلك قال لوط وشعيب وموسى عليهم السلام لأقوامهم .

وقد جمع الله محاسن الأمانات واكملها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين الى يوم القيامة وقد استأمنه الله على اعظم كتاب أنزل على خير نبى ، واختصه بالشفاعة العظمى التى يتخلى عنها أولو العزم من الرسل .

وقد مدح الله المؤمنين الذين من أجل صفاتهم حفظ الأمانات ورعايتها وحفظ العهود فقال تعالى : (قد أفلح المؤمنون) الى قوله (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (٣)

ومن هنا نرى ان الأمانة من اعظم أمهات الاخلاق والفضائل التى جاء بها الاسلام وحفظها الانبياء عليهم السلام .

٥ - الصبر :

ولما كان الهلع والجزع والتسخط وعدم الصبر والتحمل من العادات الجاهلية ، فقد جاء الاسلام يدعو الى الصبر وعدم الجزع عند وقوع المصيبة وعلى المسلم ان يحتسب الاجر عند الله تعالى .

---

(١) الشعراء (١٢٤ - ١٢٥) .
(٢) " (١٤٢ - ١٤٣) .
(٣) المؤمنون (١ - ٨) .

قال عز وجل : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجموع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)(١)

وفى الصحيحين (٢) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ".

قال ابن حجر ـ رحمه الله (٣) : " قوله : " وليس منا " أى من أهل سنتنا وطريقتنا ، وليس المراد به اخراجه عن الدين ، ولكن فائدة ايراده بهذا اللفظ المبالغة فى الردع عن الوقوع فى مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته : لست منك ولست منى . . . وقوله : " لطم الخدود " خص الخد بذلك لكونه الغالب فى ذلك ، والا فضرب بقية الوجه داخل فى ذلك وقوله : " وشق الجيوب " جمع جيب وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس ، والمراد بشقه اكمال فتحه الى آخره وهو من علامات السخط ". اهـ

ودعوى الجاهلية : " هى النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل ونحوه ، والمراد بالجاهلية : ما كان قبل الاسلام " . (٤)

---

(١) البقرة (١٥٥ ـ ١٥٧)

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣/ ١٦٣) كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب ، وهذا لفظه ، وصحيح مسلم (١/ ٩٩) كتاب الايمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية

(٣) فتح البارى (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤)

(٤) انظر شرح النووى على مسلم (٢/ ١١٠)

وقد دعا القرآن الكريم الى الصبر فى موطن تحمل أذى الناس قال تعالى : (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)(١)

ودعا اليه فى موطن المثابرة على العبادة قال تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته)(٢)

وقال عز وجل : (وأمر أهلك بالصلاة وأصطبر عليها)(٣)

وقد وعد الله الصابرين بالأجر الوفير والثواب العظيم يوم القيامة قال تعالى : (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٤)

وقال تعالى : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)(٥)

وقال تعالى : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)(٦)

والصبر أنواعه كثيرة وميادينه واسعة وقد تحدث عنها القرآن الكريم فى أكثر من تسعين موضعا كما روى ذلك الامام أحمد رحمه الله (٧) ولكنها فى الجملة ترجع الى الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معاصى الله ، والصبر على اقدار الله المؤلمة .(٨)

---

(١) النحل (١٢٦)
(٢) مريم (٦٥)
(٣) طه (١٣٢)
(٤) ~~الاعراف (١٢٨)~~ | النحل/٩٦
(٥) الانسان(١٢)
(٦) الزمر (١٠)
(٧) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١٥٢/٢)
(٨) انظر المرجع السابق (١٧١/٢) وما بعدها .

٦ ـ الصدق :

الكذب سلوك جاهلي ، يؤدى الى تصدع بنيان المجتمع والى خلل سيره ، لذلك جاء الاسلام الحنيف بالتحذير منه وتوعد القرآن الكريم الكاذبين بالعذاب الأليم يوم القيامة .

قال تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) .(١)

وأمر الاسلام بالصدق فى الاقوال والاعمال ، واعتبره اساسا من اسس الفضائل التى تبنى عليها المجتمعات قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(٢) وقال عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا)(٣)

واخبر القرآن بأن الصدق من أخلاق الأنبياء قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا)(٤)

وقال تعالى عن اسماعيل عليه السلام : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٥)

كما وصف القرآن ادريس ومريم عليهما السلام وغيرهما بهذه الصفة الاخلاقية النبيلة ، وتحدث القرآن عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه جاء

---

(١) النحل (١١٦ ـ ١١٧)
(٢) التوبة (١١٩) .
(٣) الاحزاب (٧٠) .
(٤) مريم (٤١)
(٥) « (٥٤)

بالصدق وهو القرآن الكريم فقال تعالى : (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) (١)

وبين تعالى انه ليميز بين الصادقين فى دعوى الايمان ، وبين الكاذبين فيه فقال تعالى : (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٢)

وقال تعالى : (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) (٣)

الى غير ذلك من الآيات التى تبين ما للصدق والصادقين من مكانة عظيمة عند الله تعالى .

٧ ـ الاستقامة وتزكية النفس :

وعن الابتعاد عن الضلالات والجهالات أمر الاسلام بالاستقامة على توحيد الله وطاعته قال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) (٤)

وقال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٥)

وبين القرآن الكريم ان من اتقى ربه بفعل الطاعات وترك المحرمات

---

(١) الزمر (٣٣) .

(٢) العنكبوت (٣) .

(٣) محمد (٢١) .

(٤) فصلت (٣٠) .

(٥) الاحقاف (١٣) .

وأصلح نفسه فانه لا خوف عليه فى الآخرة ولا يصيبه الحزن قال تعالى :

(يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن أتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

وقال تعالى : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) (٢)

وقد امتدح الله تعالى من طهر نفسه من الاخلاق الرذيلة وتابع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (قد أفلح من تزكى) (٣)

وقال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٤)

---

(١) الاعراف (٣٥)
(٢) المائدة (٣٩)
(٣) الاعلى (١٤)
(٤) الشمس (٩/١٠)

القسم الثاني
فى التحذير من الرذائل

ومن ذلك :

١ ـ تقاليد الجاهلية فى الحرث والانعام :

وحول ما كان يزاوله المشركون فى شأن الثمار والأنعام يقول تبارك وتعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون)(١)

والمعنى أن مشركى قريش جعلوا لله مما خلق من الزرع والانعام نصيبا ينفقونه على الفقراء ، ولشركائهم نصيبا يصرفونه على سدنتها ، فقد روى(٢) (انهم كانوا يجعلون نصيب الله لقرى الضيفان ، واكرام الصبيان ، والتصدق على المساكين ، ونصيب آلهتهم لسدنتها وقرابينها وما ينفق على معابدها) .

وجعلوا لله مما خلق من الزرع والثمار والأنعام جزءا وقسما فقالوا هذا النصيب لله بزعمهم وهذا النصيب لشركائنا وأصنامنا ، وما كان للاصنام فلا يصل الى الله منه شئ وما كان من نصيب الله فهو يصل الى أصنامهم فقبح هذا العمل لا يثارهم المخلوق العاجز على الخالق القادر على كل شئ ولعملهم شيئا لم يشرعه الله تعالى لهم .

قال ابن عباس :(٣) " ان اعداء الله كانوا اذا حرثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو ثمرة من نصيب

---

(١) الانعام (١٣٦)
(٢) تفسير المراغى (٨/ ٤٢)
(٣) تفسيرالطبرى (٨/ ٤١). تفسير ابن كثير (١/ ٦٢٢) بتصرف .

الأوثان حفظوه وأحصوه ، وان سقط منه شئ فيما سمى لله ردوه الى ما جعلوه للوثن وقالوا ان الله غنى والأصنام أحوج " .

وقال تعالى : (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم)(١)

وفى هاتين الآتين الكريمتين بيان لقبائح المشركين وجرائمهم حيث خصوا بعض الأنعام والزروع لأوثانهم ومنعوها على غيرهم ، ولا يطعمونها الا من يريدون بزعمهم الباطل من غير دليل ولا برهان ، ومن الانعام لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح ، وانما يذكرون عليها اسم أصنامهم افتراء على الله وكذبا ، ومن قبائحهم انهم قالوا ما فى بطون هذه الانعام حلال لذكورنا خاصة ومحرم على أزواجنا ، بمعنى انه لا يجوز على زعمهم أن تأكل منه ازواجهم ، وان كان المولود منها ميتة اشترك فى أكله الذكور والاناث .. وسيحاسبهم الله تعالى على هذا العمل فى التحليل والتحريم بما يستحقون .

وقال تعالى : (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ، ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين اما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين .

---

(١) الانعام (١٣٨ ــ ١٣٩)

قل لا أجد في ما أوحى الي على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) (١)

فهذه الآيات الكريمة هي على شاكلة الآيات السابقة فيما كان يفعله مشركوا العرب قبل الاسلام من التحليل والتحريم ، اذ كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة ، واناثها تارة ، وأولادها تارة أخرى ، وقد بين الله تعالى كذبهم وافترائهم في نسبة ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى كما أخبرهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما هو حلال وما هو حرام في كتابه تبارك وتعالى .

وكان المشركون يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ويجعلونها للأوثان ، ويزعمون ان الله تعالى امرهم بذلك كذبا وبهتانا واتباعا لآبائهم . قال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) (٢)

والبحيرة : هي الناقة كانت اذا ولدت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا ، بحروا أذنها — أي شقوها — واعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ، ولا تمنع عن ماء ترده ، ولا من مرعى ، واذا لقيها المعي المنقطع به لم يركبها . (٣)

---

(١) الانعام (١٤٣ — ١٤٥) (٢) المائدة (١٠٣ — ١٠٤)
(٣) لسان العرب (٤/٤٣) المفردات للراغب ص (٣٧) تفسير ابن كثير (١١٧/٢) .

والسائبة : هى الناقة تسيب فى الجاهلية وذلك أنه اذا قدم الرجل من سفر بعيد أو برىء من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب قال : ناقتى — أى تسيب فلا ينتفع بظهرها ، ولا تمنع عن ماء ، ولا من كلأ ، ولا تركب .(١)

وقال ابن الاثير :(٢) " كان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر ، أو برء من مرض ، أوغير ذلك ، قال ناقتى سائبة ، فلا تمنع من ماء ، ولا من مرعى ، ولا تحلب ، ولا تركب .. وأصله من تسييب الدواب وهو ارسالها تذهب وتجىء ، حيث شاءت " .

والوصيلة : قال المفسرون :(٣) كانت فى الشاء خاصة ، كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم ، واذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم ، فاذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم .. وهى الشاء التى ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ، فان ولدت فى السابع عناقا قيل : وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم الا الرجال دون النساء وتجرى مجرى السائبة .. وقيل (٤) اذا ولدت الشاة ستة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح وأكل منه الرجال والنساء ، وان كانت أنثى تركت فى الغنم ، وان كانت أنثى وذكرا قالوا وصلت أخاها فلم يذبح وكان لحمها حراما على النساء .. "

---

(١) اللسان (١/ ٤٧٨) المفردات ص (٢٤٦) تفسير الطبرى (٧/ ٨٨) وتفسير ابن كثير (٢/ ٧/ ١١)

(٢) النهاية لابن الاثير (٢/ ٤٣١)

(٣) تفسير الطبرى (٧/ ٨٨) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٧) الجامع لاحكام القرآن (٦/ ٣٣٧) المفردات للراغب ص (٥٢٥) اللسان (١١/ ٧٢٩) ،

(٤) اللسان (١١/ ٧٢٩) .

والحامي : هو الفحل من الابل يضرب الضراب المعدود قيل : عشرة أبطن ، فاذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام أي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى .(١)

فلما جاء الاسلام أبطل هذه العادات الجاهلية كلها فلا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام " ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون " فيقولون أمرنا بهذا واكثرهم لا يعقلون ان هذا افتراء وكذب على الله تعالى لأنهم يقلدون في ذلك الآباء والأجداد ولو كانوا لا يعلمون من الدين شيئا ولا يهتدون الى الحق والصواب .

وقال تعالى : (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ، وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون).(٢)

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم :(٣) " نزلت انكارا على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل .. "

والمعنى أخبروني أيها المشركون الجاهلون عما خلق الله لكم من الرزق الحلال فحرمتم بعضه وحللتم بعضه .. وقد أمركم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لكم : " آلله أذن لكم أم على الله تفترون " .

---

(١) اللسان (٢٠٢/١٤) تفسير الطبري (٨٨/٧) المفردات ص (١٣٣)
(٢) يونس (٥٩ - ٦٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٤٥١/٢).

قال المراغى : (١) " والخلاصة انه لا مندوحة لكم من الاعـــتراف بأحد أمرين : اما دعوى الاذن من الله لكم بالتحريم والتحليل ، وذلك اعتراف بالوحى ، وأنتم تنكرونه وتزعمون انه محال ، واما الافتراء على الله وهو الذى يلزمكم اذا انكرتم الأول ".

وقد انكر الله تعالى على هؤلاء المشركين لاتخاذهم شرعا لم يأمرالله به فقال تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللــه ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم) (٢).

وقد نهى نهى الله تعالى المشركين ووبخهم فى شأن ما تصفـــه ألسنتهم من الكذب هذا حلال وهذا حرام من غير دليل ولا برهان قال تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على اللــه الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (٣)

وأخبرهم انه سيحاسبهم يوم القيامة على ما ارتكبوا من الكذب والبهتان قال تعالى : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عمـــا كنتم تفترون) (٤)

ومن هذا يتبين لنا أن الذى يجعل الحلال حلالا والحرام حراما هو الله سبحانه دون سواه فما احله الله فهو حلال الى يوم القيامة ، لا يملـــك كائن من كان أن يحرمه ، وما حرمه الله تعالى فهو حرام الى يوم القيامـــة لا يملك كائن من كان أن يحله .

---

(١) تفسير المراغى (١١/١٢٥).
(٢) الشورى (٢١)
(٣) النحل (١١٦)
(٤) النحل (٥٦)

٢ - أحكام الجاهليـــة :

وقد ابطل الله تعالى أحكام الجاهلية المبنية على الظلم والجور ، والمستمدة من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعوها من عند انفسهم وجعل الحكم كله لله وحده قال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنـــزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليـــك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (١)

روى ابن جرير الطبرى (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال كعب بن أسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعـــض اذهبوا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فأتوه فقالوا : يا محمد انك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا ان اتبعناك اتبعنـــا يهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم اليك ، فتقضى لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهم : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ... الى قوله (لقوم يوقنون) .

والآية الكريمة اقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فعل ، وامر له بالثبات وعدم الانخداع بكلام اليهود ، فان اعرضوا عن حكمك بعـــد

---

(١) المائدة (٤٩ - ٥٠)

(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ٢٧٣ - ٢٧٤) وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٧٢) والدرر المنثور للسيوطى (٢/ ٢٩٠) والجامع لاحكام القرآن (٦/ ٢١٣) وزاد المسير (٢/ ٤٩) .

تحاكمهم اليك ، فاعلم ان حكمة الله فى ذلك هى أن ارادته تمت على أن يعذبهم ببعض ذنوبهم فى الحياة الدنيا قبل الآخرة ، لأن استثقالهم لاحكام التوارة الموجودة لديهم ، وتحاكمهم اليك لعلك تتبع أهواءهم ، ومحاولتهم لفتنتك عن بعض ما أنزل الله اليك من القرآن كل هذه أمارات على فساد الاخلاق وانحلال روابط الاجتماع ، ولا بد أن تكون نتيجتها وقوع العذاب بهم ، وقد حل بيهود المدينة وما حولها بسبب غدرهم ما حل فقد أجلى النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير عنها ، وقتل بنى قريظة .

وقوله (وان كثيرا من الناس لفاسقون) اى متمردون فى الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود والشرائع التى اختارها الله لعباده .

ثم بين تعالى بأنهم اذا اعرضوا عن حكمك فهل حكم الجاهلية يطلبون وهو حكم مبنى على التحيز والهوى لجانب دون آخر وترجيح القوى على الضعيف ، لا وراء العدل ، فانه لا أحد أحسن حكما من حكم الله عند قوم يوقنون ويذعنون لشرعه .(١)

المراد بالجاهلية فى الآية :

قال ابو السعود :(٢) " والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة فى الاحكام ، فيكون تعييرا لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى .

واما أهل الجاهلية وحكمهم فهو ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين

---

(١) انظر تفسير المراغى (٦/١٣٢ — ١٣٣) بتصرف .

(٢) تفسير ابى السعود (٣/٤٧) .

القتلى حيث روى أن بنى النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خصومة قتل وقعت بينهم وبين بنى قريظة ، طلبوا اليه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال صلى الله عليه وسلم : القتلى سواء ، فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت الآية ".(١)

قال الامام القرطبى :(٢) " والمعنى : أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع .. وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء ، ولا يقيمونا على الأقوياء الاغنياء ، فضارعوا الجاهلية فى هذا الفعل " ... ثم يضيف القرطبى صورة أخرى وهى ما روى عن طاووس قال : " كانوا اذا سألوه عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض يقرأ هذه الآيه " أفحكم الجاهلية يبغون " فكان طاووس يقول : " ليس لأحد أن يفضل بعض ولده على بعض ، فان فعل لم ينفذ وفسخ " واستطرد القرطبى قائلا : " ثم انه ينشأ عن ذلك العقوق الذى هو أكبر الكبائر ، وذلك محرم ، وما يؤدى الى المحرم فهو ممنوع " وقد أورد القرطبى فى هذا الصدد بعض الاحاديث والآثار فانظره .(٣)

وفى قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) استفهام انكارى وتوبيخ لمن يعرضون عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ويبتغون غير حكم الله وحكم رسوله وهو حكم الجاهلية .

---

(١) تفسير أبى السعود (٣/٤٧) وانظر الاثر فى الدر المنثور (٢/٢٨٤)
(٢) الجامع لاحكام القرآن (٦/٢١٤)
(٣) " " " (٦/٢١٤ — ٢١٥).

ولما كان القصد هو الايمان بالله تعالى وحده والكفر بالطاغوت بانواعه ، فقد انكر الله تعالى على اليهود الذين تركوا هداية كتابهم التوراة ، بل وتركوا العقل والفطرة وآمنوا بالجبت من الأوهام والدجل والخرافات ، وآمنوا بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله من الأوثان والأصنام والاشخاص والأهواء وغيرها ، ونصروا المشركين على المؤمنين الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) .(١)

روى ابن جرير (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش : أنت حبر أهل المدينه وسيدهم ؟ قال نعم . قالوا : ألا ترى الى هذا الصنبور (٣) المنبتر من قومه ، يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل السقاية ؟ قال

---

(١) النساء (٥١ — ٥٢)

(٢) تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٣) الدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٧١) وزاد فى نسبته لأحمد ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، واسناده صحيح انظر زاد المسير لابن الجوزى (٢/ ١٠٦) الهامش .

(٣) قال ابن الاثير : " أى أبتر لا عقب له ، وأصل الصنبور : سعفه تنبت فى جذع النخلة لا فى الارض . ارادوا انه اذ قلع انقطع ذكره النهاية (٣/ ٥٥) وقد كذبوا فيما زعموا ونصر الله رسوله عليهم وقطع دابرهم .

أنتم خير منه . قال فأنزلت (ان شانئك هو الابتر)[١] وأنزلت : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الى قوله : (فلن تجد له نصيرا) .

وعن ابن عباس[٢] قال : " كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وابو رافع والربيع بن أبى الحقيق وأبو عامر ... وسائرهم من بنى النضير " .

ولا شك أن البشرية عندما تحيد عن حكم الله وشرعه ، يصبح التحاكم الى الطواغيت ، والوقوع فى حكم الجاهلية قال تعالى : (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا)[٣]

قال ابن كثير :[٤] " ذكر فى سبب نزول الآية : أنها فى رجل من الانصار ورجل من اليهود تخاصما ، فجعل اليهودى يقول بينى وبينك محمد ، وذاك يقول : بينى وبينك كعب بن الاشرف ، وقيل فى جماعة من المنافقين ممن أظهروا الاسلام ، أرادوا أن يتحاكموا الى أحكام الجاهلية ، وقيل غير ذلك .

والآية أعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا .

---

(١) الكوثر (٣)
(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٤٥)
(٣) النساء (٦٠)
(٤) تفسير ابن كثير (١/٥٥١) .

وروى البخارى فى صحيحه (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أبغض الناس الى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغ فى الاسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه " .

ويأتى الفصل فى القرآن الكريم فى من حكم بغير ما أنزل الله فيقول تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٢)

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (٣)

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) (٤)

قال أبو حيان : (٥) " ظاهر هذا العموم فيشمل هذه الأمة وغيرهم ممن كان قبلهم وان كان الظاهر انه فى سياق اليهود الا أنها عامة فى اليهود وغيرهم " .

ومن هذا يتبين لنا أن من ترك الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحكم بقوانين وضعها البشر أو باعراف الاسلاف أو تقليد الآباء والاجداد مع المخالفة للشريعة الاسلامية فقد حكم بغير ما أنزل الله وبالتالى فقد عبد غير الله لأن الحكم فى أمر العبادة والدين هو لله وحده كما قال تعالى (ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٦)

هذا وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والقوانين مثل ما استحدث الذين من قبلهم ، وتركوا الحكم بما أنزل الله عليهم . فلا حول ولا قوة الا بالله .

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٢١٠/١٢) كتاب الديات باب من طلب دم امرئ بغير حق .
(٢) المائدة (٤٤)
(٣) " (٤٥)
(٤) " (٤٧)
(٥) البحر المحيط (٤٩٢/٣)
(٦) يوسف (٤٠)

٣ ــ وأد البنـــات : (١)

ومن العادات الجاهلية التى ابطلها الاسلام قتل الأولاد ، ووأد البنات قال تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (٢))

وهذه الأعمال التى زينتها الشياطين التى توسوس لهم ترجـــع لأحد وجوه ثلاثة : (٣)

الوجه الأول : اتقاء الفقر الواقع أو المتوقع فالأول هو ما بينه الله تعالى بقوله : (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) (٤)

والثانى : ما بينه بقوله : (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا) (٥)

وقدم فى الأول رزق الوالدين على رزق الأولاد لأن الولد الصغير تابع لوالده فى الرزق والحال ، وقدم فى الثانى رزق الأولاد علـــى رزق الوالدين لتعلقه بالمستقبل وكثيرا ما يعجز فيه الآباء عن كسب الرزق ويحتاجون الى انفاق أولادهم عليهم .

الوجه الثانى : اتقاء العار وهو خاص بوأد البنات ــ أى دفنهن حيات ــ خشية أن يكن سببا للعار اذا كبرن فهم يصورون البنت لوالدهـــا

---

(١) وأد ابنته يئدها وأدا : دفنها فى القبر وهى حية ، أنشد ابن الاعرابى
مالقى المؤد من ظلم أمه كما لقيت ذهل جميعا وعامـــر
أراد من ظلم أمه اياه بالوأد . تهذيب اللغة (١٤/٢٤٣) لسان العرب (٣/٤٤٢) النهايه لابن الأثير (٥/١٤٣) مختار الصحاح ص(٧٠٥)

(٢) الانعام (١٣٧)

(٣) تفسير المنار (٨/١٢٤)

(٤) الانعام (١٥١)

(٥) الاسراء (٣١)

الجبار العاتى ترتكب الفاحشة أو تقترن بزوج دونه فى الشرف والكرامة فتلحقه الخسة ، أو تسبى فى القتال .

الوجه الثالث : التدين بنحر الأولاد للآلهة تقربا اليها بنذر أو بغير نذر ، وكان الرجل ينذر فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب بن هشام لئن ولد له عشرة نفر لينحرن احدهم لله عند الكعبة ، وضربت الاقداح فخرج القدح على عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم الا انه فداه بذبح مائة من الابل .(١)

ولولا الشرك الخبيث وتزيين الشياطين للقوم لما راجت هذه الوسوسة عندهم قال تعالى : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء عليه على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين)(٢)

لقد خسروا بقتل اولادهم وبوأد بناتهم خسرانا عظيما قال صاحب المنار :(٣) " وذلك أن خسران الأولاد يستلزم خسران كل ما يرجى من فوائدهم من العزة والنصرة والبر والصلة ، والفخر والزينة والسرور ، كما يستلزم خسران الوالد القاتل لعاطفة الأبوة ورأفتها ، وما يتبع ذلك من القسوة والغلظة والشراسة وغير ذلك من مساوىء الاخلاق التى يضيق بها العيش فى الدنيا . ويترتب عليها العقاب فى الآخرة .

ولذلك علل سبحانه هذا الجرم بسفه النفس وهو اضطرابها وحماقتها وبالجهل أى عدم العلم بما ينفع ويضر .. فهذه الأعمال أقبح ماكانت عليه العرب من غواية الشرك .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٥١ـ ١٥٥) زاد المسير (٣/ ١٣٠) بلوغ الارب (٣/ ٤٦ ـ ٤٩) .
(٢) الانعام (١٤٠)
(٣) تفسير المنار (٨/ ١٣١) .

قال قتادة [(١)] " هذا صنيع أهل الجاهلية ، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه ".

وقد فشا وأد البنات بين القبائل العربية وخاصة بنى تميم ، وقد قيل ان رجلا واحدا اسمه قيس بن عاصم ، وأد بضع عشرة من بناته فى الجاهلية [(٢)].

وروى أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة ، حيث أن بنتا لأمير لهم وقعت أسيرة فى أيدى قبيلة اغارت عليها فلما عقد الصلح ، لم تشأ البنت العودة الى بيت أبيها ، واختارت بيت آسرها ، فغضب وسن لقومه الوأد ، وقلدته بقية العرب ، ويذكر أن الوأد كان مستعملا فى قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام . وقد قل ذلك فيها الا من بنى تميم فانهم تزايد فيهم ذلك قبيل الاسلام [(٣)].

وقد شنع القرآن الكريم على الذين يئدون البنات وقبح فعلهم المبنى على الظلم والجور والجهل قال تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) [(٤)]

وقال تعالى : (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) [(٥)]

قال صاحب التسهيل : [(٦)] " الموءودة هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها أو غيرته عليها ، فتسأل يوم القيامة

---

(١) تفسير الطبرى (٨/ ٥١)
(٢) بلوغ الارب (٣/ ٤٣)
(٣) " " (٣/ ٤٢ — ٤٣) وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على (٥/ ٩٩ ٢).
(٤) النحل (٥٨ — ٥٩)
(٥) التكوير (٨ — ٩)
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل لابن الكلبى (٤/ ٣٤٦).

بأى ذنب قتلت ؟ " على وجه التوبيخ لقاتلها ".

وكان من الأمور الهامة التى بائع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها النساء عدم قتل أولادهن قال تعالى : "(يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)(١)

وثبت فى الصحيحين(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " قلت ثم أى ؟ قال : " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قلت : ثم أى ؟ قال : " أن تزانى بحليلة جارك " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ,ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون)(٣) الآية

٤ — الزنا :

ولما كان الزنا من الفواحش الشائعة فى الجاهلية فقد جاء الاسلام يحذر منه أشد الحذر لأنه لا يمكن قيام أسرة ولا قيام مجتمع ، فى وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

---

(١) الممتحنة (١٢).

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/ ١٦٣) كتاب التفسير باب قوله تعالى : (فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون) .
ومسلم (١/ ٩٠) كتاب الايمان باب الشرك أقبح الذنوب . . . حديث رقم (١٤١ — ١٤٢).

(٣) الفرقان (٦٨).

قال تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (١)

ذكر الطبرى فى تفسيرها عن السدى : (٢) " أما ما ظهر منها : فزوانى الحوانيت ، وأما ما بطن : فما خفى " .

وعن ابن عباس قال : " كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا فى السر ، ويستقبحونه فى العلانية ، فحرم الله الزنا فى السر والعلانية " .

وقال تعالى : (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) (٣)

ومعنى قوله : " ولا تقربوا الزنا " أى ابتعدوا ولا تدنوا من الزنا وهو ابلغ من قوله " لا تزنوا " لأنه يفيد النهى عن مقدمات الزنا كاللمس ، والنظرة ، والقبلة والغمز وغير ذلك مما يجر الى الزنا .

والقرآن الكريم يحذر من مجرد مقاربة الزنا ، وهى مبالغة فى التحرز لأن الزنا تدفع اليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن ، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان ومن ثم يأخذ الاسلام الطريق على اسبابه الدافعة اليه ، توقيا للوقوع فيه .. يحرم الاختلاط فى غير ضرورة ، ويحرم الخلوة ، وينهى عن التبرج بالزينة ، ويحض على الزواج لمن استطاع ، ويوصى بالصوم لمن لا يستطيع ، ويكره الحواجز التى تمنع من الزواج كالمغالاة فى المهور ، وينفى الخوف من العيلة والاملاق بسبب الأولاد ، ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم ، ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حيث تقع ، وعلى رمى المحصنات الغافلات دون برهان .. الى آخر وسائل الوقاية

---

(١) الانعام (١٥١)

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى (٨/ ٨٣) وانظر زاد المسير لابن الجوزى (٣/ ١٤٨) وروح المعانى للالوسى (٨/ ٥٤)

(٣) الاسراء (٣٢)

والملاج ، ليحفظ الجماعة الاسلامية من التردى والانحلال ". [١]

وقال تعالى : (وذروا ظاهر الاثم وباطنه . ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) [٢]

ذكر ابن كثير [٣] عن مجاهد : أى " المعصية فى السر والعلانية" وفى رواية عنه : هو ما ينوى مما هو عامل .

وعن قتادة : أى سره وعلانيته قليله وكثيرة ، وقال السدى : ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات ، وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والأخدان وقال عكرمة : ظاهرة نكاح ذوات المحارم .

ثم قال ابن كثير : [٤] " والصحيح أن الآية عامة فى ذلك كله "

وكان من شروط مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم للنساء فى العقبة عدم الزنا ....

قال تعالى : (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) [٥]

وقد رغب الاسلام فى الزواج الشرعى بصور متعددة فذكره تارة بأنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) [٦]

---

(١) انظرفى ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٣٢٢) بتصرف يسير .
(٢) الانعام (١٢٠)
(٣) تفسير ابن كثير (٢/١٨٢) وانظر تفسير الطبرى (٨/١٣ — ١٤) .
(٤) تفسير ابن كثير (٢/١٨٢)
(٥) الممتحنة (١٢)
(٦) الرعد (٣٨) .

وذكره تارة فى معرض الامتنان فقال تعالى : (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) (١)

ويلفت القرآن الكريم نظر المرء الى أن الله تعالى سيجعل الزواج سبيلا الى الغنى قال تعالى : (وأنكحوا الأيامى (٢) منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (٣)

ومن سمو الاسلام أنه شرع العقوبة الزاجرة لرذيلة الزنا مائة جلدة للبكر كما قال تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (٤)

أو الرجم للمحصن كما ورد فى السنة الصحيحة من ذلك ما جاء فى الصحيحين (٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى المسجد ــ فناداه فقال يارسول الله انى زنيت ، فأعرض عنه فتنحى تلقاء وجهه ، فقال : يارسول الله انى زنيت، فأعرض عنه ، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه اربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أبك جنون ؟ " قال : لا ، قال : " فهل أحصنت ؟ " قال : نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " اذهبوا به فارجموه " .

---

(١) النحل (٧٢)
(٢) الأيامى جمع أيم وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء ، لسان العرب (١٢/ ٣٩) المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ص (٣٢)
(٣) النــور (٣٢)
(٤) " (٢)
(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (٩/ ٣٨٩) كتاب النكاح باب الطلاق فى الاغلاق والكره . . . ، وصحيح مسلم (٣/ ١٣١٨) كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث رقم ١٦

٥ ـ التبرج :

ومن الأمور التي حذر الاسلام منها تبرج النساء ، باظهار الزينة والمحاسن للرجال الاجانب ، لأن ذلك من أعمال الجاهلية التي جاء الاسلام بابطالها .

قال تعالى : (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعمن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١)

والتبرج فى اللغة : يقال ثوب مبرج صورت عليه بروج فاعتبر حسنه فقيل تبرجت المرأة أى تشبهت به فى اظهار المحاسن ، وقيل ظهرت من برجها أى قصرها . (٢)

والتبرج : اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال . (٣)

قال مجاهد : (٤) " كانت المرأة تخرج تمشى بين الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية " .

وقال قتادة : (٥) " وكانت لها مشية تكسر وتغنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك " .

وقال مقاتل ابن حيان : (٦) " والتبرج انها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيدارى قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدوا ذلك كله " .

---

(١) الاحزاب (٣٣)
(٢) المفردات للراغب ص (٤١)
(٣) اللسان (٢/٢١٢) وانظر مختار الصحاح ص (٤٦)
(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١٤/١٨٠) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٣)
(٥) الطبرى (٢٢/٤) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٣)
(٦) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٣)

وفسر الامام القرطبي (١) حقيقة التبرج بأنه : (اظهار ما ستره أحسن ، وهو مأخوذ من السعة ، يقال في أسنانه برج اذا كانت متفرقة " وهو أيضا التكشف والظهور للعيون بغير حائل يستر .

وقيل : ان المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط ، وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنها " اهـ

واختلف الناس في الجاهلية الأولى : (٢) فقيل : هي الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام ، وقيل ما بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة ، وقيل : ما بين نوح وادريس ، وقيل ما بين نوح وابراهيم ، وقيل ، ما بين موسى وعيسى ، وقيل : مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ..

وقال العباس المبرد : والجاهلية الأولى كما تقول : الجاهلية الجهلاء ، قال وكان الناس في الجاهلية الجهلاء يظهرون ما يقبح اظهاره

ويشاركه في الرأى ابن عطيه اذ قال " والذى يظهر عندى أنه أشار للجاهلية التي لحقتها ، فأمر بالنقلة عن سيرتهن فيها ، وهي ماكانت قبل الشرع من سيرة الكفره ، وكان النساء دون حجاب وجعلها أولى بالنسبة الى ماكن عليه ، وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى ، وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام ، فقالوا : جاهلى في الشعراء ، وقال ابن عباس في البخارى سمعت أبى في الجاهلية يقول غير هذا .

ويؤيد القرطبي هذا الرأى بتحفظ حيث قال : " قلت وهذا قول حسن" ويعترض بأن العرب كانت أهل قشف وضنك في الغالب ، وأن التنعم واظهار

---

(١) الجامع لاحكام القرآن (١٤/ ١٧٩ — ١٨٠)
(٢) الجامع لاحكام القرآن (١٤/ ١٧٩ — ١٨٠)

الزينة انما جرى في الأزمان السابقة وهى المراد بالجاهلية الأولى .

وأن المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تدلل وتكسر واظهار المحاسن للرجال الى غير ذلك مما لا يجوز شرعا ، وذلك يشمل الأقوال كلها " . اهـ

وعن زمن الجاهلية يقول سيد قطب رحمه الله : (١) " والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان ، انما هى حالة اجتماعية معينة ، ذات تصورات معينة للحياة ، ويمكن أن توجد هذه الحالة ، وأن يوجد هذا التصور في أى زمان وفى أى مكان ، فيكون دليلا على الجاهلية حيث كان " .

ولا شك أن الدين الاسلامى انكر التبرج الذى كان سائدا بين نساء العرب ومنعه بالأوامر والتوجيهات التى جاء بها القرآن الكريم فاسمع الى خطاب الله تعالى الى زوجات وبنات النبى صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين بادناء الجلابيب كى لا يتعرض لهن فاسق بأذى قال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) . (٢)

ومن هنا يظهر لنا أن القرآن الكريم قد حد من ظاهرة التبرج والسفور ليطهر المجتمع الاسلامى من آثار الجاهلية ويبعده عن عوامل الفتنة ودواعى الغواية .

وفى مقابل نهى الاسلام للنساء عن عادات الجاهلية الشريرة أمرهن بالخير والبر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله فى جميع الأوامر والنواهى لينلن الخير والفلاح .

---

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٥٨٤)

(٢) الاحزاب (٥٩)

٦ ـ الاكراه على البغاء :

ومن العادات الجاهلية التى قضى عليها الاسلام ما كان يفعله بعض الجاهليون من اكراه امائهم على الزنا من أجل أخذ عرض من اعراض الدنيا قال تعالى : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم)[1]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :[2] " كان أهل الجاهلية اذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزنى وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت ، فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك ، وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف فى شأن عبد الله ابن أبى بن سلول ، فانه كان له اماء فكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن ، ورغبة فى أولادهن ، ورياسة منه فيما يزعم " .

وذكر المفسرون[3] ان عبد بن أبى كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ، وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ماكانوا عليه من القبائح مالا يخفى فان من له أدنى مروءة لا يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن أمرهن به أو اكرههن عليه لاسيما عند ارادتهن التعفف

وقوله : " لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى من أجل أن تحصلوا على حطام الدنيا الزائل بطريق الرذيلة والفاحشة ، وقد نهى

---

(١) النور (٣٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٢)

(٣) انظر الفخر الرازى (٢٣/ ٢٢٠) تفسير أبى السعود (٦/ ١٧٣) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن" (١)

وقوله : " ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم " أى ومن يجبرهن على ارتكاب فاحشة الزنا فان الله غفور لهن رحيم بهن ، وسينتقم الله ممن اكرههن على الزنا شر انتقام .

٧ ـ اكلهم للميتة والدم وما أهل به لغير الله والمنخنقة .. الخ

وأكل الجاهليون الخبائث كالميتة والدم ، وماذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله تعالى كقولهم باسم اللات والعزى ونحو ذلك .

ولهذا جاء الاسلام الحنيف بتحريم هذه الخبائث للاضرار الناتجة عنها دينيا ودنيويا . قال تعالى فى سورة البقرة : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) (٢)

ومثل ذلك فى سورة النحل : (٣) و" الميتة " هى مازال روحه من الحيوان بغير تذكية (٤) وحرمت لأن الحيوان اذا مات حتف أنفه احتبس الدم فى عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة . (٥)

ويستثنى من الميتة السمك فانه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها لما رواه أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر؟ فقال" هو الطهور ماؤه الحل ميتته ". (٦)

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤ / ٤٢٦) كتاب البيوع باب ثمن الكلب ، ومسلم (٣ / ١١٩٨) كتاب المساقاة باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغى وتقدم ص

(٢) البقرة (١٧٣)

(٣) النحل (١١٥)

(٤) المفردات للراغب ص (٢٧٧)

(٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (١١ / ١٣٢)

(٦) سنن أبى داود (١ / ٦٤) كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر

===

وكذلك الجراد لما فى الصحيحين [(١)] من حديث ابى أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد .

وحرم " الدم " والمراد به الدم المسفوح . قال ابن كثير : [(٢)]

" وذلك أن أحدهم كان اذا جاع يأخذ شيئا محددا من عظم ونحوه ، فيفصد به بعيره أو حيوانا من أى صنف كان ، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة " .

وحرم " لحم الخنزير " انسيه ووحشية وجميع اجزائيه حتى الشحم [(٣)] وذلك للأضرار الناتجة عن أكله صحيا واخلاقيا .

وقد أثبت العلم الحديث ان فى لحمه ودمه وامعائه دودة شديدة الخطورة " الدودة الشريطية وبويضاتها المكتسبه "

يقول سيد قطب : [(٤)] " ولما كان هذا الاكتشاف قد احتاج الى قرون طويلة ليكشف آفة واحدة ، فمن ذا الذى يجزم بأن ليس هناك آفات أخرى فى لحم الخنزير لم يكشف بعد عنها ؟ "

فسبحان الحكيم العالم بما يصلح لخلقه وما يضرهم .

وأما " ما أهل به لغير الله " فهو ما ذكر عليه غير اسم الله أو ذبح لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى [(٥)] ونحو ذلك .

=== حديث ٨٣ والترمذى (١/١٠١) كتاب الطهارة باب ماجاء فى البحر أنه طهور ، والنسائى (١/٥٠) كتاب الطهارة باب ماء البحر ، ابن ماجه (١/١٣٦) كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر ، موطأ الامام مالك (١/٢٢) كتاب الطهارة باب الطهور للوضوء حديث رقم ١٢ وأحمد (٢/٢٣٧) .

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٩/٦٢٠) كتاب الذبائح والصيد باب أكل الجراد ومسلم (٣/١٥٤٦) كتاب الصيد والذبائح باب اباحة الجراد حديث رقم ٥٢

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٨) (٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) فى ظلال القرآن (١/١٦٢) بتصرف (٥) تفسير الطبرى (٦/٦٨) وتفسير ابن كثير (٢/٨)

أما من ألجأته ضرورة الى أكل شىء من المحرمات بشرط ألا يكون متجاوزا مقدار الحاجة أو خارجا فى معصية الله فان له أن يتناول هذه المحرمات بقدر حاجته ، فالله غفور رحيم بعباده ومن رحمته أن أباح لهم هذه المحرمات عند الضرورة .

وقال تعالى فى سورة المائدة : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحه وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقيموا [تستقسموا] بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ..) (١)

قال صاحب الكشاف : (٢) " كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات : البهيمة التى تموت حتف أنفها ، والفصيد وهو الدم فى الامعاء ، يشوونه ويقولون لم يحرم من فزد - أى فصد له ... "

وقد سبق بيان معنى الميتة ، والدم ، وما أهل لغير الله به فى الكلام عن آية البقرة السابقة .

وأما " المنخنقة " فهى التى تموت بالخنق . (٣)

" والموقوذة " هى التى تضرب بشىء ثقيل غير محدد كالعصا والحجر . قال ابن عباس وغيره : " هى التى تضرب بالخشبة حتى يقذها فتموت " .

وقال قتادة : " كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصا حتى اذا ماتت أكلوها " . (٤)

---

(١) المائدة (٣)
(٢) الكشاف للزمخشرى (١/٥٩٢)
(٣) تفسير الطبرى (٦٨/٢) تفسير ابن كثير (٩/٢)
(٤) تفسير الطبرى (٦٩/٦) تفسير ابن كثير (٩/٢)

وفى الصحيح [١] أن عدى ابن حاتم قال : قلت : يارسول الله انى أرمى بالمعراض الصيد فأصيب ، قال : " اذا رميت بالمعراض فخرق فكله " ، وان أصاب بعرضه فانما هو وقيذ فلا تأكله " .

وأما " المتردية " فهى التى تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك قال ابن عباس : " المتردية التى تسقط من جبل ، وقال قتادة : " هى التى تتردى فى بئر ، وقال السدى : " هى التى تقع من جبل أو تتردى فى بئر " . [٢]

وأما " النطيحة " فهى التى ماتت بسبب نطح غيرها لها [٣] ، فتموت قبل أن تذكى .

والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة هى فى الحقيقة من جنس الميتة لأن كل واحدة منها ماتت ولم يسل دمها فكانت كالميتة حتف أنفها . [٤]

وأما " ما أكل السبع " فهى ماعدا عليها أسد أو فهد أو نمر أو ذئب أو كلب فأكل بعضها فماتت بذلك .

وكان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة أو البعير أو البقرة أو نحو ذلك . [٥]

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤/ ٢٩٢) كتاب البيوع باب تفسير الشبهات وأخرجه أيضا فى (٩/ ٦٠٤) كتاب الذبائح والصيد باب ما أصاب المعراض بعرضه .

(٢) انظر هذه الاقوال فى تفسير الطبرى (٦/ ٧٠) تفسير ابن كثير (٢/ ١١)

(٣) تفسير الطبرى (٦/ ٧٠) تفسير ابن كثير (٢/ ١١) المفردات للراغب ص (٤٩٦) .

(٤) انظر الفخر الرازى (١١/ ١٣٣)

(٥) تفسير الطبرى (٦/ ٧٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١١)

وأما قوله : " وما ذبح على النصب " قال الزمخشرى : (١) " كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها ، يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب ، قال الاعشى :

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه   لعاقبة والله ربك فاعبدا

قال ابن كثير : (٢) " فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم أكل هذه الذبائح ، حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله ، لما فى الذبح عند النصب من الشرك الذى حرمه الله ورسوله " اهـ

وقوله : " وأن تستقسموا بالأزلام " قال الأزهرى : (٣) " معنى الاستقسام : هو طلب معرفة ما قسم له من الخير والشر مما لم يقسم له بواسطة ضرب القداح " وقال عن الأزلام : (٤) " والازلام كانت لقريش فى الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهى وافعل ولا تفعل ، وقد زلمت وسويت ووضعت فى الكعبة ، يقوم بها سدنة البيت ، فاذا أراد رجل سفرا أو نكاحا أتى السادن فقال : أخرج لى زلما ، فيخرجه وينظر اليه فاذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ، وان خرج قدح النهى قعد عما أراده ، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما فى قرابه ، فاذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما قال الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعرى :

لم يزجر الطير ان مرت به سنحا   ولا يفيض على قسم بالازلام

---

(١) الكشاف (٥٩٣/١)
(٢) تفسير ابن كثير (١٢/٢)
(٣) تهذيب اللغة (٢١٨/٣) اللسان (٢٧٠/١٢)
(٤) تهذيب اللغة (٤٢٠/٨) اللسان (٢٧٠/١٢)

وفى صحيح البخارى [١] عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور فى البيت لم يدخل حتى أمر بهـا فمحيت ، ورأى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بأيديهما الازلام فقال : قاتلهم الله ، والله ان استقسما بالازلام قط " .

وفى صحيح البخارى [٢] أيضا أن سراقة بن مالك بن جعشم لما خرج فى طلب النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما ذاهبان الى المدينة مهاجرين قال : فاستقسمت بالازلام هل أضرهم أم لا فخرج الذى اكره لا تضرهم قال فعصيت الازلام ، واتبعتهم ، ثم انه استقسم بها ثانية ، وثالثة ، كل ذلك يخرج الذى يكره لا تضرهم ، وكان كذلك ، وكان سراقة لم يسلم اذ ذاك ثم أسلم بعد ذلك .

وقال مجاهد عن الازلام : هى سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقامرون .

ويعلق ابن كثير على قول مجاهد فيقول : [٣] " وهذا الذى ذكر عن مجاهد فى الازلام أنها موضوعة للقمار فيه نظر ، اللهم الا أن يقال انهم كانوا يستعملونها فى الاستخارة تارة وفى القمار أخرى ، والله أعلم فان الله سبحانه قد قرن بينها وبين القمار وهو الميسر فقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) [٤]

---

(١) صحيح البخارى بشرح الفتح (٦/ ٣٨٧) كتاب الانبياء باب قول الله تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) .

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٧/ ٢٣٨) كتاب مناقب الانصار بـاب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣) .

(٤) المائدة (٩٠)

٨ ـ الخمـــر :

الخمر فى اللغة : أصل الخمر : ستر الشىء ، ومنه خمـــار المرأة ، قال تعالى : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (١)

وخمرت الاناء غطيته ، وأخمرت العجين جعلت فيه الخمير ، والخميرة سميت لكونها مخمورة من قبل ، ومنه قولهم : دخل فى خمـــار الناس أى فى جماعتهم الستارة لهم ، والخمر سميت لكونها خامرة لمقـــر العقل . (٢)

جاء فى اللسان : (٣) وسميت الخمر خمرا لأنها تركت فاختمرت ، واختمارها تغير ريحها ويقال سميت بذلك لمخامرتها العقل ".

ويطلق الخمر على الشجر الملتف . (٤)

ومن هذا يتبين لنا أن كلمة " الخمر " تدور حول الستر ، والتغطية والمخالطة ، والترك ، وتغير الرائحة ، وهى تستر عقل شاربها وتحجبه ومن ثم يصير شاربها مستور العقل ويتصرف بلا وعى ولا شعور .

أما الخمر فى الشرع فهى : كل ما من شأنه أن يسكر يعتبر خمرا ولا عبرة بالمادة التى أخذت منه ، فما كان مسكرا من أى نوع من الأنواع فهـــو خمر شرعا ، ويأخذ حكمه ، ويستوى فى ذلك ماكان من العنب أو التمـــر أو العسل أو الحنطة أو الشعير وما كان على شكل حبوب أو سوائل أو فواكه وغيرها

---

(١) النور (٣١)
(٢) المفردات للاصفهانى ص (١٥٩)
(٣) اللسان (٤/٢٥٥)
(٤) النهاية لابن الاثير (٢/٧٧)

وقد كان حب الخمر من عادات العرب التى تغلغلت فى نفوسهم وبواديها حتى خالط قلوبهم حبها .

فلما جاء الاسلام الحنيف ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم سبل السلام وطرق الخير بغرس المبادىء السامية فى الانسان حيث جعله لا يعبد الا الله ولا يؤمن الا به .. جاء يحرم الخمر أم الخبائث ــ على الناس وذلك لما تجلبه من اضرار سيئة فى النفس والبدن والخلقه على الفرد والجماعة .

ونظرا لتغلغل حب الخمر فى نفوس الجاهليين فقد كان تحريمها على خطوات :

الخطوة الأولى : لما كثر سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر ، لما كانوا يرونه من شرورهما ومفاسدهما أنزل الله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) (١)

والميسر : القمار ، يقال : يسر الرجل ييسر ، فهو يسر وياسر والجمع أيسار . (٢)

قال مجاهد : (٣) " كل القمار من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز " .

ومعنى الآية الكريمة يسألونك يا محمد عن حكم الخمر وحكم القمار ، فقل لهما ان فى تعاطيهما ضررا عظيما واثما كبيرا ومنافع مادية ضئيلة ، لأن ضياع العقل وذهاب المال وتعريض البدن للمرض فى الخمر وما يسببه القمار من خراب البيوت ودمار الأسر وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين لا يساوى ما فيهما من نفع قليل تافه .

---

(١) البقرة (٢١٩)

(٢) النهاية لابن الأثير (٥/٢٩٦)

(٣) تفسير الطبرى (٢/٣٥٧) وانظر النهاية لابن الاثير (٥/٢٩٦) .

ومن هذه الآية يتبين لنا أن الاثم أرجح من المنافع فى الخمروالميسر وفى هذا ترجيح لجانب التحريم ، ولكنه ليس تحريما قاطعا .

ثم تأتى الخطوة الثانية فى تحريم الخمر اثناء الصلاة قال عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) (١)

وقد ذكر فى سبب نزولها : أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا فلما جاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ : (قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون . و أنتم عابدون ما أعبد) من سورة الكافرون ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) (٢)

فبعد أن صرح القرآن الكريم بأن فى الخمر والميسر اثما كبيرا ومنفعة للناس ، ظهرت الخمر فى المجتمع الاسلامى بوجه غير مرغوب فيه لذلك امتنع عن شربها البعض وظل البعض ينظر اليها ولكن بعين قلقة ونفس غير راضية حتى وقت حادثة الصلاة وقراءة القرآن بهذا الشكل الذى حصل فيه التخليط.

فما كان من ذلك الا أن نزلت الآيات وفيها التحريم الصريح فى أوقات الصلاة ، وتلك حكمة البهية حيث ان أوقات الصلاة تشمل أكثر الأوقات

وبعد أن تهيأ المسلمون لقبول حكم الله فى الخمر جاءت الخطوة الأخيرة والقاضية بتحريم الخمر والميسر تحريما صريحا فى كل وقت وحين .

---

(١) النساء (٤٣)

(٢) انظر تفسير الطبرى (٥/ ٩٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٥٣٠) .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (١)

روى الامام أحمد (٢) وأبو داود (٣) والترمذى (٤) عن عمر أنه قال — لما نزل تحريم الخمر — قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التى فى البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر ...) الآية ، فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم — اذا أقام الصلاة نادى أن : لا يقربن الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرئت عليه فقال : " اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى المائدة ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ " فهل أنتم منتهون " قال عمر : انتهينا انتهينا " .

قال القفال (٥) " والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر ، وكان انتفاعهم بها كثيرا ، فعلم الله أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم ، فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدرج وهذا الرفق ".

---

(١) المائدة (٩٠ — ٩١)
(٢) المسند (١/٥٣)
(٣) سنن أبى داود (٤/٧٨) كتاب الاشربة ، باب تحريم الخمر حديث ٣٦٦٩
(٤) سنن الترمذى (٥/٢٥٣) كتاب التفسير سورة المائدة .
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى (٦/٤٠) .

٩ ــ الربـــا :

الربا لغة : الزيادة يقال ربا المال يربوا ربوا اذا زاد وارتفع (١)

وهو فى الشرع : الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع . (٢)

وقد كان هذا الوباء منتشرا فى الجاهلية انتشارا واسعا . ولا ريب أن لليهود الذين سكنوا الجزيرة العربية اليد الطولى فى انتشار هذا الداء بينهم فاليهود هم الذين (قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) (٣)

والربا : قسمان : (٤)

١ ــ ربا النسيئة ٢ ــ وربا الفضل .

وربا النسيئة (التأجيل) هو الزيادة المشروطة التى يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل .

وربا الفضل وهو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة .

وبالنظر الى الآيات الواردة فى الربا نجد أن القرآن الكريم قد تعرض لهذا الداء الوبيل فى أربعة مواضع :

ففى المرحلة الأولى يقول تعالى : (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) (٥)

والآية الكريمة كما تبين أن الربا ليس له ثواب عند الله فهى كذلك لم تذكر أن الله قد أجل لآكله عقابا ، كما تبين الآية أن ما أخذه المرابى

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ١٩١) والمفردات للاصفهانى ص (١٨٧)
(٢) النهاية لابن الأثير (٢/ ١٩)
(٣) آل عمران (٧٥)
(٤) انظر فقه السنة لسيد سابق (٣/ ١٣٥)
(٥) الروم (٣٩)

من مال المحتـــاج عن طريق الاستغلال ليزيد به فى ماله بلا مقابل فـــان ماله لن يزيد عند الله تعالى .

أما المرحلة الثانية : فقد كانت درسا وعبرة قصها علينا القـرآن الكريم عن سيرة اليهود الذين حرم عليهم الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتـــه قال تعالى : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهـــم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال النـاس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) .(١)

وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها الا اذا كان من ورائها ضرب من تحريم الربا على المسلمين ، ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح والتعريـض لا بالنص الصريح ومهما يكن من أمر فان هذا الاسلوب كان من شأنه أن يـدع المسلمين فى موقف ترقب وانتظار لنهى يوجه اليهم قصدا فى هذا الأمر .

ثم تأتى المرحلة الثالثة تحمل النهى الصريح عن الربا ، ولكنه لـم يكن الا نهيا جزئيا عن الربا الفاحش الذى يتزايد حتى يصير أضعافا مضاعفة(٢) قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) .(٣)

قال ابن جرير(٤) : " ان الرجل كان يكون له على الرجل مال الـى أجل ، فاذا حل الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذى عليه المال : أخر عنى دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك ، فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل فى اسلامهم عنه ".

---

(١) النساء (١٦١)

(٢) انظر تفسير المراغى (٣/ ٦٠)

(٣) آل عمران (١٣٠)

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى (٤/ ٩٠) .

وفى النداء للمؤمنين بهذا الوصف دليل على أن الايمان يتنافى مبدئيا مع أكل الربا الذى لا يكون الا مع الجشع والظلم واستغلال المحتاجين والايمان انما يكون مجتمعا نظيفا سليما يبنى معاملاته كلها على التراحم والتعاون على الخير .

وأخيرا تأتى المرحلة الرابعة والتى ختم بها التشريع فى الربا فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم ~~صادقين~~ مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) (١)

والنص الكريم يعلق ايمان الذين آمنوا على ترك ما بقى من الربا ، فانه لا ايمان بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به ، والنص القرآنى لا يدعهم فى شبهة من الأمر ، ولا يدع انسانا يتستر وراء كلمة الايمان ، بينما هو لا يطيع ولا يرتضى ما شرع الله ، ولا ينفذه فى حياته ، ولا يحكمه فى معاملاته .

ولقد ترك لهم ما سلف من الربا لم يقرر استرداده منهم ، ولا مصادرة أموالهم كلها أو جزء منها بسبب أن الربا كان داخلا فيها .. اذ لا تحريم بغير نص ولا حكم بغير تشريع .. وفى الوقت ذاته علق اعتبارهم مؤمنين على قبولهم لهذا التشريع وانفاذه فى حياتهم منذ نزوله وعلمهم به .. واستجاش قلوبهم — مع هذا — شعور التقوى لله ، وهو الشعور الذى ينوط بـه الاسلام تنفيذ شرائعه ، ويجعله الضمان الكامن فى ذات الأنفس ، فوق الضمانات المكفولة بالتشريع ذاته .

---

(١) البقرة (٢٧٨ — ٢٧٩)

والى جوار صفحة الترغيب هذه صفحة الترهيب .. الترهيب الذى يزلزل القلوب : (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)

ياللهول حرب من الله ورسوله .. حرب تواجهها النفس البشرية حرب رهيبة معروفة المصير ، مقررة العاقبة .. فأين الانسان الضعيف الفانى من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة ؟ "(١)

ولقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات الى عتاب بن أسيد نائب مكة من أجل محاربة بنى المغيرة اذا لم يقلعوا عن التعامل بالربا فقالوا : " نتوب الى الله ونذر ما بقى من الربا " فتركوه كلهم .(٢)

وقد أمر ـ صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع بوضع كل ربا فى الجاهلية وأوله ربا عمه العباس عن كاهل المدينين الذين ظلوا يحملونه الى ما بعد الاسلام .

فقال فى خطبته :(٣) " وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب ، فانه موضوع كله " .

هذا وقد أفاض القرآن الكريم فى بيان العبادات ، وأصول الاخلاق ، وحقوق الاجتماع ، وشرحها شرحا وافيا حيث حبب الى الناس الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وجفاء الطبع ، وحقد القلب

---

(١) انظر فى ظلال القرآن (١/٤٨٥) باختصار وتصرف يسير .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبرى (٣/١٠٧) وتفسير ابن كثير (١/٣٤٣) .

(٣) صحيح مسلم (٢/٨٨٩) كتاب الحج باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم وسنن أبى داود (٢/٤٦١) كتاب المناسك باب صفة حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، وسنن ابن ماجه (٢/١٠٢٥) كتاب المناسك باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشونة اللفظ ، وأمر بالقصاص لضرورة حماية الأنفس وصيانة المجتمعات من الفوضى وانتهاك الحرمات ، وأمر بالجهاد والطاعة ، والوضوء والغسل من الجنابة ، وأمر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحث على الزواج الشرعى لبقاء النسل وقضاء الوطر فى لقاء طاهر شريف بين الذكر والأنثى من بنى البشر ، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ونهى عن التعاون على الاثم والعدوان ، وأمر بالشكر والورع والحياء ، وكف الأذى ، ونصرة المظلوم ، ونهى عن الظلم والاحتقار ، والغيبة والنميمة ، والتجسس ، والجهر بالسوء من القول ، والتباغض والتحاسد والكذب وشهادة الزور ، والهمز واللمز ، والغش والخداع ، ودعوى الجاهلية واعتبارها خبيثة منتنة .

وأمر بالاستئذان ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وحفظ اللسان والحب فى الله والبغض فى الله ، وأمر بافشاء السلام وحسن الخلق ، والاحسان الى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، وابن السبيل .. الى مالا يحصى كثره من المبادىء والاخلاق السامية .

ونستطيع القول بأن النقلة التى احدثها الاسلام تشمل الحياة كلها من أدب الأكل والشرب ، وقضاء الحاجة الى بناء الدولة وسياسة الحكومة وسياسة المال ، وشئون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية فى السلم والحرب ،

وتفصيل الامر فى ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة .

الفصل الثالث
موقف الاسلام من المشركين

ويشتمل على ما يلى :

١ ـ تمهيد فى وصفهم بالمشركين .

٢ ـ لا يحل لهم دخول المسجد الحرام واعتبارهم نجس .

٣ ـ تحريم نسائهم وذبائحهم .

٤ ـ عدم الاستغفار لهم .

٥ ـ البراءة من عهودهم .

٦ ـ الامر بقتالهم .

٧ ـ عدم أخذ الجزية منهم .

الفصل الثالث
موقف الاسلام من المشركين

١ ـ تمهيد :

أطلق القرآن الكريم لفظ المشركين على عباد الأوثان والأصنام ، وقد أصبح هذا اللفظ علما عليهم يميزهم عن بقية الأديان الأخرى قال تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) (١)

وقال تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) (٢) وقال تعالى : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا) (٣)

وقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٤)

ففى هذه الآيات نرى أن القرآن قد ميز أهل الكتاب ـ على ما هم فيه من ضلال وباطل ـ عن عبدة الأوثان والأصنام .

قال صاحب المغنى (٥) " وسائر آى القرآن الكريم يفصل بينهما فدل على أن لفظ المشركين باطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب " .

وقال القرطبى فى هذا الخصوص : (٦) " ففرق بينهم فى اللفظ ، وظاهر العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه " .

---
(١) الحج (١٧)
(٢) البقرة (١٠٥)
(٣) آل عمران (١٨٦)
(٤) المائدة (٨٢)
(٥) المغنى لابن قدامة (٦/٥٩٠)
(٦) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٣/٦٩)

ووصف القرآن الكريم لعبدة الأوثان والاصنام على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشركين فيه تسفيه لعقلياتهم ، وان عباداتهم تلك باطله وفاسدة لأنها مبنية على الجهل والضلال ، وفيه الدعوة لهم الى تحكيم عقولهم ، والنظر الى معبوداتهم بعين الازدراء والاحتقار ، وأن يخلصوا العبادة لرب الارباب والذى بيده الخير والعطاء والمنع والحرمان .

ولتلوث المشركين بهذه العبادة القذرة أصبحوا نجسا فلا يحل لهم دخول المسجد الحرام ، ولا تجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الاستغفار لهم .. وكان لابد من قتالهم ونقض عهودهم وعدم قبول الجزية منهم ، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى قال تعالى : (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (١)

٢ — لا يحل لهم دخول المسجد الحرام واعتبارهم نجس :

وقد أصبح المسجد الحرام خاصا بالمسلمين لأنه مكان لعبادة الله وحده ، فلا يجوز عبادة أحد مع الله فيه ، ولذلك أمر الله المؤمنين بابعاد المشركين عن المسجد الحرام ، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية : (ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) (٢)

---

(١) التوبة (٣٣)
(٢) التوبة (٢٨)

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صحبة أبى بكر رضى الله عنهما سنة تسع من الهجرة ، وأمره أن ينادى فى المشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " .(١)

قال سيد قطب ـ رحمه الله :(٢) " انما المشركون نجس .. فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس ، يستقذره الحس ، ويتطهر منه المتطهرون وتلك غاية فى تحريم وجودهم بالمسجد الحرام ، حتى لينصب النهى على مجرد القرب منه ، ويعلل بأنهم نجس وهو الطهور ، ولكن الموسم الاقتصادى الذى ينتظره أهل مكة والتجارة التى يعيش عليها معظم الظاهرين فى الجزيرة ورحلة الشتاء والصيف التى تكاد تقوم عليها الحياة ، انها كلها ستتعرض للضياع بمنع المشركين من الحج ، وباعلان الجهاد على المشركين كافة ، نعم ولكنها العقيدة ، والله يريد أن تخلص القلوب كلها للعقيدة ، وبعد ذلك فالله هو المتكفل بأمر الرزق من وراء الأسباب المعهودة المألوفة ، وحين يشاء الله يستبدل أسبابا بأسباب ، وحين يشاء يغلق بابا ويفتح الأبواب " اهـ

---

(١) انظر صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/٣١٧) كتاب التفسير ، باب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ، وباب وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ، وصحيح مسلم (٢/٩٨٢) ، كتاب الحج ، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . حديث ٤٣٥

(٢) فى ظلال القرآن (٤/١٦٧) .

نوعية نجاسة المشرك :

اختلف العلماء فى نجاسة المشرك هل هى حسية أم معنوية ؟

فذهب أهل الظاهر الى نجاسة ابدانهم [(١)] وروى صاحب الكشاف [(٢)] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وقال الحسن البصرى : [(٣)] " من صافح مشركا فليتوضأ " وهو مروى عن عمر بن عبد العزيز . [(٤)]

واستدلوا بظاهر الآية الكريمة وما جاء فى الحديث الصحيح : [(٥)] " ان المؤمن لا ينجس " .

وقد رجح هذا الرأى الفخر الرازى [(٦)] والألوسى . [(٧)]

وذهب الجمهور الى أن ذلك على التشبيه أى هم بمنزلة النجس أو كالنجس لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها " وأجابوا عن الحديث بأن المراد أن المؤمن طاهر الأعضاء لاعتياده مجانبة النجاسة بخلاف المشرك لعدم تحفظه عن النجاسة ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٧١)
(٢) الكشاف (٢ / ١٨٣)
(٣) تفسير ابن جرير (١٠ / ١٠٦) القرطبى (٨ / ١٠٣) زاد المسير (٣ / ٤١٧) .
(٤) زاد المسير (٣ / ٤١٧)
(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (١ / ٣٩١) كتاب الغسل باب الجنب يخرج ويمشى فى السوق وغيره ، ومسلم (١ / ٢٨٢) كتاب الحيض ، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس حديث رقم ١٥
(٦) التفسير الكبير (٢٦ / ٢٤)
(٧) روح المعانى (١٠ / ٧٦)

وعن الآية بأن المراد أنهم نجس في الاعتقاد والاستقذار ، وحجتهم أن الله تعالى أباح نكاح نساء أهل الكتاب ، ومعلوم أن عرقهن لا يسلم منه من يضاجعهن ، ومع ذلك فلم يجب عليه من غسل الكتابية الا مثل ما يجب عليه من غسل المسلمة ، فدل على أن الأدمي الحي ليس بنجس العين اذ لا فرق بين النساء والرجال ". (١)

والمشركون أنجاس فاسدوا الاعتقاد ، يشركون بالله مالا يضر ولا ينفع ، ويعبدون الرجس من الأوثان والاصنام ، ويدينون بالخرافات والأوهام ويأكلون الميتة والدم وهي اقذار حسية " ، ويستحلون القمار والزنا .. وهم لا يجتنبون النجاسات ولا يتطهرون فالنجاسة ملازمة لهم حسا ومعنا ، من أجل ذلك لا يصح أن يدخلوا ارض الحرم ، فضلا عن دخول البيت نفسه وطوافهم فيه عراة ، ويشركون بربهم في التلبية ، واذا صلوا لم تكن صلاتهم الا مكاء وتصدية .

وهنا أود أن اذكر قصة أم حبيبة (٢) زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها أبي سفيان ، لقد جاء أبو سفيان - قبل أن يسلم - من مكة الى المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ... وقد فعلت

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٩٠)

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٦) تاريخ الطبري (٣/ ٤٦) المغازي للواقدي (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٣) زاد المعاد (٢/ ١٧٩).

ذلك رضى الله عنها لقوة ايمانها بالله تعالى ، وشدة محبتها لرسوله صلى الله عليه وسلم .

لا يجوز لهم عمارة المسجد الحرام :

وكما منع القرآن الكريم المشركين من دخول المسجد الحرام ، منعهم من عمارة سائر المساجد لأنهم يشركون مع الله غيره فى عباداتهم فهم يشركون مع الله فى تلبيتهم فى الحج ، ونصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون حوله عراة ، فهم مقرين على أنفسهم بالكفر ناطقين به بأقوالهم وأفعالهم .

قال تعالى : (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (١)

والمعنى انه لا يصح ولا يليق بالمشركين أن يعمروا شيئا من مساجد الله التى بنيت على اسمه وحده ، ومن اعظم المساجد بيت الله الحرام ، فلا يجوز لهم الاقامة فيه للعبادة أو الخدمة والولاية عليه ، ولا أن يزوروه حجاجا أو معتمرين ، وهم شاهدين على أنفسهم بالكفر ، ناطقين به بأقوالهم وأفعالهم ، وذلك أنه لا يستقيم لهم أن يجمعوا بين أمرين متناقضين : عمارة المساجد والاشراك بالله والكفر به وبعبادته وقوله : (أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) أى أولئك المشركون بالله تعالى الكافرون بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم قد بطلت أعمالهم التى كانوا

---

(١) التوبة (١٧ — ١٨)

يفخرون بها من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج ونحو ذلك مما كانوا يعملونه فى الدنيا ، بسبب مخالطتها للشرك بالله تعالى ، وهم فى نار جهنم ماكثون أبدا لا احياء ولا أمواتا والعياذ بالله .

وقولهم : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) بيان من الله تعالى ان المستحقين لعمارة المساجد هم الجامعون بين الايمان بواحدانية الله تعالى على الوجه الذى بينه فى كتابه والايمان باليوم الآخر الذى يحاسب الله فيه عباده ويجزى كل نفس ما كسبت . مع اقامة الصلاة المفروضة على وجه جامع بين أركانها وشروطها وسننها وآدابها ، واعطاء زكاة الاموال لمستحقيها من الفقراء والمساكين وبقية المستحقين لها ، وخشية الله دون غيره مما لا ينفع ولا يضر كالاصنام وغيرها .

وقوله : (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال ابن عباس[1] " ان أولئك هم المفلحون ، كقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[2] وهى الشفاعة ، وكل عسى فى القرآن فهى واجبة) .

ويستمر السياق مخاطبا مشركى قريش ، منكرا عليهم وموبخا لهم ، أن تكون سقاية الحجيج ، وسدانة بيت الله الحرام كايمان من آمن بالله وجاهد فى سبيله قال تعالى :

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى (١٠/ ٩٤) وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٥)

(٢) الاسراء (٧٩) .

﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ (١)

جاء فى سبب نزول الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما (٢) قال : قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج ...) الآية .

وأخرج مسلم (٣) عن النعمان ابن بشير قال : "كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالى ألا أعمل لله عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج ، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة — ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأستفتيه فيما اختلفتم فيه ، فدخل بعد الصلاة فأستفتاه فأنزل الله : (أجعلتم سقاية الحاج ...) الآية .

---

(١) التوبة (١٩ — ٢٠)

(٢) أسباب النزول للسيوطى (ص ١١٥) واسباب النزول للواحدى (ص ١٣٩) تفسير الطبرى (١٠/ ٩٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٦) .

(٣) صحيح مسلم (٣ / ١٤٩٩) كتاب الامارة باب فضل الشهادة فى سبيل الله حديث رقم ١١١

والمعنى أجعلتم يامعشر المشركين أو يا من تنازعتم من المؤمنين — أى الأعمال أفضل — سقاية الحجيج وسدانة بيته العتيق ، كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله ؟ وذلك أن السقاية والعمارة وان كانتا من أعمال الخير والبر فان أصحابهما لا يدانون ولا يساوون أهل الايمان بالله تعالى والجهاد فى سبيله فى علو المرتبة وشرف المنزلة ، فضلا عن أن يفضلهما كما يزعم كبراء مشركى قريش .

(والله لا يهدى القوم الظالمين) لأن المشركين ظلموا أنفسهم بعدم الايمان بواحدانية الله وظلموا المسجد الحرام حيث جعلوه متعبدا لأوثانهم ، وأما الذين طهروا أنفسهم من دنس الشرك بالايمان بالله وحده وتركوا دورهم وديارهم وجاهدوا فى دين الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عند الله وأرفع منزلة عنده من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع الاشراك بالله تعالى . وهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بالايمان والهجرة والجهاد فى سبيله هم الفائزون بالجنة الناجون من النار يوم القيامة

٣ — تحريم نسائهم وذبائحهم :

ولما كان الزواج سكينة ومودة فانه لا يمكن أن يلتقى طرفان متباعدان ومتناقضان . لذلك فقد حرم الاسلام الزواج من المشركين .

قال تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة بإذنه)(١)

---

(١) البقرة (٢٢١) .

قال مقاتل :[١] نزلت هذه الآية فى أبى مرثد الغنوى ، وقيل : فى مرثد بن أبى مرثد ، واسمه كناز بن حصين الغنوى ، بعثه رسول اللـه صلى الله عليه وسلم الى مكة سرا ليخرج رجلا من أصحابه وكانت له بمكه امرأة يحبها فى الجاهلية ، يقال لها : "عناق" فجاءته فقال لها : ان الاسلام حرم ما كان فى الجاهلية . قالت : فتزوجنى ، قال : حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى النبى فاستأذنه ، فنهاه عن التزوج بهـا لأنه كان مسلما وهى مشركة .

وروى السدى[٢] عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى عبد الله بـن رواحه ، وكانت له أمة سوداء ، وأنه غضب عليها فلطمها ثم انه فزع فأتـى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " ما هى ياعبد الله ؟ " قال : يارسول الله تصوم وتصلى وتحسن الوضوء وتشهد أن لا اله الا الله ، وانك رسول الله فقال : "هذه مؤمنة " فقـال عبد الله : فوالذى بعثك بالحق لاعتقنها ولا تزوجنها ، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا نكح أمة ، وكانوا يريدون أن ينكحوا الى المشركـين وينكحوهم رغبة فى انسابهم فأنزل الله " ولا تنكحوا " الآية .

---

(١) اسباب النزول للسيوطى ص (٤٢) واسباب النزول للواحدى ص (٣٩) الجامع لاحكام القرآن (٣/ ٦٧) روح المعانى (٢/ ١١٧)

(٢) اسباب النزول للسيوطى ص (٤٢) اسباب النزول للواحدى ص ٣٩ تفسير الطبرى (٢/ ٣٧٨) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٧) روح المعانى (٢/ ١١٨) .

ومعنى الآية الكريمة أى ولا تتزوجوا أيها المسلمون بالوثنيات حتى يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، ولأمة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير وأفضل من حرة مشركة ، ولو أعجبتكم المشركة بجمالها ومالها وسائر ما يوجب الرغبة فيها من حسب أو نسب أو جاه وغيره ، ولا تزوجوا أيها المسلمون بناتكم من المشركين مهما كان شركهم حتى يؤمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولئن تزوجوا بناتكم من عبد مؤمن خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك مهما أعجبكم فى الحسب والنسب والجمال . لأن المشركين والمشركات الذين حرمت عليكم مصاهرتهم ومناكحتهم يدعونكم الى ما يوصلكم النار من الكفر والفسوق والعصيان فحقكم ألا تتزوجوا منهم ولا تزوجوهم .

وذلك لأن الله تعالى يريد بكم الخير ويدعوكم الى ما فيه سعادتكم وهو العمل الذى يوجب الجنة ومغفرة الذنوب ، ويبين الله لكم حججه وأدلته لتتذكروا وتميزوا بين الخير والشر والطيب والخبيث .

ومن الآية يتبين لنا أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج بمشركة ، كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بمشرك للاختلاف الشاسع بين من يعبد الله وحده ويؤمن برسوله ومن يعبد الأصنام والأوثان .

استثناء الكتابيات :

هذا وقد خص من هذا العموم اباحة نكاح الكتابيات لقوله تعالى : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ...) (١)

---

(١) المائدة (٥)

وبما روى أن عثمان رضى الله عنه تزوج نائلة الكلبية ، وهى نصرانية على نسائه ، وأن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية من أهل الشام ، ولم ينقل أن أحدا من الصحابة أنكر ذلك ، فعلم أنهم متفقون على جواز نكاح الكتابيات .(١)

أما ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لا يرى ذلك ، ويحتج بقوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)(٢) ويقول لا أعلم شركا أعظم من أن تقول ربها عيسى أو عبد من عبيد الله فقد أجاب الجمهور أن ظاهر لفظ المشركات انما يتناول عند الاطلاق عبدة الأوثان ولا يدخل فيه أهل الكتاب بدليل قوله تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)(٣)

وقوله تعالى : (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها)(٤)

وقوله تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين)(٥)

وسائر آى القرآن الكريم يفصل بينهما ، فدل على أن لفظة " المشركين باطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب ".(٦)

---

(١) انظر المغنى لابن قدامة (٦/ ٥٨٩) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٢٤)
(٢) البقرة (٢٢١)
(٣) البينة (١)
(٤) البينة (٦)
(٥) البقرة (١٠٥)
(٦) المغنى لابن قدامة (٦/ ٥٩٠).

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :[١] " فان قيل : فقد وصفهم الله بالشرك فى قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)[٢]

قيل : ان أهل الكتاب ليس فى أصل دينهم شرك ، فان الله انما بعث بالتوحيد ، فكل من آمن بالرسل والكتب لم يكن فى أصل دينهم شرك ، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك كما قال تعالى : (سبحانه عما يشركون) فحيث وصفهم بأنهم أشركوا فلأجل ما ابتدعوه من الشرك الذى لم يأمر الله به وجب تميزهم عن المشركين " .

والقول الراجح فى هذا هو ما ذهب اليه الجمهور من جواز نكاح الكتابيات لوضوح الدليل ، ولعل ابن عمر كره الزواج منهن خشية على الزوج أو على الأولاد من الفتنة ، فانه اذا كان كذلك فان الزواج لا يجوز ، أما اذا لم يكن هناك خطر من فتنة على الزوج أو الأولاد أو كان هناك طمع فى اسلامها فلا وجه للقول بالمنع والله أعلم .

تحريم ذبائحهم :

وأما ذبائح المشركين فهى محرمة ، لأنهم يذبحونها لغير الله تعالى قال عز وجل : (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ...)[٣]

قال ابن كثير:[٤] (ما أهل به لغير الله) هو ما ذبح على غير

---

(١) الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (١٧٩/٣٢)

(٢) التوبة (٣١)

(٣) البقرة (١٧٣)

(٤) تفسير ابن كثير (٢١١/١)

اسم الله تعالى من الأنصاب والأنداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له " .

وقال القرطبي [١] : " ولا خلاف بين العلماء أن ذبيحة المجوسي لناره ، والوثني لوثنه لا يؤكل " .

وذكر القرطبي [٢] عن ابن عطية انه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن امرأة مترفة صنعت للعبها عرسا فنحرت جزورا ، فقال الحسن لا يحل أكلها فانها انما نحرت لصنم " .

كما أورد القرطبي [٣] عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عما يذبحه العجم لاعيادهم فيهدون منه للمسلمين ، فقالت : " ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلوا من اشجارهم " .

واستدل ابن كثير [٤] رحمه الله بتحريم طعام المشركين لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) [٥] حيث قال : " فدل بمفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الأديان الأخرى لا يحل " .

ومن الأدلة على تحريم ذبائح المشركين قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) [٦]

---

(١) الجامع لاحكام القرآن (٢/ ٢٢٣)

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١)

(٥) المائدة (٥)

(٦) الأنعام (١٢١)

قال الطبرى : (١) " يعنى بقوله جل ثناؤه (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) : ولا تأكلوا ايها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له فى كتاب منزل فانه حرام عليكم ولا ما أهل به لغير الله ، مما يذبحه المشركون لأوثانهم ، فان أكل ذلك فسق ، يعنى معصية .. "

ومن هذا نرى أن الآية الكريمة قد بينت أنه لا يجوز للمسلمين أن يأكلوا مما أهل لغير الله به وهو ما ذبحه المشركون لأوثانهم ، وان أكل شىء من ذلك فسق ومعصية لله تعالى كما جاء فى الآية الأخرى : (أو فسقا أهل لغير الله به ..) (٢)

قال صاحب المغنى : (٣) " وسائر الكفار غير أهل الكتاب كمن عبد ما استحسن من الأصنام والاحجار والشجر والحيوان فلا خلاف بين أهل العلم فى تحريم نسائهم وذبائحهم " .

وذكر ابن القيم (٤) ان ذلك " اتفاق من الصحابة رضى الله عنهم "

---

(١) تفسير الطبرى (١٥/٨)

(٢) الانعام (١٤٥)

(٣) المغنى لابن قدامة (٥٩٢/٦)

(٤) أحكام أهل الذمة (١٠/١) تحقيق صبحى الصالح الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

٤ ـ عدم الاستغفار لهم :

وبين القرآن الكريم أنه لا يصح ولا يجوز الاستغفار للمشركين بعد اصرارهم على الشرك وموتهم على ذلك .

قال تعالى : (ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم)[1]

وفى الصحيحين[2] عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبى أمية فقال : " أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " لاستغفرن لك مالم أنه عنك " فنزلت : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية .

---

(١) التوبة (١١٣ ـ ١١٤)

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٧/١٩٣) كتاب مناقب الانصار باب قصة أبى طالب و (٨/٣٤١) كتاب التفسير باب ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ومسلم (١/٥٤) كتاب الايمان باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت مالم يشرع فى النزاع وأحمد (٥/٤٣٣) .

ونزلت : (انك لا تهدى من أحببت) (١)

والمعنى أنه لا ينبغى ولا يصح من النبى ولا من المؤمنين أن يطلبوا من الله المغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون اقرباء لهم حق البر والصلة ، من بعد ما ظهر لهم بالدليل أنهم من أصحاب النار لموتهم على الشرك والكفر

ثم أجاب القرآن الكريم عن سؤال قد يختلج بالخاطر ، فيقال كيف يمنع النبى والمؤمنون من الاستغفار لاقربائهم وقد استغفر ابراهيم عليه السلام لأبيه .

فقال تعالى : (وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الاعن موعدة وعدها اياه " أى انما كان استغفار ابراهيم لأبيه بقوله : (واغفر لأبى انه كان من الضالين) (٢)

الا من أجل وعد تقدم له بقوله : (سأستغفر لك ربى) (٣) وهذا الاستغفار انما كان قبل أن يتحقق اصراره على الشرك (فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه)

أى فلما تبين لابراهيم أن أباه مصر على الكفر مستمر على الضلال ، تبرأ منه بالكلية فضلا عن الاستغفار له كما قال تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) (٤)

ثم بين الله تعالى سببا آخر فى حمل ابراهيم عليه السلام على الاستغفار لأبيه وهو فرط ترحمه وصبره على أبيه حيث وصفه ربه تبارك وتعالى بقوله : (ان ابراهيم لأواه حليم) أى كثير التأوه من فرط الرحمة والمبالغة فى خشية ، صبور على ما يعترضه من الأذى مع توعده له وتهديده بقوله : (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا) (٥)

---

(١) القصص (٥٦ (٢) الشعراء (٨٦)
(٣) مريم (٤٧) (٤) المجادلة (٢٢)
(٥) مريم (٤٦)

٥ ـ البراءة من عهودهم :

ولما كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهود ومواثيق كما هو من شأن صلح الحديبية فى السنة السادسة للهجرة ـ حيث كان من شروط الصلح التى تم الاتفاق عليها بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش :

ـ ان تضع الحرب أوزارها بين الطرفين مدة عشر سنوات .

ـ ان من أحب الدخول فى عقد محمد وعهدلا دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدها دخل فيه .(١)

وبناء على ذلك دخلت خزاعة فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده ودخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ثم لم تلبث خزاعة أن دخلت فى الاسلام .

الا أن المشركين لم يحترموا تلك العهود ، بل نقضوها واعتدوا على خزاعة احلاف الرسول صلى الله عليه وسلم .(٢)

لهذا جاءت سورة التوبة تعلن الغاء عهود المشركين ونبذها اليهم على وضوح وبصيرة لأن الناكثين لا يتورعون عن الخيانة كلما سنحت لهم الفرصة ، ولذلك فقد قطع الله ما بين المسلمين والمشركين من صلات ،

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣١٧ ـ ٣١٨) المغازى للواقدى (٢/ ٦١١)
تاريخ الطبرى (٢/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) الكامل لابن الاثير (٢/ ١٣٨)
البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩) عيون الاثر لابن سيد الناس (١/ ١٥٦) .
وانظر نص وثيقة الصلح فى الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله (ص ٧٧) وما بعدها .

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) المغازى للواقدى (٢/ ٧٨١)
تاريخ الطبرى (٣/ ٤٣) وما بعدها .

فلا عهد لهم ولا أمان ، بعد أن منحهم الله تعالى فرصة كافية هي السياحة في الأرض أربعة أشهر ينطلقون فيها آمنين ، ليتمكنوا من النظر والتدبر في أمرهم ، ويختاروا ما يرون فيه المصلحة لهم .

قال تعالى : (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين)(١)

وفي الصحيحين (٢) أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : " بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، قال حميد : ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا على في أهل منى يوم النحر ببراءة ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " .

وقد أعلن الله تعالى للمشركين في السنة التاسعة للهجرة ، وفي يوم الحج الاكبر — قيل : يوم عرفة وقيل : يوم النحر وهو الأرجح لأنه ثبت في الصحيحين أن الله برئ من عهودهم ، ورسوله برئ منهم كذلك الا الذين سبق لهم عهد ولم ينقضوا ذلك العهد فانه يوفى لهم عهدهم .

---

(١) التوبة (١ — ٢)

(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٣١٧/٨) كتاب التفسير ، باب فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، باب (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر . وصحيح مسلم (٩٨٢/٢) كتاب الحج ، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان حديث ٤٣٥ وتقدم ص (٥٥٧) .

قال تعالى : (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) (١)

أما اذا مضت الأشهر الأربعة التى حرم فيها قتالهم ولم يراجعوا فيها أنفسهم فحينئذ لابد من قتالهم فى أى مكان أو زمان من حل أو حرم ، وأخذهم بالأسر ، ومنعهم من التنقل فى بلاد المسلمين ، والقعود لهم فى كل طريق يسلكونه ، الا اذا تابوا عن الشرك وأدوا ما فرضه الله عليهم من الصلاة والزكاة ، فانه على المسلمين عند ذلك أن يكفوا عنهم ، ولا يتعرضوا لهم ، فان الله تعالى واسع المغفرة والرحمة لمن تاب وأناب .

قال تعالى : (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) (٢)

ومن سماحة الاسلام انه اذا جاء أحد المشركين بعد انقضاء الأشهر وليس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد مسبق وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمع ما يدعو اليه من التوحيد والقرآن فان له الأمان حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويتطلع على حقيقة أمره . (٣)

---

(١) التوبة (٣ — ٤)

(٢) التوبة (٥)

(٣) انظر الكشاف (١٧٥/٢) بتصرف .

قال تعالى : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) (١)

وهذا فى غاية حسن المعاملة وكرم الاخلاق ، لأن المراد ليس النيل من الكافرين ، بل المقصود اقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه ، ويتركوا ماهم عليه من الكفر والضلال .

ومع ذلك فان القرآن الكريم يستبعد ثبات المشركين على العهد والتزامهم به . قال تعالى : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (٢)

والآية الكريمة تحمل استفهاما انكاريا ، أى كيف يكون للمشركين عهد معتد به عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم استدركت الآية الكريمة أن من كانت لهم معاهدة عند المسجد الحرام ولم ينقضوها واستقاموا على ذلك فاستقيموا لهم على الوفاء ، فان الله تعالى يحب من اتقاه ، ووفى بعهده وترك الغدر والخيانة .

ويتكرر الاستبعاد لثباتهم على العهد ، لأنهم ان يظفروا بالمسلمين لا يراعوا فيهم عهدا ولا ذمة ، وانما يرضونهم بالكلام الجميل ان كان الظفر للمسلمين عليهم ، وتمتنع قلوبهم عن الاذعان والوفاء بما يبدونه بألسنتهم .

قال تعالى : (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) (٣)

---

(١) التوبة (٦)
(٢) " (٧)
(٣) " (٨)

ويضيف القرآن الكريم فى ذم المشركين وتوبيخهم مالم يتوبوا فيصبحوا اخوانا للمسلمين فيقول تعالى : (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) (١)

أما اذا نكث المشركون الذين لهم عهود ومواثيق مع المسلمين ، وعابوا الدين وانتقصوه ، فان النتيجة الحتمية هى القتال لصناديدهم ورؤسائهم ، لأنهم لا ايمان لهم ولا عهود يوفون بها ، لعلهم يكفوا عن الاجرام وينتهوا عن الطعن فى دين الاسلام .

قال تعالى : (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (٢)

ويحض القرآن الكريم المؤمنين على قتال المشركين الناكثين لعهودهم وأيمانهم الذين هموا بحبس الرسول صلى الله عليه وسلم أو قتله ، أو اخراجه من مكة ، بل قر قرارهم على أن يقتلوه على أيدى مجموعة من شبابهم حتى يتفرق دمه بين القبائل كما قال تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (٣)

ذكر أهل التفسير وأهل السير (٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما :

" ان نفرا من أشراف قريش اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم

---

(١) التوبة (٩ — ١١)
(٢) التوبه (١٢)
(٣) الانفال (٣٠)
(٤) سيرة ابن هشام (١/٤٨٠—٤٨٢) اسباب النزول للسيوطى ص (١٠٩) وتفسير الطبرى (٩/ ٢٢٧) مجمع الزوائد (٧/ ٢٧) الدر المنثور (٣/ ١٧٩) .

ابليس فى صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم منى رأى ونصح قالوا : أجل فادخل ، فقال : انظروا فى شأن هذا الرجل – يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم – فقال قائل : احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك ، فصرخ عدو الله وقال : والله ما هذا لكم برأى ، فليوشكن أن يثب أصحابه عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه فانه اذا خرج فلن يضركم ما صنع وأين وقع ، فقال الشيخ المذكور : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه القلوب بحديثه ؟ والله لئن فعلتم لتجتمعن عليكم العرب حتى يخرجوكم من بلادكم ويقتلوا اشرافكم ، قالوا صدق فانظر رأيا غير هذا ، فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى ما أرى غيره قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما شابا جلدا ، ونعطى كل واحد سيفا صارما يضربونه ضربة رجل واحد ، ويتفرق دمه فى القبائل كلها ، ولا أظن بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها فيقبلون الدية ونستريح منه ونقطع عنا أذاه ، فصرخ عدو الله ابليس : هذا والله الرأى لا أرى غيره ، فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وأمره أن لا يبيت فى مضجعه ، وأذن له بالهجرة وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك . .) الآية .

فاذن المشركون قرروا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة وقبل ذلك فعلوا ما فعلوا بالمستضعفين من المؤمنين الذين لا ذنب لهم سوى انهم آمنوا بالله تعالى

وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، وبعد ذلك صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام ثم بدأوا المسلمين بالعداوة حيث قاتلوا بنى خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا لقتال المسلمين فى بدر .

لهذا فقد أهاب النبى صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين وحثهم على قتال اعدائهم اعداء الاسلام والمسلمين ليشف الله قلوب المؤمنين باعلاء كلمة " لا اله الا الله " وتعذيب المشركين وخزيهم ، ويذهب ما أصاب المؤمنين من غيظ وكرب .

قال تعالى : (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) (١)

وفى أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بنبذ عهود الخائنين للعهد قال تعالى : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) (٢)

قال القرطبى : (٣) "والمعنى : واماتخافن من قوم — بينك وبينهم عهد — خيانة فانبذ اليهم العهد أى قل لهم قد نبذت اليكم عهدكم وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك فيكونوا معك فى العلم سواء ، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك ، فيكون ذلك خيانة وغدرا) .

---

(١) التوبة (١٣ — ١٥)

(٢) الانفال (٥٨)

(٣) الجامع لاحكام القرآن (٣٢/٨)

٦ ـ الامر بقتالهم :

ومن أجل ابلاغ الدعوة ، ورفع كلمة " لا اله الا الله " على سائر المعتقدات ، ومن أجل قمع الشرك والمشركين ، اعداء الله والاسلام والمسلمين ، خاض المسلمون عدة معارك حاسمة مع المشركين ، بعد أن اذن الله لهم بالقتال لتأمين الدعوة وازالة العقبات من طريقها ، حتى يدخل من يريد الدخول فى الاسلام وهو مطمئن قال تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (١)

ثم فرض الله عليهم قتال الكفار الذين يقاتلونهم قال تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (٢)

وبعد ذلك جاء الأمر الحاسم فى قتالهم قال تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (٣)

وعلى اثر هذا الأمر بدأ القتال وخوض المعارك بين المسلمين واعدائهم ففى قتال المشركين كانت وقعة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة ، وبدأ فيها أنه لا مهادنة بين قوة الاسلام وقوة الشرك ، كما ظهر فيها أن المشركين مصممون على ابادة الجماعة المؤمنة حيث وقف أبو جهل بعد أن علم أن تجارة قريش نجت متحديا قوة الايمان ومستهترا بتدبير الله وقدرته ، فقد قال : (٤)

---

(١) الحج (٣٩)
(٢) البقرة (١٩٠)
(٣) التوبة (٣٦)
(٤) سيرة ابن هشام (١/٦١٨ ــ ٦١٩) عيون الاثر (١/٣٠١) تاريخ الطبرى (٢/٤٢٤ ــ ٤٣٨) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٣) المغازى للواقدى (٢/٤٣) .

" والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ".

فدارت عليه الدائرة ونزلت بجيشه الهزيمة وحق نصر الله للمؤمنين .

قال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا واتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ...) (١)

وتلتها معركة أحد فى السنة الثالثة وفيها تلقى المسلمون درسا لم ينسوه حين ترك الرماة مواقعهم فباغتهم المشركون وحاقت بالمسلمين الهزيمة وقتل منهم من قتل ومحص الله الصف الاسلامى بهذه الموقعة ، فظهر أهل الايمان بايمانهم ، وأهل الكفر بكفرهم ونفاقهم .

وفى السنة الخامسة كانت غزوة الخندق أو الأحزاب ، التى تكالب فيها اعداء الله على المدينة المنورة عاصمة الاسلام الأولى ، يريدون اطفاء نور الله ، اذ استطاع اليهود تأليب القبائل العربية على غزو الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة .

وقد ابتلى فيها المسلمون ابتلاء عظيما قال تعالى : (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) (٢)

---

(١) آل عمران (١٢٣ - ١٢٥)

(٢) الاحزاب (١٠ - ١١)

ولكن الله تعالى رد كيد الاعداء فى نحورهم قال تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (١)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) بعد رجوع المشركين وانصراف الاحزاب عن المدينة : (الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم) .

وقد تحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم تغزوهم قريش بعد هذه الغزوة حتى غزاهم المسلمون وفتحوا مكة .

وفى آخر السنة السادسة من الهجرة كان صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش حيث كان فتحا للمسلمين وهزيمة لاعدائهم المشركين قال تعالى : (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) (٣)

قال عمر رضى الله عنه : (٤) " أو فتح هو يارسول الله ؟ قال نعم "

وقد دلت الحوادث على أن صلح الحديبية كان فعلا فتحا على المسلمين وطريقا الى فتح مكة ونشر الدعوة خارج الجزيرة العربية حيث كتب عليه الصلاة والسلام بعد هذا الصلح لملوك ورؤساء العالم يدعوهم الى الاسلام

نقل ابن هشام عن الزهرى : (٥) " فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ،

---

(١) الاحزاب (٢٥)
(٢) صحيح البخارى بشرح الفتح (٤٠٥/٧) كتاب المغازى ، باب غزوة الخندق .
(٣) الفتح (١ — ٣)
(٤) صحيح مسلم (١٤١٢/٣) كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية فى الحديبية .
(٥) سيرة ابن هشام (٣٢٢/٢) تاريخ الطبرى (٦٣٨/٢) المغازى للواقدى (٦٠٩/٢ — ٦١٠ ، ٦٢٤) .

ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر .

ثم قال ابن هشام :[1] " والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

وفى السنة الثامنة كان فتح مكة ، وتم تطهير بيت الله الحرام من أرجاس الجاهلية وأوثانها ، وصار مثابة للناس وأمنا فبعد أن نقضت قريش العهد الذى وقع فى الحديبية ، سار الجيش الاسلامى بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم متوجها الى مكة لتأديب قريش وكبح جماحها ، ورد ظلمها وقد هيأ الله أسباب النصر لنبيه فدخل مكة فاتحا ، وأصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عفوا شاملا حيث جمع قريشا وقال لهم : " ما ترون أنى فاعل بكم ؟ " قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : " فانى أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ".[2]

وطهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الله الحرام من الأوثان ، والأصنام ، وأزال منه الصور والتماثيل وأخذ يطعنها وهو يقول : " جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)[3]

وأمر بلالا أن يصعد على الكعبة فيرفع الآذان ، ورؤساء قريش يسمعون

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣٢٢)

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٤١٢) زاد المعاد (٢/١٨٣ – ١٨٤) عيون الأثر (٢/٢٣٠) فتوح البلدان ص (٥٥)

(٣) الاسراء (٨١) .

كلمة التوحيد تعلو ، وفجاج مكة ترتج بها ، لقد كان لفتح مكة فى قلب الجزيرة العربية ومركزها الروحى والسياسى أثر بالغ فى تدعيم قواعد العدل ونشر مبادئ المساواة ، ورفع راية الاسلام على جزيرة العرب وازالة العوائق من طريق الدعوة ، فأقبل الناس على الاسلام — بعد خضوع قريش اقبالا لم يعرف قبل ذلك ، وصاروا يدخلون فى دين الله أفواجا (١)

وصدق الله اذ يقول : (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) (٢)

ولقد كان لهذا الفتح أثر كبير فى نفوس القبائل (حيث كانت بعض القبائل بينها وبين قريش حلف ، وكانت ممتنعة عن الدخول فى الاسلام لمكانة هذا الحلف ، وكانت قبائل ترهب قريشا ، وتجلها ، فلما رأتهم استسلموا للاسلام رغبت فيه ، وزال الحاجز ، وكانت قبائل تعتبر مكة لا يفتحها ولا يدخلها ملك جبار أو من يريد لها سوء ، ولا يزال فيها من عاصر حادثة الفيل وشاهد ما فعل بأبرهة : " فيقولون : اتركوه وقومه فانه ان ظهر عليهم فهو نبى صادق " (٣)

فلما ظهر عليه الصلاة والسلام على قريش ، ودخل مكة آمنا أقبل الناس على الاسلام وهم آمنون مقتنعون . (٤)

---

(١) انظر زاد المعاد (٢/ ١٨٤) عيون الأثر (٢/ ٢٣١)

(٢) سورة النصر

(٣) صحيح البخارى بشرح الفتح (٨/ ٢٢) كتاب المغازى ، باب وقال الليث حدثنى يونس . . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد مسح وجهه عام الفتح .

(٤) انظر السيره النبوية لابى الحسن الندوى ص (٢٨٩) دار الشروق ط ١ ١٣٩٧ هـ .

٧ ـ عدم أخذ الجزية منهم :

وقد اختلف الفقهاء فى أخذ الجزية من المشركين :

فقال مالك : ان الجزية تقبل من جميع الكفار الا من ارتد ، وبه قال الأوزاعى وفقهاء الشام .[(١)]

وقال الشافعى وأحمد فى اظهر الروايتين وأبو ثور ان الجزية لا تؤخذ الا من أهل الكتاب والمجوس .[(٢)]

وقال أبو حنيفة وأحمد فى الرواية الأخرى انه لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو السيف .[(٣)]

والسبب فى اختلافهم معارضة العموم للخصوص ، أما العموم فقوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)[(٤)]

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :[(٥)] " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقهـا وحسابهم على الله) .

---

(١) بداية المجتهد لابن رشد (١/٣٨٩) نيل الأوطار للشوكانى (٩/٢١٤) .

(٢) المجموع للنووى (١٨/٢٠٧) المغنى لابن قدامة (١/٥٠٠) فتح البارى لابن حجر (٦/٢٥٩) الافصاح لابن هبيرة (٢/٢٩٢) .

(٣) احكام القرآن للجصاص (٤/٢٨٥) المغنى لابن قدامة (٨/٥٠٠) ، والافصاح لابن هبيرة (٢/٢٩٢) .

(٤) البقرة (١٩٣)

(٥) صحيح البخارى بشرح الفتح (١/٧٥) كتاب الايمان ، باب " فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم " ومسلم (١/٥٣) كتاب الايمان باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله رقم (٢٢)

وأما الخصوص فما ثبت في صحيح مسلم [1] من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا الذين كان يبعثهم الى مشركي العرب " ... واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء ، الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فاسألهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم "

فمن رأى ان العموم اذا تأخر عن الخصوص فهو ناسخ له قال لا تقبل الجزية من مشرك عدا أهل الكتاب لأن الآية الآمرة بقتالهم على العموم هى متأخرة عن ذلك الحديث ، وذلك أن الأمر بقتال المشركين عامة هو فى سورة (براءة) وذلك عام الفتح ، وذلك الحديث انما هو قبل الفتح بدليل دعائهم فيه الى الهجرة . ومن رأى أن العموم يبنى على الخصوص تقدم أو تأخر أو جهل التقدم والتأخر بينهما قال : تقبل الجزية من جميع المشركين ، وأما تخصيص أهل الكتاب من سائر المشركين فخرج من ذلك

---

(١) صحيح مسلم (٣/١٣٥٧) كتاب الجهاد باب تأمير الامام الامراء على البعوث ووصيته اياهم حديث رقم " ٣ "

العموم باتفاق لقوله تعالى : (من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[١]

قال ابن القيم ـ رحمه الله[٢] : " انما لم يأخذها عليه الصلاة والسلام) من مشركي العرب لأنها انما نزل فرضها بعد أن اسلمت دار العرب ولم يبق فيها مشرك فانها نزلت بعد فتح مكة ودخول العرب في دين الله أفواجا فلم يبق بأرض العرب مشرك ، ولهذا غزا بعد الفتح تبوك ، وكانوا نصارى ، ولو كان بأرض العرب مشركون لكانوا يلونه وكانوا أولى بالغزو من الأبعدين ، ومن تأمل السير وأيام الاسلام علم أن الأمر كذلك فلم تؤخذ منهم الجزية لعدم من يؤخذ منه ، لا لأنهم ليسوا من أهلها قالوا : وقد أخذها من المجوس وليسوا بأهل كتاب ولا يصح أنه كان لهم كتاب ورفع وهو حديث لا يثبت مثله ولا يصح سنده ، ولا فرق بين عباد النار وعباد الأصنام ، بل أهل الأوثان أقرب حالا من عباد النار أعداء ابراهيم الخليل فاذا أخذت منهم الجزية فأخذها من عباد الأصنام أولى " اهـ

واذا رجعنا الى حقيقة هذا الخلاف في أخذ الجزية من المشركين وهل تؤخذ منهم جميعا أو ترفض من كل مشرك أو لا تقبل من مشركي العرب دون مشركي العجم لوجدنا أن القول بعدم أخذها من المشركين أقرب الى الصواب في نظري ولا سيما مشركي العرب .

لذلك فان الاسلام حين أعلن حربه للشرك دون ما هوادة ، لم يكن متجنيا على المشركين ، اذ انه من الازدراء للعقل الانساني والكرامة

---

(١) بداية المجتهد (١/٣٨٩) والآية (٢٩) من سورة التوبة .

(٢) زاد المعاد (٢/٨٩ ـ ٩٠)

الانسانية أن يعبد الانسان حجرا أو شجرا لا ينفع ولا يضر ، ومع ذلك فان الشرك الذى كان قائما فى شبه الجزيرة العربية ، لا يمثل هذه السخافة فحسب ، بل انه كان يمثل مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد الباطلة بل كان يمثل نظاما اجتماعيا هو أشر من كل ما يتصوره العقل فى هذا العصر كان يمثل وأد البنات ودفنهن وهن أحياء ، وكان يمثل الزنا والاباحية فى أقصى صورها ، ويمثل الجرائم والفواحش فى ابشع ما يكون ، وكان يمثل الربا فى افحش ما يتصوره الانسان .

وهناك حقيقة تاريخية أخرى مستمدة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، فقد انفق منذ بعثه ربه برسالته ثلاث عشرة سنة حسوما يدعو الناس فيها الى دين الله وحده بالحجة والاقناع ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، ولم يترك وسيلة من وسائل الدعوة الا طرقها من اجل هدايتهم وادخالهم فى دين الله . والدعوة الى قتال المشركين واعتبارهم نجس ، وانهم لا عهد لهم ولا ذمة انما جاءت بعد آخر غزوة غزها النبى صلى الله عليه وسلم وهى غزوة " تبوك " .

وأما حديث بريدة فانه وان كان يدل بعمومه على قبول الجزية من كل كافر فقد ذكر ابن قدامة : (١) " انه خرج منه عبدة الأوثان من العرب لتغلظ كفرهم من وجهين : أحدهما دينهم ، والثانى : كونهم من رهط النبى صلى الله عليه وسلم " هذا والله أعلم .

---

(١) المغنى لابن قدامة (٨/ ٥٠٠ — ٥٠١) .

الخاتمـــــــة

وفى نهاية هذا البحث أقدم للقارئ الكريم لمحة موجزة عن أهـم الافكار والمحتويات التى تضمنتها الرسالة فيما يلى :

١ ـ أثبت القرآن الكريم والسنة النبوية أن عقيدة التوحيد قد صاحبت البشرية منذ بدايتها بدأ بذلك آدم عليه السلام الذى عرف بنيـه بربهم وبالاسلام ، وتلقى أبناؤه من بعده هذه العقيدة من جيل الى جيل ، يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا .

ولما طال الزمان انحرف الناس عن الفطرة بسبب جهلهم وبعدهـم عن العلم واغواء الشياطين لهم وعبدوا مع الله غيره من الأصنـام والأوثان وقبور الصالحين ، وعند ذلك بعث الله اليهم نوحا عليـه السلام ، فجدد الدعوة الى التوحيد وأعاد الى العقيدة نقاءهـا وصفاءها ، وحاول ـ جاهدا ـ بكل ما يملك من طاقة أن يخـرج الناس مما انتكسوا فيه من ضلال وكفر ، وكانت النتيجة ان نجـى الله نوحا والذين آمنوا معه واغرق من عداهم من عبدة الأصنام والأوثان .

٢ ـ ثم استمر موكب الايمان يتجدد من وقت لآخر وفى كل أمة يبعث الله الأنبياء والرسل يبينون للناس الحق والهدى كلما انتكسوا أو انحرفوا فكان هود وصالح وابراهيم واسماعيل ويعقوب واسحاق ويوسف وشعيب وموسى وعيسى وغيرهم كان أول دعوة هؤلاء ـ عليهم السـلام وأكبر هدفهم هو تصحيح العقيدة فى الله تعالى ، وتصحيح الصلـة بين العبد وربه ، والدعوة الى اخلاص الدين وافراد العبادة للـه وحده ، وانه النافع الضار المستحق لجميع أنواع العبادة ، وكانت حملتهم مركزة وموجهة الى الوثنية القائمة فى عصورهم ، الممثلـة

بصورة واضحة فى عبادة الأوثان والأصنام والصالحين من الأحياء والأموات ، وعبادة الكواكب ونحوها .

٣ ـ وقبيل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كان جو العالم كله يموج بالاضطرابات الوحشية الى حد كبير وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير والصلاح .

فقد انتشرت فى الجزيرة العربية العقائد الفاسدة وعلى رأسها عبادة الأصنام والأوثان ، وجرفتها تيارات العصبية الممقوتة ، وسادت فيها الأوضاع الاجتماعية الجائرة ..

وبنو اسرائيل حرفوا وغيروا كتب الله وشرائعه وكفروا بنعمه ، وركنوا الى المادة ، وأصبح بأسهم بينهم شديدا ، وبلاد الفرس والهند ضلت طريقها وعاش الناس فى ظلام من الشك والجهل .. وعلى هذه الشاكلة كان العالم يعيش بأسره ، فلم يبق موضع الا وانسان يمرغ نفسه أمام صنم ، ويذل عزته وكرامته أمام الآلهة والأرباب .

٤ ـ وفى ظل هذا الجو المظلم بعث الله خاتم انبيائه وصفوة خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فسار على نهج اخوانه من الأنبياء والرسل فى الدعوة الى الله تعالى ، وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما العلاج الناجع والبلسم الشافى لأمراض البشرية كلها ، بل فيهما كل ما يحتاج اليه الناس فى دينهم ودنياهم .

٥ ـ ومسلك القرآن الكريم فى دعوة المشركين وغيرهم لم يكن جدلا عقيما أو تفلسفا مذموما ، أو أقوالا يستعصى على العقول فهمها ولكنه جاء سهلا واضحا يفهمه البدوى فى مضارب البادية ، كما يفهمه أهل الحضارة والثقافة فى أرجاء الأرض ويتذوقه من عاصر الوحى وشهد تنزلاته .

٦ ـ والقرآن الكريم يعتبر قضية وجود الله تعالى أمرا فطرياً في النفوس البشرية السليمة ، لا يحتاج الى جدال أو نقاش ، وكل انسان عاقل يدرك بنفسه هذه الحقيقة .

لكن الانسان في هذه الدنيا تحيط به مؤثرات كثيرة تجعله ينحرف . ومن أسباب انحرافه تقليد الأبناء لضلال الآباء ، وما قد يلقيه الكتاب المنحرفون في أفكار الناشئة ، بما يبدل هذه الفطرة ويكدرها ، ويلقي عليها غشاوة فلا تتجه الى الحقيقة .

ومن طلب الدلائل التي تحرك الفطرة وتشير الى وجود الله ووحدانيته وجدها أكثر من أن تحصى ، فهي تنبعث من خلق الانسان نفسه ونفسه أقرب شئ اليه ، ويجدها في السماء التي فوق رؤوسنا ، ويبصرها في الأرض التي نعيش على ظهرها ، وتنبعث في الشمس وفي القمر وفي تعاقب الليل والنهار وسير النجوم وهبوب الرياح وتسخير السحاب وهطول الأمطار ، وفي عالم الحيوان وعالم النبات.

فمن تأمل ذلك أدرك بعقله وبصيرته أن هذا الخلق وهذا النظام وهذا الابداع لا يمكن أن يحدث من غير محدث أو يوجد من غير موجد ، لأن تلك المخلوقات عاجزة عن ايجاد ذلك النظام الدقيق والترتيب المحكم وصدق من قال :

وفي كل شئ له آية   تدل على انه الواحد

٧ ـ ولما كان المشركون لا ينكرون وجود الله تعالى وانما اتخذوا معه آلهة يظنون أن لها حظوة ومكانة عند الله تقربهم اليه . فقد أقام القرآن الكريم عليهم كثيرا من الحجج والبراهين الملزمة لهم بالاعتراف بالوحدانية لله تعالى ومن أهم ذلك :

أ ـ الأدلة القوية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثلة في شهادة ربه تبارك وتعالى له وكفى بها شهادة ، وكذلك

شهادة أهل الكتاب بصدقه ، وشهادة المشركين أنفسهم له بالصدق والأمانة ، وكان رأيهم فى ذلك يعد اجماعا منهم على كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، ولعل من أعظم علامات صدقه صلى الله عليه وسلم أن تحداهم بالقرآن الكريم بل تحدى الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله ولو بأقصر السور ، ولم يتقدم واحد منهم الى الميدان على الرغم من أنهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة فى هذا الشأن .

ب ـ استجواب المشركين عن أمور لا يمكنهم انكارها كالرزق والحواس وأحوال الموت والحياة وشئون التدبير ، والاستقلال بالملك والتصرف فى الكون وما فيه من سائر صنوف المخلوقات لانهم عند ذلك لا يجدون محيدا عن الجواب الصحيح وهو أن ذلك كله لله ، ومن هنا فانه يلزمهم الاعتراف بأن الذى ابتدأ الخلق والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق للعبادة وحده .

جـ ـ وكذلك ألزمهم بتقرير وحدانية الله تعالى باعترافهم بأن الخالق لكل ما فى الكون من سماء وأرض وشمس وقمر وليل ونهار وسحاب وأنهار وحيوان ونبات : هو الله تعالى وحده . لأنه اذا كان الله تعالى هو رب كل شئ ومليكه ، وهو الخالق الرازق وحده ، فلماذا يعبدون غيره ؟

د ـ وألزمهم أيضا بأن اقرارهم بتوحيد الله عند الشدائد ، وما لا يطاق من اللأواء وشدة الكرب والفزع فى البر والبحر ـ حيث ثبت انهم لا يتوجهون فى تلك اللحظات الى صنم ولا الى كوكب ، ولكنهم يتوجهون الى الله وحده مخلصين له الدين سرا وجهرا ـ يوجب عليهم الاقرار بتوحيده فى الأمن والرخاء .

هـ ــ ودعاهم القرآن الكريم عن طريق السؤال والجواب فى آن واحد ، حتى لا يسأموا من الدعوة الى التوحيد ، وفى نفس الوقت كان هذا الزاما لهم بالحجة الواضحة التى لا يمكنهم انكارها .

و ــ وفى مجال ضرب البراهين العقلية : دعاهم القرآن الى النظــــر والتدبر فيما يشاهدونه من خلق السموات والأرض وما فيهما مـــن ابداع ، اذ لا يوجد موازنة بين ما يعبدونه من دون الله تعــــالى من المعبودات التى ليس فيها! شائبة خير ، وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره .

ز ــ كما استدل القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى بالمقابلة بين خالق المخلوقات العظيمة ، وبين ما يعتقد فيه المشركون أن له شيئا من التأثير وهو مخلوق عاجز .

ح ــ وضرب لهم الأمثال للتذكير والوعظ والاعتبار وتصوير الشرك فى صــــورة محسوسة ليكون ذلك أقرب الى الانظار وأثبت فى الاذهان واســـرع فى الفهم وأدعى الى الامتثال .

ط ــ وجادلهم القرآن الكريم سالكا معهم فى الاستدلال على وحدانيـــة الله تعالى مسلكين :

١ ــ دليل التمانع وذلك انه لو كان مع الله شركاء فى كونه ، لما قبلوا ان يكونوا فى مركز ادنى ولسعوا ليكونوا شركاء منافسين له فى كل شىء ، وعند ذلك يفسد الكون بين رغبات الشركاء ، ولكـــن ثبت انتظام الكون وسلامته من الخلل والتصادم والفساد ، فعلم ان الله واحد ليس له شريك .

٢ ــ التركيز على ابطال معبودات المشركين ومناقشتهم فيها مناقشـــة واضحة صريحة وفى شأن معبوداتهم التى لا تقدر على خلـــق ذبابة ولا تستطيع ان تدفع عن نفسها ضرا ولا تجلب لنفسهـــا

نفعا فضلا عن نفع غيرها أو الحاق الضرر به .

ى — وطالبهم القرآن الكريم على وجه التعجيز أن يأتوا بدليل عقلى أونقلى يقر عبادتهم . ولما كان صريح العقل حاكما بأنه لا يجوز اسناد جزء من اجزاء هذا العالم الى معبودات المشركين وان كان ذلك الجزء أقل الأجزاء ، ولا يجوز أيضا اسناد الاعانة اليها فى أقل الافعال وأذلها ، وكذلك فان اثبات ما يعتقدونه عن طريق أى نقل فانه أمر محال ولأنه قد علم بالتواتر الضرورى اطباق جميع الكتب على المنع من عبادة غير الله تعالى . ولما بطل الكل ثبت أن الاشتغال بعبادة الأصنام عمل باطل واعتقاد فاسد .

٨ — واشتمل مسلك القرآن الكريم على كثير من التوجيهات والتحذيرات التى تدعو المشركين الى الايمان بوحدانية الله تعالى وانضوائهم تحت لواء الاسلام من أهمها ما يلى :

أ — دعوتهم عن طريق الأمر الجازم بعبادة الله وحده ، والنهى عن عبادة ما سواه .

ب — مطالبتهم بأن يحاكموا تقاليدهم وعقائدهم الجاهلية الموروثة الى ميزان العقل ان كانت لديهم عقول .

جـ — استعمال اسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فى دعوتهم وعدم سب آلهتهم لئلا يسبوا الله تعالى بسبب جهلهم وعدم علمهم .

د — واستعمل معهم اسلوب القصة لتقرير التوحيد بأبلغ اسلوب وأقوى حجة ونفى للشرك بأوضح بيان .

هـ — دعوتهم الى التأمل فى مصير المكذبين من الأمم السابقة لأخذ الدرس والعبرة بسنن الله فى الخلق لأن السعيد من اتعظ بغيره وتعلم من اخطاء الآخرين .

و — وبين لهم سخف ما هم عليه من عقيدة واهية وما اتخذوه من دون الله تعالى من آلهة مزعومة لا تملك لأنفسها ولا لغيرها نفعا ولا تدفع ضرا ..

اذ كيف ينزل العقل الانسانى الى هذا الدرك الاسفل من التخلف العقلى فى عبادة تلك المعبودات الواهية ، مع اعترافه بأن للوجود ربا خالقا رازقا ؟

ولم يتوجه الى هذا الخالق الرازق مباشرة ؟

ز — وذكرهم بأنواع من النعم الكثيرة التى أمتن الله بها عليهم وعلى عباده لعلهم يشكرون الله ويؤمنون به ، وحذرهم من النقم وتهددهم بالجوع والخوف والمنع والحرمان لعلهم يرعوون عن شركهم وجحودهم

ح — ولما كان الشرك بالله تعالى أكبر الكبائر واعظم الذنوب وأفظع المحرمات وأشنعها وأن صاحبه خالد مخلد فى النار اذا لم يتب الى الله قبل الموت فان الله تعالى اخبر بأنه لا يقبل أى عمل من الاعمال مع الاشراك به ، وأن مصير المشرك هو الخلود الأبدى السرمدى فى نار جهنم .

واكد لهم أنه لن يتسامح مع مرتكبى هذا الجرم الفظيع ، وأن الشرك يقطع الصلة بين الله تعالى وبين عباده ، فلا يبقى لهم معه أمل فى المغفرة والرحمة .

٩ — ودحض القرآن الكريم كل ما يثيره المشركون من شبهات حول بعض المسائل الغيبية سواء ما يتعلق بالملائكة أو البعث أو ما يتعلق بأمر الشفعاء والأولياء وبين الحق فى ذلك ووضحه تمام الوضوح .

١٠ — وكذلك فند القرآن جميع الشبهات التى يثيرها المشركون حول الرسالة سواء ما يتعلق منها بالقرآن أو بصاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

١١ — وفى مجال النقلة بالمشركين فى السلوك والعبادة أحدث الاسلام تغييرا جذريا بين ما كان عليه الناس فى جاهليتهم من عادات باطلة وما دعا اليه الاسلام من عبادات وأحكام شرعية واخلاقية لها وزنها وقيمتها فى تربية الفرد والجماعة والأمة على منهاج الله تعالى الملائم للفطرة البشرية .

١٢ — ثم قرر الاسلام موقفه الحاسم من المشركين والمتمثل فى ابعادهم عن المسجد الحرام وعدم عمارته ، لأنه لا يستقيم لهم أن يجمعوا بين أمرين متناقضين هما : عمارة المساجد من جهة والاشراك بالله من جهة أخرى ، كما اعتبرهم نجسا ، وحرم الزواج منهم للاختلاف الشاسع بين من يعبد الله وحده ويؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم ومن يعبد الأصنام والأوثان ، وحرم ذبائحهم لأنهم يذبحونها لغير الله تعالى ، وبين أنه لا يجوز الاستغفار لهم بعد اصرارهم على الشرك وموتهم على ذلك .

كما قرر الغاء عهودهم ونبذها اليهم لأن المشركين لم يحترموا عهود المسلمين ومواثيقهم ، بل نقضوها ، وتآمروا على الاسلام ورسول الاسلام بشتى الوسائل والاساليب : تارة بالمكر والخديعة ، وتارة بالكذب والافتراء على القرآن ورسول الاسلام ، وأخرى بالتآمر مع اليهود على حرب المسلمين .

وقد استبعد القرآن أن يثبت المشركون على العهد لأنهم ان يظفروا بالمسلمين لا يرقبوا فيهم عهدا ولا ذمة ، وانما يرضونهم بالكلام المنمق ، وتمتنع قلوبهم عن الاذعان والوفاء بما يبدونه بالسنتهم .

١٣ — ومن أجل رفع كلمة لا اله الا الله على سائر المعتقدات ومن أجل قمع الشرك والمشركين اعداء الاسلام والمسلمين خاض المسلمون عدة معارك حاسمة مع المشركين بعد أن أذن الله لهم فى قتالهم وبذلك زالت

العقبات التي كانت تقف في طريق الدعوة الى الاسلام والى رفع راية التوحيد .

وأخيرا : أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من جهد في هذا الموضوع .

وأسأل الله عز وجل أن يجعلني من الدعاة الى الاسلام على بصيرة ، وأن يوفقني لخدمة كتابه الكريم ، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم انه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أولا : فهرس الآيات القرآنية مرتبة علـــى السور والآيـــــات)

٤ـ سـورة النسـاء

٨ـ سورة الأنفال

٩ ـ سورة التوبة

١٠ــ سورة يونس

١١ـ سورة هود

١٢ ـ سورة يوسف

١٣ ـ سورة الرعد

١٧ ــ سورة الاســراء

١٨ ــ سورة الكهــــف

٢٢ ـ سورة الحج

٢٣ـ سورة المؤمنون

٢٤ ـ سوره النور

٢٥ـ سورة الفرقان

٢٦ ــ سورة الشعراء

٢٧ـ سورة النمل

٢٨ ـ سورة القصص

٢٩ ـ سورة العنكبوت

٣٠ — سورة الــــروم

٣١- سورة لقمان

٣٢- سورة السجدة

٣٣ - سورة الاحزاب

٣٤- سورة سبأ

٣٨ — سورة ص

٣٩ — سورة الزمر

٤٠ ـ سورة غافر

٤١ ـ سورة فصلت

٤٢ ـ سورة الشـــورى

٤٣ ـ سورة الزخـــرف

٤٤ ـ سورة الدخان

٤٥ــ سورة الجاثيــة

٤٦ــ سورة الاحقـاف

٤٧ــ سورة محمـد

٤٨ ــ سورة الفتح

٥٠ ــ سورة ق

٥١ ــ سورة الذاريات

٥٢ ــ سورة الطور

٥٣ ــ سورة النجم

٨٠ ـ سورة عبـــس

٨١ ـ سورة التكوير

٨٢ ـ سورة الانفطار

٨٣ ـ سورة المطففين

٨٦ ـ سورة الطارق

٨٧ ـ سورة الأعلى

٨٨ ـ سورة الغاشية

١١٠ ـ سورة النصر

١ ـ ٣ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ... ٥٨٣

١١٢ ـ سورة الاخلاص

١ ـ ٤ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ٣٠،٥٦

١١٤ ـ سورة الناس

١ ـ ٦ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس . ٢٣٥

(ثانيا : فهرس الأحاديث والآثار)
مرتبة على الحروف الهجائية

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(هـ)

(ثالثا : ثبت المصادر والمراجـــع)
مرتبة على الحروف الهجائيـــة

(أ)

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الاتقان فى علوم القرآن (جزءان فى مجلد واحد) للامام جـــلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الرابعـــة ١٣٩٨ هـ .

٣ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : لشهاب الدين أحمد ابن إدريس المالكى المعروف بالقرافى مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن بك باجه جى زادة مطبعة التقدم بمصـــر سنة ١٣٢٢ هـ الطبعة الأولى .

٤ ـ أحكام أهل الذمة (جزءان) للامام العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق الدكتور صبحـــى الصالح ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ دار العلم للملايين بيروت .

٥ ـ أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام : للدكتور عبدالكريـــم زيدان ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة القدس ببغـــداد ١٤٠٢ هـ.

٦ ـ أحكام القرآن (٥ أجزاء) للامام أبى بكر أحمد بن على الـــرازى الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) الطبعة الثانية ، نشر دار المصحف / القاهرة . تحقيق محمد الصادق قمحاوى .

٧ ـ احياء علوم الدين (٥ أجزاء) للامام أبى حامد محمد بن محمـــد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيـــع القاهرة ١٣٨٧ هـ .

٨ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (جزءان فى مجلد واحد) لأبـــى الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى (ت ٢٢٣ هـ) تقريبـــا ، مطابع دار الثقافة / مكة المكرمة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ . تحقيق رشدى الصالح ملحس .

٩ – اديان الهند الكبرى : للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٧٦ م

١٠– الأديان دراسة تاريخية مقارنة ، القسم الأول الديانات القديمة ، تأليف الدكتور / رشدى عليان وسعدون الساموك ، دار الحرية للطباعة / بغداد ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

١١– الأديان فى القرآن : للدكتور محمود بن الشريف ، دار عكاظ للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ الطبعة الثالثة جدة .

١٢– الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : للشيخ عبد القادر شيبة الحمد مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر جدة .

١٣– اسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت ٤٦٨ هـ) دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م

١٤– استخراج الجدل من القرآن الكريم : للامام ناصح الدين عبد الرحمن ابن نجم المعروف بالحنبلى (ت ٦٣٤ هـ) مطابع الفرزدق التجارية الطبعة الثانيه ١٤٠١ هـ ، تحقيق الدكتور زاهر عواض الألمعى .

١٥– الاسلام فى عصر العلم : للاستاذ محمد فريد وجدى ، دار الكتاب العربى / بيروت .

١٦– الاسلام والدعوات الهدامة : أنور الجندى ، دار الكتاب اللبنانى بيروت .

١٧– الاصابة فى تمييز الصحابة (٨ أجزاء) لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ دار صادر / بيروت . تحقيق على محمد البجاوى .

١٨– أصول الدعوة : لعبد الكريم زيدان ، جمعية الأمانى ببغداد الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ

١٩– أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن (٩ أجزاء) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى (ت ١٣٩٣ هـ) رحمه الله مطبعة المدنى سنة ١٣٨٦ هـ / القاهرة .

٢٠ـ اظهار الحق (جزءان فى مجلد واحد) للشيخ رحمة الله خليل الهندى (ت ١٣٨٦ هـ) دار التراث العربى للطباعة والنشر / بمصر .

٢١ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : للامام محمد بن عمر بن حسين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

٢٢ـ اعجاز القرآن : لأبى بكر محمد الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

٢٣ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : لمصطفى صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى / بيروت ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ

٢٤ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين (٤ أجزاء) : لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٧٣م

٢٥ـ اعلام النبوة : لأبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى (ت ٤٥٠ هـ) دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

٢٦ـ اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (جزءان) لأبن القيم الجوزية دار المعرفة / بيروت . تحقيق محمد حامد الفقى .

٢٧ـ الافصاح عن معانى الصحاح (جزءان) للوزير عون الدين أبى المظفر يحي بن محمد بن هبيرة الحنبلى (ت ٥٦٠ هـ) المؤسسة السعيدية بالرياض .

٢٨ـ اقتضاء الصراط المستقيم : لشيخ الاسلام تقى الدين أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام بن أبى القاسم بن الخضر بن تيمية النمرى الحرانى (ت ٧٢٨ هـ) مطبعة الحكومة بمكة ١٣٨٩ هـ

٢٩ـ الامثال فى القرآن : لشمس الدين أبى عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ، تحقيق سيد محمد نمر الخطيب .

٣٠ـ الله (كتاب فى نشأة العقيدة الالهية) لعباس محمود العقاد ، الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر .

٣١ـ الله يتجلى فى عصر العلم : تأليف نخبة من العلماء الامريكيين ، ترجمة الدكتور / الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبى وشركاه / القاهره .

٣٢ـ انوار التنزيل واسرار التأويل (جزءان) :لناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر البيضاوى (ت ٧٩١ هـ) مطبعة البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ .

٣٣ـ ايثار الحق على الخلق لأبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن على بن المرتضى اليمانى دار الكتب العلمية / بيروت ١٣١٨ هـ .

٣٤ـ الأيمان وآثاره والشرك ومظاهره : لزكريا على يوسف ، مكتبة السلام العالمية / القاهره ، الطبعة الثانية .

٣٥ـ الايمان لعبد المجيد الزندانى ، دار القلم دمشق ، ومكتبة طيبة بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .

٣٦ـ الايمان كما يصوره الكتاب والسنة : للدكتور على عبد المنعم ، دار البحوث العلمية / الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

(ب)

٣٧ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد (جزءان) : لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبى الأندلسى (٥٩٥ هـ) الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٩ هـ شركة البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٣٨ـ البداية والنهاية (١٤ جزءا فى سبع مجلدات) لأبى الفداء الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤) مكتبة المعارف/ بيروت.

٣٩ـ البرهان فى علوم القرآن (٤ أجزاء) للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ ، دار المعرفة / بيروت تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٤٠ـ بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب (٣ أجزاء) للسيد محمود شكرى الألوسى البغدادى (١٢٧٠ هـ) دار الكتب العلمية/بيروت

٤١ـ البيان والتبيين : لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) الشركة اللبنانية للكتاب / بيروت .

(ت)

٤٢ـ تاريخ التشريع الاسلامى للشيخ محمد الخضرى بك ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٦٠ م

٤٣ـ تاريخ الجاهلية : للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين /بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٤ م.

٤٤ـ تاج العروس من جواهر القاموس (١٠ أجزاء) لمحب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ) المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ نشر مكتبة الحياة / بيروت .

٤٥ـ تاريخ الدعوة للدكتور جمعة على الخولى ، دار الطباعة المحمدية القاهره ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٤٦ـ تاريخ الرسل والملوك (١١ جزءا) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠) الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

٤٧ـ تاريخ الاسلام السياسى (٣ أجزاء) : للدكتور حسن ابراهيم حسن الطبعة التاسعة ١٩٧٩م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٤٨ـ تاريخ العرب قبل الاسلام (٧ أجزاء) : للدكتور جواد على ، مطبعة المجمع العلمى العراقى سنة ١٣٧٥ هـ .

٤٩ـ التبيان فى أقسام القرآن : لشمس الدين ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية / بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

٥٠ـ الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن (جزءان) : ترتيب وتفسير محمد زكى صالح ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، المكتبة العلمية / بغداد .

٥١ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (٤ أجزاء) : للامام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى (ت ٦٥٦) نشر احياء التراث العربى / بيروت ،الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ تعليق مصطفى محمد عمارة .

٥٢ـ التشريع والفقه الاسلامى : لمناع القطاع ، مكتبة وهبة / القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م

٥٣ـ تفسير أبى السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (٩ أجزاء فى خمس مجلدات) لقاضى القضاة أبى السعود محمد ابن محمد العمادى (ت ٩٥١) دار احياء التراث العربى / بيروت

٥٤ـ التفسير الحديث (١٢ جزءًا) لمحمد عزة دروزة ، دار احياء الكتب العربية .

٥٥ـ تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل (١٧ جزءًا فى ٩ مجلدات) لمحمد جمال الدين القاسمى (ت ١٣٣٢ هـ) دار الفكر/ بيروت.

٥٦ـ تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل (٤ أجزاء) للعلامة علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن دار المعرفة / بيروت .

٥٧ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١٢ جزءًا) لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

٥٨ـ تفسير القرآن العظيم (٤ أجزاء) للحافظ عماد الدين أبى الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) مطبعة الفجالة الجديدة / القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ نشر مكتبة النهضة الحديثة .

٥٩ـ التفسير القيم لابن القيم الجوزية (مجلد واحد) جمع محمد ادريس الندوى ، دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٨ هـ .

٦٠ـ التفسير الكبير (٣٢ جزءًا فى ١٦ مجلدا) للامام محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين (ت ٦٠٦ هـ) دار الكتب العلمية طهران ، تصوير عن الطبعة البهية المصرية .

٦١ـ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط (٨ أجزاء) لأثير الدين أبي عبدالله محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت ٧٥٤ هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة/الرياض.

٦٢ـ تفسير الكشاف (٤ أجزاء) لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) دار المعرفة / بيروت .

٦٣ـ تفسير المراغي (٣٠ جزءا في ١٠ مجلدات) لصاحب الفضيلة الاستاذ أحمد مصطفى المراغي ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

٦٤ـ تلبيس ابليس : للحافظ الامام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية / بيروت .

٦٥ـ تهذيب اللغة (١٥ جزءا) : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ١٣٧٠ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٦٦ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) الطبعة الرابعة المكتب الاسلامي .

٦٧ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨ أجزاء في ٤مجلدات) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

(ج)

٦٨ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول (١١ جزءا) : للامام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) نشر مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية .

٦٩ـ الجامع لأحكام القرآن (٢٠ جزءا في ١٠ مجلدات) : لأبي عبدالله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) دار احياء التراث العربي / بيروت .

٧٠- جامع البيان عن تأويل آى القرآن المعروف بتفسير الطبرى (٣٠ جزءا في ١٢ مجلدا) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ .

٧١- الجامع الصحيح للترمذى (٥ أجزاء) للحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩) دار احياء التراث العربى

٧٢- الجاهلية قديما وحديثا : لأحمد أمين عبد الغفار ، شركة الشعاع للنشر / الكويت .

٧٣- الجدل فى القرآن : لمحمد التومى ، طبع بالشركة التونسية لفنون الرسم ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٧٤- جمهرة الأمثال (جزءان فى مجلد واحد) : لأبى هلال حسن بن عبد الله العسكرى النحوى (ت ٣٩٥) بهامش الأمثال للميدانى .

٧٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ أجزاء فى مجلدين) لشيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الخضر بن تيمية النمرى الحرانى (ت ٧٢٨هـ) مطابع المجد التجارية .

٧٦- جواهر الأدب (جزءان فى مجلد واحد) للسيد أحمد الهاشمى ، مؤسسة المعارف / بيروت .

(ح)

٧٧- حتى يغيروا ما بأنفسهم : لجودت سعيد ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م المطبعة بدون .

٧٨- حضارة العرب : لغوستاف لبون ، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ترجمة عادل زعيتر .

٧٩- الحيوان لعمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) دار صعب / بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .

(خ)

٨٠- خاتم النبيين (جزءان) : لمحمد أبى زهرة ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، الدوحة ١٤٠٠ هـ .

٨١- الخصائص الكبرى (٣ أجزاء) : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١ هـ) دار الكتب الحديثة ، بمصر ، تحقيق محمد خليل هراس .

(د)

٨٢- دراسات قرآنية : لمحمد قطب ، دار الشروق / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

٨٣- دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة : لموريس بوكاى دار المعارف بمصر .

٨٤- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (٦ أجزاء) للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .

٨٥- دستور الاخلاق فى القرآن : للدكتور محمد عبد الله دراز ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ .

٨٦- الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة (جزءان) لمحمد عزة دروزة ، المكتب الاسلامى .

٨٧- الدعوة الى الاسلام : لتوماس . و . أرنولد ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، ترجمة الدكتور حسن ابراهسم والدكتور عبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .

٨٨- الدعوة الى الاسلام : لأبى بكر زكرى ، مكتبة دار العروبة القاهرة .

٨٩- دعوة التوحيد : للدكتور محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع / مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٩٠ـ دعوة الرسل الى الله تعالى : لمحمد أحمد العدوى ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ١٣٩٩ هـ .

٩١ـ الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها : للدكتور أحمد أحمد غلوش ، دار الكتاب المصرى . ودار الكتاب اللبنانى .

٩٢ـ الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم الخليل : لمحمد بن سيدى بن الحبيب ، دار الوفاء / جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٩٣ـ دقائق التفسير (٦ أجزاء فى ٣ مجلدات) : لشيخ الاسلام ابن تيمية مؤسسة علوم القرآن / دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م ، جمع وتقديم وتحقيق محمد السيد الجليند .

٩٤ـ دلائل النبوة : للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) القسم الأول ، طبع بمطبعة دار النصر للطباعة القاهرة ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩ هـ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، والقسم الثانى مخطوط بالجامعة الاسلامية تحت رقم (٢٥٩٣) .

٩٥ـ دلائل النبوة لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ) طبع فى سنة ١٣٩٧ هـ دون ذكر اسم المطبعة أو الناشر .

٩٦ـ دور المنهج الربانى فى الدعوة الاسلامية : لعدنان على رضا النحوى الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٩٧ـ ديوان الحماسة : لابى تمام حبيب بن أوس الطائى ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثالثة ١٣٤٦ هـ .

٩٨ـ الديانات القديمة : لمحمد أبى زهرة ، دار الفكر العربى / القاهرة

٩٩ـ الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان : للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم / الكويت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

(ذ)

١٠٠ـ ذيل الملل والنحل للشهرستانى : تأليف محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .

(ر)

١٠١- رسالة التوحيد : للشيخ محمد عبده ، دار احياء العلوم/بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ .

١٠٢- الرسل والرسالات : للدكتور عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ .

١٠٣- روح الدين الاسلامى : لعفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين / بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٦٦م .

١٠٤- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (٣٠ جزءاً فى ١٥ مجلدا) لشهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) نشر ادارة الطباعة المنيرية ، ودار احياء التراث العربى / بيروت ، الطبعة الثانية .

١٠٥- الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام (٤ أجزاء) : للامام المحدث عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى السهيلى (ت ٥٨١ هـ) نشر دار الكتب الحديثة / القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(ز)

١٠٦- زاد المسير فى علم التفسير (٩ أجزاء) للامام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى (ت ٥٩٧ هـ) المكتب الاسلامى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

١٠٧- زاد المعاد فى هدى خير العباد (٤ أجزاء فى مجلدين) للامام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

(س)

١٠٨- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك : للشيخ حمد بن على بن عتيق ، دار القرآن الكريم / بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ

١٠٩ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني المكتب الاسلامي .

١١٠ـ سنن أبي داود (٥ أجزاء) للامام الحافظ أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ) دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .
اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، وكذلك طبعة احياء السنة النبوية تعليق محمد محي الدين عبد الحميد في (٤ أجزاء) .

١١١ـ سنن ابن ماجه (جزءان) : للحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) دار الفكر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

١١٢ـ السنن الكبرى (١٠ أجزاء) للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار الفكر .

١١٣ـ سنن النسائي (٨ أجزاء في ٤ مجلدات) للحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) المكتبة العلمية بيروت .

١١٤ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (٣ أجزاء) لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) دار المعرفة / بيروت ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .

١١٥ـ السيرة النبوية لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ، دار الشروق الطبعة الثانية جدة ١٣٩٩ هـ .

١١٦ـ السيرة النبوية (٤ أجزاء) لأبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ، تحقيق مصطفى عبد الواحد

١١٧ـ السيرة النبوية لابن هشام (جزءان) لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) دار الكنوز الأدبية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي .

(ش)

١١٨ـ شرح الصدور بتحريم رفع القبور : للعلامة محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) مطبعة المدني / جدة ١٣٩٥هـ من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

١١٩- شرح العقيدة الطحاوية : للامام على بن محمد بن أبى العز الحنفى (ت ٣٢١ هـ) المكتب الاسلامى / دمشق ، بيروت ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩١ هـ ، تحقيق جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألبانى .

١٢٠- شرح النووى لصحيح مسلم (٨ أجزاء فى ٩ مجلدات) [١٨ جزءاً] للامام الحافظ محى الدين أبى زكريا يحى بن شرف بن مرى الحزامى الشافعى النووى (٦٧٦ هـ) دار الفكر / بيروت .

١٢١- الشرك وانواعه : لجفرى افندى وهاب ، رسالة ماجستيربالجامعة الاسلامية عام ١٤٠٣/١٤٠٤ هـ .

(ص)

١٢٢- صحيح البخارى بشرح فتح البارى (١٣ جزء) للامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى (ت ٢٥٦هـ) طبع المكتبة السلفية ،
وكذلك صحيح البخارى (٨ أجزاء فى ٤ مجلدات) المكتبة الاسلامية ، استانبول - تركيا ، توزيع مكتبة العلم السعودية جدة .

١٢٣- صحيح مسلم (٥ أجزاء) للامام الحافظ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٦١ هـ) دار احياء التراث العربى / بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، وكذلك صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الفكر بيروت .

١٢٤- صراع بين الحق والباطل : لسعد صادق محمد ، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ١٩٧٨م

١٢٥- صفوة التفاسير (٣ أجزاء) : لمحمد على الصابونى ، دارالقرآن بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

١٢٦- صيحة الحق : لأبى الوفاء الشيخ محمد درويش ، مطابع قطر الوطنية ، الطبعة السادسة .

١٢٧- الطبقات الكبرى (٩ أجزاء) : لابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى المكنى بأبى عبدالله (٢٣٠ هـ) دار صادر / بيروت .

١٢٨- طريق الدعوة فى ظلال القرآن : لأحمد فائز ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ .

(ع)

١٢٩- العبادة فى الاسلام : للدكتور يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر / بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

١٣٠- العبودية : لشيخ الاسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية/بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

١٣١- العقائد الاسلامية : لسيد سابق ، دار التراث العربى ، الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ .

١٣٢- العقيدة فى الله : لعمر سليمان الاشقر ، مكتبة الفلاح /الكويت الطبعة الخامسة ١٩٨٤م .

١٣٣- عقيدة المؤمن : للشيخ أبى بكر جابر موسى الجزائرى ، مطبعة النهضة الجديدة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ .

١٣٤- العقيدة والعبادة والسلوك فى ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية : لأبى الحسن على الحسنى الندوى ، دار القلم الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

١٣٥- العلم يدعو للايمان : تأليف أ ـ كريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٦٥م

١٣٦- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير (جزءان فى مجلد واحد) لفتح الدين أبى الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) دار المعرفة / بيروت .

(غ)

١٣٧- غزوة بنى قريظة : لمحمد أحمد باشميل ، دار الفكر / بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

(ف)

١٣٨ـ الفارق بين المخلوق والخالق : لعبد الرحمن بك باجة جى زادة مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .

١٣٩ـ فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري (١٣ جزءا) للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) طبع المكتبة السلفية ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب .

١٤٠ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥ أجزاء) لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) الناشر محفوظ العلمي / بيروت .

١٤١ـ فتوح البلدان (٣ أجزاء) لأبي الحسن أحمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) مكتبة النهضة المصرية تحقيق صلاح الدين المنجد .

١٤٢ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، (ت ١٢٨٥ هـ) انصار السنة المحمدية لاهور . بتحقيق محمد حامد الفقي .

١٤٣ـ فجر الاسلام : لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي / لبنان الطبعة العاشرة ١٩٦٩ م .

١٤٤ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل (٥ أجزاء في ٣ مجلدات) لأبي محمد بن علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .

١٤٥ـ فقه السنة (٣ أجزاء) لسيد سابق ، دار الكتاب العربي / بيروت .

١٤٦ـ فقه السيرة : لمحمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٦ م .

١٤٧ـ في ظلال القرآن (٨ أجزاء) لسيد قطب ، احياء التراث العربي بيروت ، الطبعة السابعة ١٣٩١ هـ .

(ق)

١٤٨ـ قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة : لشيخ الاسلام ابن تيميــة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م .

١٤٩ـ القاموس المحيط (٤ أجزاء) : لمجد الدين محمد بن يعقــوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ) مؤسسة الحلبى وشركاه/القاهرة.

١٥٠ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والايمان : للشيخ نديـــم الجسر ، طرابلس / لبنان .

١٥١ـ قصة الحضارة (٣٦ جزءا) لول ديورانت ، نشر الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوى / القاهــــرة ترجمة محمد بدران .

١٥٢ـ قصص الأنبياء (جزءان فى مجلد واحد) للامام أبى الفـــداء اسماعيل ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) دار الكتب الاسلامية/القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا .

١٥٣ـ قصص الأنبياء : لعبدالوهاب النجار ، مؤسسة الحلبى وشركاه القاهرة ١٣٨٦ هـ .

(ك)

١٥٤ـ الكامل فى التاريخ (٩ أجزاء) للعلامة عز الدين أبى الحسن علــى ابن محمد ابن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الشيبانى (ت٦٣٠هـ) دار الكتاب العربى / بيروت .

١٥٥ـ كتاب الكبائر وتبيين المحارم : للحافظ أبى عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) مؤسسة علوم القـــرآن دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ تحقيق محيالدين مســتو .

١٥٦ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤ أجزاء فى مجلدين) للامام الحافظ أبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (ت ٧٤١هـ) دار الكتب الحديثة / القاهره ، تحقيق محمد عبدالمنعم اليونســـى وابراهيم عطوة عوض .

١٥٧ـ كتاب الأصنام : لأبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي ، الدار القومية للطباعة والنشر / القاهره ، تحقيق أحمد زكـي

١٥٨ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد ، طبع بنفقـة جمعية التوراة الامريكانية .

١٥٩ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤ أجزاء) لأبي القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٢ هـ

١٦٠ـ الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد (مجلدان) لخالد محمد علي الحاج ، ادارة احياء التراث الاسلامي بدولة قطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م ، تحقيـــق عبدالله ابراهيم الانصاري .

١٦١ـ الكليات (٥ أجزاء) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي (ت ١٠٩٤ هـ) منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي /دمشق ١٩٧٥ م .

١٦٢ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، الطبعة الرابعة .

(ل)

١٦٣ـ لباب النقول في اسباب النزول : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار احياء العلوم / بيروت ، الطبعـة الثانية ١٩٧٩م .

١٦٤ـ لسان العرب (١٥ جزءا) : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) دار صادر / بيروت .

(م)

١٦٥ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ، دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة السادســـه ١٣٨٥ هـ .

١٦٦ـ مباحث فى علوم القرآن : لمناع القطان ، مؤسسة الرسالة/بيروت الطبعة الخامسة ١٣٩٨ هـ .

١٦٧ـ المجتمع الاسلامى : للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة ١٩٧٤م .

١٦٨ـ مجمع الأمثال : لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى (ت ٥١٨ هـ) الطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ .

١٦٩ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠ أجزاء) للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ) مكتبة القدسى / القاهره سنة ١٣٥٣ هـ .

١٧٠ـ مجموعة التوحيد : لشيخ الاسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١٧١ـ مجموعة الرسائل الكبرى (٥ أجزاء فى مجلدين) لشيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرانى الدمشقى (ت ٧٢٨ هـ) دار احياء التراث العربى بيروت .

١٧٢ـ المجموع شرح المهذب (٢٠ جزءا) للامام أبى زكريا محى الدين ابن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ) المكتبة العالمية بالفجالة / القاهره تحقيق وتكملة محمد بخيت المطيعى .

١٧٣ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٣٧ جزءا) جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، الطبعة السعودية تصوير عن الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ) .

١٧٤ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة : للدكتور محمد حميد الله ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ

١٧٥ـ محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية : للشيخ محمد الخضرى بك المكتبة التجارية الكبرى / بمصر .

١٧٦- محاضرات فى النصرانية : لمحمد أبى زهرة ، دار الفكر العربى
الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ .

١٧٧- مختار الصحاح : للامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ،
مؤسسة علوم القرآن / بيروت ، ومكتبة النووى / بدمشق ،
طبع سنة ١٣٩٨ هـ .

١٧٨- مدارج السالكين (٣ أجزاء) للامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر
ابن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار الكتب العلمية
بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٧٩- مدخل الى القرآن الكريم : للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار
القلم / الكويت ١٤٠٠ هـ ، ترجمة محمد عبد العظيم على .

١٨٠- المدخل لدراسة القرآن : لمحمد محمد أبى شهبة ، دار الكتب
القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .

١٨١- مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ أجزاء) لأبى الحسن على بن
الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ، الطبعة الرابعة ١٣٨٤ هـ

١٨٢- مسائل الجاهلية : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع فى مؤسسة
مكة للطباعة والاعلام ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة
المنـــورة .

١٨٣- المستدرك على الصحيحين فى الحديث (٤ أجزاء) للحافظ أبـــو
عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية (ت ٤٠٥ هـ) ،
دار الفكر / بيروت ١٣٩٨ هـ .

١٨٤- مسند الطيالسى : تأليف سليمان بن داود بن الجارود الفارســـي
الشهير بأبن داود الطيالسى (ت ٢٠٤ هـ) دار المعرفة / بيروت .

١٨٥- المسند (٦ أجزاء) للامام أحمد بن حنبل ، الامام أبو عبد اللــــه
أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ) دار صـــــادر
بـيروت .

١٨٦ـ المسيحية : للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية القاهره ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .

١٨٧ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، للعلامة أحمد بن محمد بن على المقرئ الفيومى (ت ٧٧٠ هـ) مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر . تصحيح مصطفى السقا .

١٨٨ـ مصرع التصوف : لبرهان الدين البقاعى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م تحقيق عبد الرحمن الوكيل .

١٨٩ـ مصرع الشرك والخرافة : للشيخ خالد محمد على الحاج ، ادارة الشئون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ، تحقيق عبد الله بن ابراهيم الانصارى .

١٩٠ـ مطلع النور : لعباس محمود العقاد منشورات المكتبة العصرية بيروت / صيدا .

١٩١ـ معارج القبول (جزءان) للشيخ حافظ بن أحمد حكمى ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، شارع الفتح بالروضه .

١٩٢ـ معالم تاريخ الانسانية : هـ . ج . ولز ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٦ م مراجعة الاستاذ محمد مأمون نجا والدكتور/عبد الحميد يونس .

١٩٣ـ معركة النبوة مع المشركين أو قصة الرسالة كما تعرضها سورة الأنعام للدكتور ابراهيم زيد الكيلانى ، مكتبة الاقصى عمان ـ الأردن .

١٩٤ـ مع الأنبياء فى القرآن الكريم : لعفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين / بيروت ، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٣ م .

١٩٥ـ معجم البلدان (٥ أجزاء) للشيخ شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ) دار احياء التراث العربى / بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

١٩٦ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى (٧ أجزاء) تأليف لفيف من المستشرقين . نشره د / أ . ى ونسنك ، أستاذ العربية بجامعة ليدن / سنة ١٩٣٦ م .

١٩٧- معجم مقاييس اللغة (٦ أجزاء) لأبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) على القول الراجح ، دار الكتب العلمية ايران ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون .

١٩٨- المغازى (٣ أجزاء) لأبى عبدالله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧) ، عالم الكتب / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، تحقيق الدكتور مارسدن جونس .

١٩٩- المغنى (٩ أجزاء) لأبى محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) مكتبة الجمهورية بمصر .

٢٠٠- مفتاح دار السعادة (جزءان فى مجلد واحد) لأبى عبدالله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار الكتب العلمية / بيروت .

٢٠١- المفردات فى غريب القرآن : لأبى القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) دار المعرفة / بيروت . تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى .

٢٠٢- المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد على ، دار العلم للملايين / بيروت ، ومكتبة النهضة ببغداد ، نشر بمساعدة جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م .

٢٠٣- الملل والنحل (جزءان) لأبى الفتح محمد عبدالكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى (ت ٥٤٨ هـ) دار المعرفة / بيروت ١٤٠٠ هـ تحقيق محمد سيد كيلانى .

٢٠٤- مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول : لأحمد ابراهيم الشريف دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

٢٠٥- مناهج الجدل فى القرآن الكريم :للدكتور زاهر عواض الألمعى ، مطابع الفرزدق التجارية ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ

٢٠٦- المنهج العلمى للاعتقاد : لشاكر عبدالجبار ، نشر مكتبة القدس / بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

٢٠٧ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن (جزءان) لمحمد عبد العظيم الزرقانى ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر .

٢٠٨ـ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية (٤ أجزاء) لشيخ الاسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى الدمشقى (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدنى القاهرة ، تحقيق محمد رشاد سالم

٢٠٩ـ منهج القرآن الكريم فى تربية المجتمع : للدكتور عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الخانجى بمصر ، مطبعة دار الجيل للطباعة والنشر / الفجالة ١٣٩٩ هـ .

٢١٠ـ منهج القرآن فى الدعوة الى الايمان : للدكتور على بن محمد ناصر الفقيهى ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٢١١ـ الموافقات فى أصول الشريعة (٤ أجزاء) لأبى اسحاق ابراهيم ابن موسى اللخمى الغرناطى المالكى المعروف بالشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) دار المعرفة / بيروت .

٢١٢ـ موجز تاريخ العالم : تأليف هـ. ج . ولز مكتبة النهضة المصرية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة محمد مأمون نجا .

٢١٣ـ موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية (٧ أجزاء) للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٧٨ م .

٢١٤ـ الموطأ (جزءان) للامام أبى عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحى (ت ١٧٩ هـ) دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، تصحيح وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى .

٢١٥ـ النبأ العظيم : لمحمد عبد الله دراز ، دار القلم / الكويت ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

٢١٦- النهج السديد فى تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد : تصنيف أبى سليمان جاسم الفهيد الدوسرى ، دار الخلفاء للكتاب الاسلامى / الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢١٧- النهاية فى غريب الحديث والأثر (٥ أجزاء) للامام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (٦٠٦ هـ) المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحى .

٢١٨- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار (٩ أجزاء فى ٤ مجلدات) لمحمد بن على بن محمد الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ) دار الجيل بيروت ١٩٧٣ م .

(و)

٢١٩- الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : للدكتور محمد محمود حجازى ، مطبعة المدنى بالقاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

٢٢٠- وفاء الوفاء (٤ أجزاء فى مجلدين) لنور الدين على بن أحمد المصرى السمهودى (ت ٩١١ هـ) دار احياء التراث العربى / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(ى)

٢٢١- اليهودية : للدكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م

(رابعا : فهرس الموضوعات)

البـــاب الثـــاني

الباب الرابع

الفهـــــــــارس

* * * * * *

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمــين

* * * * * *